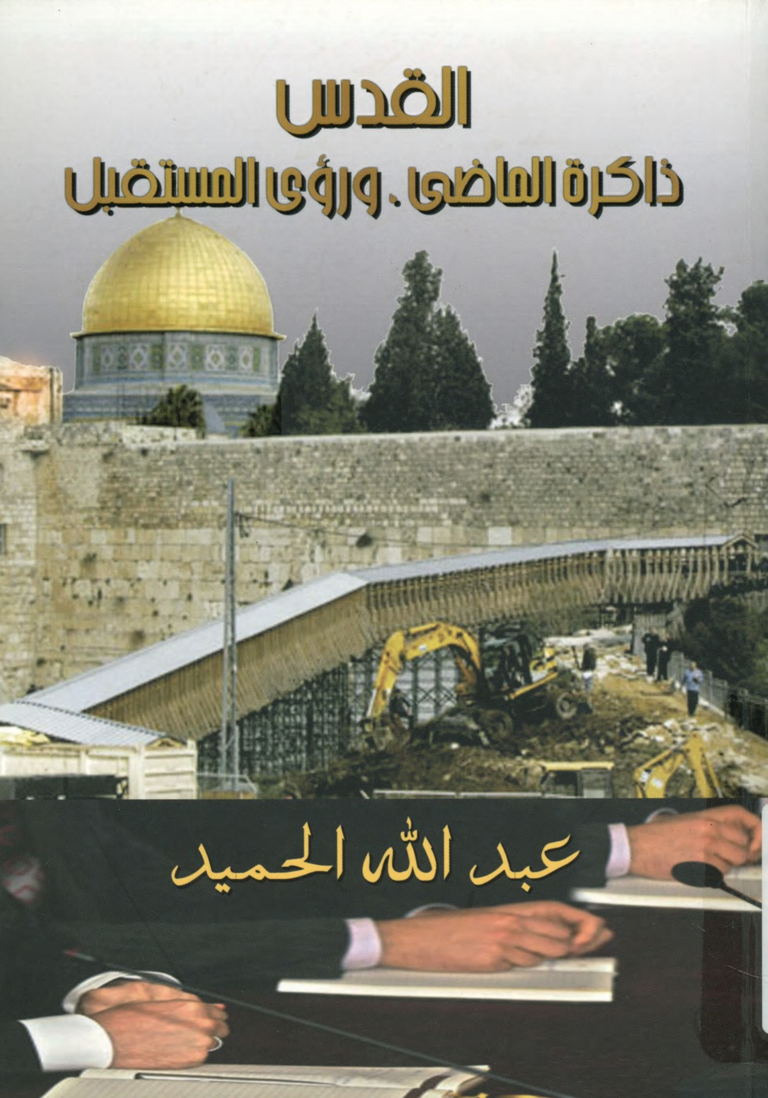

القدس
ذاكرة الماضى . ورؤى المستقبل
عبد الله الحميد

القدس

ذاكرة الماضي ورؤى المستقبل

عبد الله الحميد

دار الخنساء للنشر والتوزيع

الرياض - ت : ٤٨٥٢٤٤٨

ⓒ دار الخنساء للنشر ، ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

الحميد ، عبد الله سالم

القدس ذاكرة الماضي ورؤى المستقبل. / عبد الله سالم ، الحميد

الرياض ، ١٤٣٠هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك : ٧-١-٣٤٠١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - القدس - تاريخ اسلامي ٢ - القدس - تاريخ - الاحتلال الاسرائيلي أ. العنوان

ديوي ٩١، ٩٥٦ ١٤٣٠/٦٠٦٣

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٦٠٦٣

ردمك : ٧-١-٣٤٠١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع [illegible] / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي [illegible]

دار الخنساء للنشر والتوزيع

– الرياض

الموقع الالكتروني/ www.alhumied.com

البريد الالكتروني/ a.s.alhumied@hotmail.com

ت/ 0115440006 (القاهرة)



رقم الإيداع ٢٠٠٩/٤٥٢٩
الترقيم الدولي 977-11-6752

تقديم

منذ أن وعينا على الحياة وصوت القدس يهتف في أسماعنا، ونداء القدس يتردّد عبر الأرجاء، وفي وجدان كل مؤمن يدرك قدسيتهُ ومكانته في نفوس المسلمين وذاكرتهم وتاريخهم فهو مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، نال شرف المكان وشرف الزمان، وانطبعت مكانته في النفوس وتعلقت به ذاكرة العبادة منذ كان القبلة الأولى حتى تم تحويلها إلى الكعبة المشرفة في زمن الدعوة المحمدية، ولازالت مكانته ومنزلته لدى المسلمين في الذاكرة والوجدان.

راودتني فكرة الكتابة عن القدس منذ زمن غابر وألحت عليّ، وتناولت معاناة المسجد الأقصى من الاحتلال الصهيوني الغاشم والحرق والاعتداءات المتنوعة في قصائد نشرت في الصحف، وفي مجموعاتي الشعرية الصادرة منذ ثلاثين سنة حتى الآن.

وواجهتني تساؤلات قد تبرز أمام كل مهتم بشأن القدس: ماذا يعني «القدس عاصمة الثقافة»؟ ولماذا يرفض اليهود الاحتفاء بالقدس عاصمةً للثقافة؟ وهل هو امتداد لرفضهم إعلانها عاصمة لفلسطين؟ ولماذا الإصرار على تهويد القدس وتغيير اسمها ومعالمها؟

كل هذه التساؤلات وغيرها تثور بين الحين والآخر ويتفاقم الجدل حولها.

وبمناسبة هذا العام [القدس الثقافية] أقدم هذا الجهد المتواضع عن القدس مستمدًّا من الله العون والتوفيق.

وكتبه

عبد الله بن سالم الحميد

القاهرة – شهر صفر ١٤٣٠هـ

فبراير ٢٠٠٩م

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنّ قضية فلسطين من قضايا المسلمين الأولى، وإنّ المصيبة التي تعيشها فلسطين وقلبهـا القدس والمسجد الأقصـى هي مصيبة يعيشها كل المسلمين في أنحاء الأرض. وإنّ الحديث عن المسجد الأقصى يثير الشجون والألم والحسرة في نفوس المسلمين الصادقين لما يعانيه من مكائد يهودية خطيرة تستهدف هدمه وإزالته من القدس وفلسطين، ومن قلوب المسلمين المتعلقين بالأرض المباركة ذلك لأن للمسجد الأقصى المبارك في نفوس المسلمين أهميةً خاصةً ومكانةً عظيمةً، يُكنّون له الودّ الشديد والحب العميق وما ذلك إلا لتفضيل الله إياه والله جلّ وعلا طيّب؛ لا يختار من موجوداته تفضيلاً وتشريفاً إلا ما

كان شريفاً طيباً مباركاً. خلق السموات سبعاً فاختار منها أعلاها فجعلها مستقراً لملائكته المكرّمين. ومحطًّا لأرواح عباده الأبرار المقربين، واختصها بالقرب من كرسيّه ومن عرشه، وخلق الملائكة فاصطفى منهم رسلاً وسادةً، كجبريل وميكائيل وإسرافيل وخلق من الماء بَشَراً فجعله نسباً وصهراً فاختار منهم النبيين ثم اصطفى منهم رسلاً مبشّرين ومنذرين حجة منه عليهم وعدلاً وخصّ منهم خمسةً من أولى العزم منّةً منه عليهم وفضلاً ثم اجتبى من خيار الخيار عاقِبهم وخاتمهم الآخر السابق الذي أمّهم جميعاً بمسجد الأقصى ليلة الإسراءأنبينا محمد صلى الله عليه وسلَّم وعلى سائر إخوانه الأنبياء الأصفياء.

وقد أردت في هذا الجهد المتواضع أن أجمع ما يبين فضل هذه الأرض المباركة، وأنها أرض عربية، نزلها العرب وعمروها، ثم نزلها بعض اليهود ولم يمكثوا فيها زمنًا طويلا ثم أخرجوا منها، وظل بيت المقدس عربيا إسلاميا، إلى أن تمت المؤامرة واغتصبت فلسطين ثم عمل أحفاد القردة والخنازير على إبادة الشعب الفلسطيني وتدمير كل ما هو إسلامي على أرض فلسطين، فكانت المجازر حتى كتابة هذه الكلمات أكتبها والدم الفلسطيني ينزف والقادة العرب والمسلمون يبحثون عن السلام الكامل والشامل ؟؟ ولهم أقول قال الله تعالى : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٠] فاليهود كما يشهد بذلك التاريخ قوم بهت لا يحترمون عهدا ولا ذمة.

قال تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [التوبة: ٨]، وهم مع ذلك جبناء قال الله فيهم : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحشر: ١٤] فعلى القادة المسلمين أن يتعلموا من التاريخ وأن يتحدوا على هؤلاء الشرذمة حتى يمن الله تعالى علينا بالنصر وتحرير بيت المقدس.

وقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بالنصر وبتحرير بيت المقدس قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـٔۥا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٤- ٧].

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أدعو للمجاهدين في فلسطين وفي كل مكان : اللهم انصر جندك، اللهم أعل رايتهم ، اللهم عليك باليهود ومن ناصرهم، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد،،،

بيت المقدس

*** أولا: المدينة المقدسة:**

لمدينة بيت المقدس أسماء كثيرة في التاريخ، فأقدم اسم لها هو (يبوس) نسبة إلى (اليبوسيين) وهم بطن من العرب الأوائل، واليبوسيون هم الذين أطلقوا عليها أيضًا: «أور سالم» أي: مدينة السلام، وقد ورد هذا الاسم في لوحة من ألواح (تل العمارنة) موجودة في المتحف المصري بالقاهرة، ويرجع تاريخ هذه الألواح إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد أي: قبل دخول العبرانيين[1] إلى فلسطين، وقد تطورت هذه التسمية الكنعانية والآرامية في اللغة العبرية إلى «أور شليم».

وعند الفتح الإسلامي للمدينة المقدسة كان اسمها (إيلياء) أو (إيليا) وورد هذا الاسم في وثيقة الأمان التي أعطاها عمر بن الخطاب ﷺ لسكان المدينة، أما سبب هذه التسمية (إيلياء) فإن الرومان عندما غزوا أرض فلسطين عمد الإمبراطور الروماني (إيليوس هدريان) إلى إكمال ما بدأه (طيطس) من هدم المدينة والمسجد، وأجلى عنها اليهود وأقام مكان المعبد هيكلًا[2] لوثن الرومان (جويبتر) وهو كبير آلهتهم، ووضع في المعبد تمثالًا لهذا الإله المزعوم كالتمثال الذي في معبد (الكابيتول) الروماني، وقرر الإمبراطور (إيليوس هدريان) محو وتغيير كل أثر لليهودية في المدينة المقدسة حتى اسمها، فإنه اختار اسمًا جديدًا يتكون من كلمتين إحداهما مأخوذ من اسمه هو (إيليوس)، والثانية من اسم معبد الرومان (كابيتول) فأصبح اسم المدينة (إليا كابيتولينا) ويقال: إن معنى (إيليا) بيت الله[3].

المقدس أو القدس، أو الأرض المقدسة، أو الأرض المباركة وهي تسميات ثابتة في القرآن والسنة.

---

(١) العبرانيون: اسم أطلق على إبراهيم عليه السلام، ومن كانوا معه عندما هاجروا من العراق إلى الشام عابرين نهر الفرات.

(٢) الهيكل: اسم يطلق على المكان الذي يتعبد فيه، وتذبح فيه القرابين في الديانات السابقة على الإسلام.

(٣) انظر (أهمية القدس في الإسلام) عبد الحميد السائح ص١١، و«موسوعة اليهود واليهودية» للدكتور عبد الوهاب المسيري (٤/ ١٠٥).

*** موقع المدينة المقدسة:**

تقع القدس في منتصف فلسطين تقريبًا على خط طول خمس وثلاثين درجة وثلاث عشرة دقيقة شرقي (جرينتش) وخط عرض إحدى وثلاثين درجة وأربعين دقيقة شمالًا.

وهي تقع على تلال يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ما بين سبعمائة وعشرين إلى ثمانية وثلاثين مترًا، وهي في خطوط مستقيمة تبعد عن البحر المتوسط اثنين وخمسين كيلو مترًا. وعن البحر الميت اثنين وعشرين كيلو مترًا، وعن البحر الأحمر مائتين وخمسين كيلو مترًا.

وتبعد بالطرق المعبدة عن عمان ثمانية وثمانين كيلو مترًا، وعن بيروت ثلاثمائة وثمانين كيلو مترًا، وعن دمشق مائتين وتسعين كيلو مترًا، وعن القاهرة خمسمائة وثمانية وعشرين كيلو مترًا.

وتنقسم المدينة إلى قسمين: قسم داخل السور، وهو البلدة القديمة، ومساحتها تقريبًا كيلو متر مربع واحد، وتقع فيها الأماكن المقدسة عند الأديان الثلاثة، والقسم الآخر خارج السور(١).

والقدس من أقدم مدن الأرض، وهي أقدم من بابل ونينوي، وليس أقدم منها إلا (أوان) أو (أيوتو)(٢)، أولى عواصم مصر في فجر التاريخ، و(منف) أو (ممنفيس) ثاني عواصم مصر التي أنشئت ٣٤٠٠ ق.م.



(١) (تاريخ القدس) د. شفيق جاسر، ص ٢٠، (دار البشير للنشر والتوزيع. عمان).

(٢) هي: (عين شمس) الآن بالقاهرة.

أسماء مدينة القدس

قال الحافظ ابن حجر[1]: «ولبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين منها:

* إيلياء بالمد والقصر، وبحذف الياء الأولى، وعن ابن عباس إدخال الألف واللام على الثالث، وبيت المقدس بسكون القاف وبفتحها مع التشديد، والقدس بغير ميم مع ضم القاف وسكون الدال، وبضمها أيضًا، وشلّم بالمعجمة وتشديد اللام وبالمهملة وشلام بمعجمة، وسَلِم بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة، وأوْرِي سلم بسكون الواو وبكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة.

قال الأعشى:

وقد طفت للمال آفاقه دمشق فحمص فأوري سلم

ومن أسمائه: كورة، وبيت إيل، وصهيون، ومصروث آخره مثلثة، وكورشيلا، وبابوس بموحدتين ومعجمة، وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوي في كتاب (ليس)».

*** مدينة السلام (أورو سالم)- أورشليم:**

هذا الاسم هو أقدم اسم عرفه البشر لها، وقد سماها به أقدم سكانها الكنعانيون العرب، وهي منسوبة إلى «سالم أو شالم أو شاليم» وهو اسم مؤسسها، أو إله السلام عند الكنعانيين وكلمة «أور» كلمة سومرية معناها «مدينة» وذكرها الأكاديون باسم «أورو سالم» والأكاديون نزلوا العرق في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد من الجزيرة العربية.

وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر هذه المدينة موجود في المتحف المصري بالقاهرة، وهذه النقوش تُسمى «لوحات تل العمارنة» ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث «أمنحتب الثالث» من حاكم القدس من قبله -عبد يحيبا- (١٤١١-١٣٧٥ ق.م). ويتكرر اسم أورشليم بعد هذا في لغات أخرى كما في

---

(1) في «الفتح» (٣/ ٧٨)

نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (٧٠٠ ق.م) يرد اسمها «أورو سليمو».

وفي العبرية (يروشاليم)، وفي النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر المقدوني (حوالي ٣٣٠ ق.م) وردت بلفظ «هيروسوليما» باختصار.

وانتشر اسمها من الكتاب المقدس في جميع لغات العالم تقريبًا.

واسم «أورشليم» ليس عبريًا أصيلًا، فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول بني إسرائيل بشهادة نص «تل العمارنة»، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية (يروشاليم) فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تثبت في الكتابة العبرية وقد كتبت بدونها في أسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة، وكتبت بها ست مرات فقط، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها بلا ياء.

أورشليم معناها إله السلام أو مدينة السلام أو ميراث السلام.

يدعي أحبار اليهود أن سام بن نوح قد سماها «شلم» أي: السلام، وأن إبراهيم الخليل سماها (يرأه) وهي بمعنى الخوف بالعبرية فسماها الله بالاسمين معًا «يراه- شلم» أي: «أورشليم» بمعنى: الخوف والسلام أي: السلام المتولد من العرب.

وما قال أحد قبل أحبار اليهود أن سام بن نوح هو الذي سمى المدينة باسمها، حتى التوراة نفسها[1].

*** القُدس:**

اسم تُعرف به المدينة منذ القدم، ولقد ذكر المؤرخ اليوناني «هيرودوت» في تاريخه المشهور اسم مدينة كبيرة في الجزء الفلسطيني وسماها «قديتس» مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه.

ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي «سالومون مونك» في كتابه «فلسطين» إن هذا الاسم على الأرجح هو «القدس» محرفًا في اليونانية عن النطق الآرامي «قديشتا».

---

(١) انظر: «القدس...مدينة الله... أم مدينة داود؟» للدكتور حسن ظاظا ص (٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٧).

وغلب اسم القدس على المدينة بعد العصر الأموي.

يَبُوس: وهذا الاسم أطلقه نبي الله «يوشع بن نون» -عليه السلام- على المدينة، ويبوس نسبة إلى «اليبوسيين» من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، وهم سكان القدس الأقدمون أو هم أول من سكنها أو أول من دون التاريخ أنهم سكنوها.

*** إيلياء:**

هذا الاسم أسماها به الإمبراطور الروماني «هدريان» سنة ١٣٥ م. وإيلياء اسم جد عائلة الإمبراطور، أو اسم عائلته، وبقي هذا الاسم شائعًا حتى الفتح الإسلامي.

وأهل اللغة يذكرون له صورًا متعددة: «إيلياء» بالمد، و«إيليا» بالقصر، و«إليا» بحذف الياء الأولى، و«الإليا» بإدخال الألف واللام على الثالث.

*** بيت المقدس:**

وقد جاء في حديث الإسراء في «صحيح مسلم»:

قال النووي في «شرح مسلم»: «أما بيت المقدس، ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة:

إحداهما: بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة (المَقْدِس).

والثانية: بضم الميم وفتح القاف، والدال المشددة (المُقَدَّس)»

قال الزجاج: البيت المقدس: المُطَهَّر، وبيت المَقْدِس: أي المكان الذي يُطَهَّر فيه من الذنوب.

* **شلّم**: بالمعجمة وتشديد اللام.

* **سلّم**: بالمهملة.

* **شلام**: بمعجمة.

* **سلم**: بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة.

* **أُوْري سَلِم**: بسكون الواو وبكسر الراء، بعدها تحتانية ساكنة.

قال الأعشى:

وقــد طفــت للــمال آفاقــه   دمشق فحمص فأُوْري سَلِمْ

* **صهيون**: وذلك من أجل الجبل الذي في الجنوب الغربي من القدس. أقام عليه اليبوسيون أول حصن لهم عليه، ومن معان صهيون: «الحصن» أو «الجبل المشمس».

* **مصروث**: آخره مثلثه.

* **كورشيلا**.[١]



(١) واقدساه ص١٥-١٩.

سور مدينة القدس وأبوابها[١]

كانت القدس (يبوس) في أول نشأتها مدينة محاطة بسور منيع، وعليه قلاع حصينة..

ومع تطور المدينة واتساعها على مر العصور، كان يبنى حولها سور، فإذا جاءها الغزاة هدموه، ثم أعيد بناؤها، وهكذا دواليك، فلم تخلُ مرحلة من مراحلها من وجود السور، وآخر من جدد بناء سور مدينة القدس السلطان سليمان القانوني، وكان علو السور ٣٨ قدمًا ونصف قدم، وعليه ٣٤ برجًا وسبعة أبواب.

وهذا السور على هيئة شكل مربع منتظم طوله ميلان ونصف ميل، فأول سور بني حول القدس سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد، وكل من نسب إليه البناء فيما بعد، فإنما هو بناء تجديد وترميم، وليس بناء تأسيس.

أما أبواب سور المدينة، فهي سبعة، وهي:

١ - **باب الخليل أو (باب يافا)**: غربًا، وكان قديمًا يسمى «باب إبراهيم»، ويقع في الحائط الغربي.

٢- **باب: النبي داود (باب صهيون)**: جنوبًا وهو في الحائط الجنوبي يعرفه الأجانب باسم «باب صهيون» أنشأه السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة، وهو على جبل صهيون ملاصق لقبور ملوك آل داود.

٣- **باب المغاربة**: وهو في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو أصغر الأبواب، ويسمى «الباب الصغير» ومن الأثريين من يزعم أنه باب القمامة القديم، والراجح أن باب القمامة كان إلى الجنوب أكثر، في أسفل الجبل، ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى لتدفن على جبل الزيتون.

٤ - **الباب الجديد**: ويسمى أيضًا (باب عبد الحميد) فُتح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيل غربي باب العمود وهو حديث العهد، يعود إلى أيام زيارة السلطان غليوم الثاني لمدينة القدس سنة ١٨٩٨م.

---

(١) القدس قديما (واقدساه ٢٣- ٢٧).

وله قصة: فعندما زار الإمبراطور غليوم الثاني القدس سنة ١٨٩٨م في زمن عبد الحميد الثاني، دخل المدينة وهو متشح برداء أبيض راكبًا جوادًا حاسبًا نفسه حاجًا وصليبيًا متمثلًا بأحد أجداده القدماء الذين حاربوا في القدس أيام الحروب الصليبية، ولم يدخل الإمبراطور المدينة من أحد أبوابها المعروفة، بل فتحت له الحكومة ثغرة في السور بالقرب من باب الخليل، والغاية من ذلك أن لا يكون الإمبراطور تحت سقف أي سلطة أجنبية..!!

٥- **باب العمود (باب دمشق)**: في الشمال الغربي، واليهود تسميه باب شكيم (نابلس) وسمي باب دمشق، لأنه مخرج القوافل إليها.

٦- **«باب الزاهرة»، أو «باب الساهرة»**: وهو عند الغربيين يسمى باب «هيروديس» ويقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس على بعد نصف كيلو شرقي باب العمود، وبناؤه الحالي تركي.

٧- **باب الأسباط، أو باب ساباط**: ويسميه الغربيون «باب القديس أسطفان» يقع في الحائط الشرقي، واليهود كانوا يسمونه قديمًا باب (يهو شافاط)؛ لأنه يطل على الوادي المسمى بهذا الاسم. وهذه الأبواب كلها مفتوحة.

وهناك أبواب مغلقة وهي:

* **باب الرحمة**: ويسميه الأجانب (الباب الذهبي) لجماله ورونقه ويقع على بعد ٢٠٠ م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور.

ويعود إلى العصر الأموي.. مغلق أغلقه العثمانيون بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك مفادها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب.

* **الباب الواحد**: مغلق في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية، وهو في ابتداء الزاوية.

* **الباب المثلث**: وهو في الحائط الجنوبي، بعد الباب الواحد، وهو مؤلف من ثلاثة أبواب.

* **الباب المزدوج**: وهو من بابين، يعلو كليهما سور.

وهذه الأبواب المغلقة الثلاثة، تشير الدلائل على أنها أنشئت في العصر الأموي.

أبواب سور القدس على مر العصور

الاسم العربي	الاسم الإفرنجي	الجهة	المقدس عام ٩٨٥	عام ١٢٢٥	مجير الدين ١٤٩٦ وفي الوقت الحاضر
باب الخليل	باب يافا أو الخليل	في الحائط الغربي «مفتوح»	باب محراب داود	باب داود	باب الرحبة «مغلق»
باب العمود	باب دمشق	الحائط الشمالي «مفتوح»	باب البلاط	باب القديس أليعازار	باب الرحمة «مغلق»
باب الساهرة	باب هيرودوس	الحائط الشمالي	باب العمود	باب القديس ستيفن	باب دير الصرب
باب الأسباط	باب أريحا، أو باب القديس ستيفن	في الحائط الجنوبي «مفتوح»	باب جب أرميا	باب مادلين	باب العمود
—	باب المغارة أو باب القيامة	في الحائط الجنوبي «مفتوح»	باب أريحا	باب ياهو شافاط	باب الساهرة
باب النبي داود	باب النبي داود أو باب صهيون	في الحائط الجنوبي «مفتوح»	باب سلوان	باب الدباغة	باب حي «الطورية»«مغلق»
باب المغاربة	—	في الحائط الشمالي	باب صهيون أو باب التيه	باب صهيون	باب حي المغاربة
باب الجديد	—	في الحائط الشرق «مغلق»			باب حارة اليهود
باب الرحمة	الباب الذهبي	في الحائط الجنوبي «مغلق»			باب السر «مغلق»
باب الواحد	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			الباب المقابل للقلعة «مغلق»
باب المثلث	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			
الباب المزدوج	—				

هذا عدا أبواب وبوابات داخل القدس نفسها مثل «باب حطة» الذي يصل إليه الداخل إلى القدس من باب الزاهرة، وباب السلسلة القريب من المسجد الأقصى.

سور مدينة القدس:

الشمالي: ٣٩٣٠ قدم.

الشرقي: ٢٧٥٤ قدم.

الجنوبي: ٣٢٤٥ قدم.

الغربي: ٢٠٨٦ قدم.

المحيط: ١٥. ١٢ قدم.

ارتفاع السور:

٣٨ قدمًا و نصف، وله أربعة وثلاثون برجًا وسبعة أبواب.



المسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو ثاني مسجد بناه إبراهيم عليه السلام كما يفهم من ذلك من حديث النبي ﷺ ففي الصحيحين من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: «قلت: يا رسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة»[١] فهذا الحديث يدل على أن المسجد الأقصى قد بناه إبراهيم عليه السلام؛ لأنه حدد بمدة هي من حياة إبراهيم عليه السلام، وقد قرن ذكره بذكر المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم عليه السلام أيضًا وهذا مما أهمل أهل الكتاب ذكره وهو مما خص الله نبينا ﷺ بمعرفته[٢].

والمسجد الأقصى يعرف أيضًا ببيت المقدس، ومعنى الأقصى: أي الأبعد، والمراد بعده عن مكة بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وقد ثبتت له هذه التسمية بنص القرآن في أول سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] وهذا الوصف جاء للتنبيه على معجزة الإسراء وكونه خارقًا للعادة، حيث قطعت فيه مسافة طويلة في بعض ليلة.

وبهذا الوصف الوارد في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علمًا بالغلبة على مسجد بيت المقدس، كما كان المسجد الحرام علمًا بالغلبة على مسجد مكة، قال ابن عاشور: «وأحسب أن هذا العلم من مبتكرات القرآن، فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف، ولكنهم لما سمعوا هذا الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء، ولم يكن مسجد لدين إلهي غير هذا المسجد ومسجد مكة»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٠)، وأخرجه البخاري (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (١٠)، رقم (٣٣٦٦)، و (٤٠) باب قول الله تعالى: ﴿ لِدَاوُۥدَ وَوَهَبْنَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ رقم (٣٤٢٥)، وأخرجه مسلم (١/ ٣٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم (١، ٢) واللفظ له.

(٢) انظر: تفسير «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن عاشور (١٥/ ١٤) الدار التونسية للنشر.

(٣) «التحرير والتنوير» (١٥/ ١٥).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حادثة الإسراء حينما وقعت لم يكن المسجد الأقصى ببنائه موجودًا، كما أن مسجد الصخرة المعروف الآن لم يكن موجودًا كذلك، وإنما الذي كان موجودًا هو مكان المسجد المحاط بسورة فيه أبواب داخلها ساحات واسعة، وهذا هو المقصود من المسجد الأقصى في الآية الكريمة، إذ إن الإسلام قد جاء والمسجد قد اندرس بناؤه، ولكن ظل المكان معروفًا ومقدسًا.

وأحاديث الإسراء تدل على أنه أُسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس راكبًا البراق بصحبة جبريل عليه السلام، فنزل وصلى بالأنبياء إمامًا وربط البراق بباب المسجد أي: باب السور الخارجي وحائط البراق هو: الحائط الذي يسميه اليهود الآن بحائط المبكى، إذ إنهم يعتبرونه أحد أسوار الهيكل القديم والأثر الوحيد الباقي منه بعد هدمه الثاني، وهو بالقرب من باب المسجد الذي يفتح على الساحة[١]، ومما يدل على ذلك أنه عندما حضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حين فتح بيت المقدس، استشار كعب الأحبار، الذي كان يهوديًّا وأسلم وقال له: أين أضع المسجد؟ فقال كعب: اجعله وراء الصخرة، فقال: ضاهيت اليهودية يا كعب؛ بل نجعله في صدر المسجد[٢]، يقصد الساحة وذكر ابن كثير، أن عمر قال لكعب: «أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، وكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى»[٣].

أما المسجد الأقصى في صورته القائمة اليوم فهو إنما بني في عهد الأمويين فقد بدأ بناءه الخليفة عبد الملك بن مروان (٧٣-٨٦هـ)، وأتم بناءه ابنه الخليفة الوليد بن

---

(١) انظر «أهمية القدس في الإسلام» عبد الحميد السائح ص ٤٦.

(٢) «تاريخ الطبري» (٧/ ٥٦١)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٦٠).

(٣) قال ابن كثير عن إسناد هذه الأثر: «وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذي أفردناه في مسند عمر، البداية والنهاية» (٧/ ٦٠).

عبد الملك (٨٦-٩٦هـ).

والمؤرخون والعلماء إنما أطلقوا (المسجد الأقصى) على جميع ما دار عليه السور وفيه الأبواب، وهو الذي كان معروفًا عن الإسراء والمعراج ويشمل: المسجد المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة، وجميع الساحات المحيطة بها[١].

وتبين من ذلك أن المسجد الأقصى الذي وقع الإسراء إليه والمقصود من الآية الكريمة هو ما دار عليه السور، وهو المقصود من الأحاديث الواردة في فضل زيارته ومضاعفة أجر الصلاة فيه.

أما التسمية القديمة عند أهل الكتاب لهذا المسجد العتيق فهي (الهيكل)، وهي تسمية التصقت أكثر باسم سليمان عليه السلام فقيل: (هيكل سليمان)؛ لأنه أقامه على أحسن الهيئات التي بني عليها.

وصف المسجد الأقصى[٢]

*** الوصف الفني للمسجد:**

يقع المسجد الأقصى في القسم الجنوبي من ساحة الحرم الشريف. فالزاوية الشمالية الغربية تبعد عن سور باب المغاربة نحوًا من سبعين مترًا، وتوازي واجهته الشمالية سور الحرم من الجنوب، والخط المستقيم المسحوب على واجهته هذه ينحصر بين سوري الحرم الشرقي والغربي بطول يقرب من مائتين وخمسة وثمانين مترًا.

*** أقسام المسجد الأقصى:**

ويقابل الداخل للمسجد من الجهة الشمالية رواق كبير أنشئ في زمن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ ثم جدد بعده، وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب كل باب يؤدي إلى رواق من أروقة المسجد السبعة.

وللمسجد عدا هذه الأبواب باب في الجهة الشرقية، وآخر في الجهة الغربية

---

(١) «أهمية القدس في الإسلام» عبد الحميد السائح ص ٤٧.

(٢) واقدساه ٢٨-٣٢.

وهناك مدخل لجامع النساء الواقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد وهو مؤلف من رواقين ممتدين غربًا مسافة ٥٣ مترًا إلى أن يتصلا بجامع المغاربة وقد بني جامع النساء في عهد الفاطميين.

ويقع في الجهة الشرقية أيضًا جامع عمر، وقد أطلق عليه اسم أمير المؤمنين عمر؛ لأنه بقية الجامع الذي بناه عمر ﷺ عند فتح القدس.

ويقع في الجهة الشمالية الغربية إيوان كبير، ويقع بالقرب منه إيوان جميل يسمى محراب زكريا.

وفي المسجد أعمدة كثيرة تقوم على قواعد جميلة، وتعلوها تيجان غاية في الجمال والإبداع.

وفي أعلى الأقواس صفان من الشبابيك، يفتح القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين.

وسطح الرواق الرئيسي أعلى من سطح الرواقين المجاورين له، وفوق كل رواق -من هذين الرواقين- نصبة من الخشب قليلة الارتفاع في الوسط تسمى «الجملون».

والحائط الجنوبي للمسجد متين جدًا، ويقوم على أساس قوي منذ زمن قديم، وهو أقوى وأمتن من الجدران الأخرى التي ترجع إلى عصور متأخرة، ولذلك لم يكن من السهل أن يتأثر هذا الحائط المتين بجريمة الإحراق التي اقترفها اليهود، لولا الحفريات التي قاموا بها تحت الأسوار بعد احتلالهم القدس، ولولا استعمال المجرمين ماد فنية شديدة الاشتعال.

ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى في المسجد ٢١ مترًا تقريبًا، بينما يقوم داخل البناء على صحن قائم على أعمدة، ويبلغ ارتفاعه ١٦ مترًا و ٥٠ سنتيمترًا.

قباب المسجد الأقصى[(١)]:

قبة السلسلة. قبة المعراج.

قبة محراب النبي. قبة يوسف.

قبة الشيخ الخليلي. قبة الخضر.

قبة موسى. قبة سليمان.

القبة النحوية.

مآذن المسجد الأقصى[(٢)]:

مئذنة باب المغابة.

مئذنة باب السلسلة.

مئذنة باب الغوانمة.

مئذنة الأسباط.

أروقة المسجد الأقصى:

الرواق الممتد من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء (باب فيصل).

الرواق المحاذي لباب شرف الأنبياء.

الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب ورواقان

(١) قبة السلسلة: بنيت في عهد عبد الملك بن مروان.
قبة المعراج: بنيت عام ٥٩٧ هـ: ١٢٠٠م.
قبة محراب النبي: بنيت عام ٩٤٥هـ: ١٥٣٨م.
قبة يوسف: بنيت عام ٥٨٧هـ: ١١٩١م.
قبة الشيخ الخليلي: حديثة بنيت في القرن التاسع عشر.
قبة موسى: بنيت عام ٦٤٩هـ: ١٢٥١م.
القبة النحوية: بنيت عام ٦٤٠هـ: ١٢٠٧م.

(٢) مئذنة باب المغاربة: أو المئذنة الفخرية، بنيت عام ٦٧٧هـ: ١٢٧٨م، ورممت عام ١٣٤١هـ: ١٩٢٢م.
مئذنة باب السلسلة: بنيت عام ٧٣٠هـ: ١٣٢٩م.
مئذنة باب الغوانمة: بنيت عام ٦٩٧هـ: ١٢٩٧م.
مئذنة باب الأسباط: بنيت عام ٨٦٩هـ: ١٣٦٧م، ورممت عام ١٩٣٧.

فوقها مستجدان.

الأروقة الغربية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة.

الرواق الممتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر.

الرواق الممتد من باب الناظر إلى باب القطانين.

الرواق الممتد من باب القطانين إلى باب السلسلة.

الرواق الممتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة.

سُبُل الحرم:

وقد أُنشئت سبل عديدة في جانب الحرم للوضوء والشرب وأكبرها.

سبيل قايتباي[١].

سبيل شعلان[٢].

سبيل باب الحبس.

سبيل البديري[٣].

سبيل قاسم باشا[٤].

أبواب الحرم المفتوحة:

باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء[٥]، باب الغوانمة[٦]، باب الناظر[٧]، باب الحديد، باب القطانين، باب المتوضأ، باب السلسلة، باب المغاربة[٨].

أبواب الحرم المغلقة:

---

(١) أنشئ عام ٨٦١ هـ وجدده قايتباي عام ٨٧٠هـ: ١٤٤٥م، وأعيد ترميمه في عهد عبد الحميد الثاني عام ١٨٤٢ م.

(٢) أنشأه الملك المعظم عيسى وجدده الملك برسباي عام ٨٣٢هـ كما جدد عمارته السلطان مراد الرابع العثماني عام ١٦٣٧م بعد أن بقي نحو قرنين وهو خراب.

(٣) سبيل طوله متران وعرضه وارتفاعه أربعة أمتار، والمعتقد أنه تم في زمن السلطان محمد الأول العثماني سنة ١١٥٣هـ تسميته أتت من منشئيه آل البديري.

(٤) دعي بذلك نسبة إلى قاسم باشا متولي القدس في عهد السلطان سليمان القانوني.

(٥) ويسمونه أيضًا الباب العتم وباب فيصل.

(٦) ويسمونه باب الخليل وباب الوليد.

(٧) ويسمونه باب علاء الدين، وباب الحبس، وباب المجلس.

(٨) يقع غربي الحرم إلى الجنوب ويسمونه باب النبي، باب البراق.

باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق.

عدد النوافذ (في الأقصى):

١٣٧ وكلها كبيرة من الزجاج الملون.

العقارات الموقوفة على الحرم:

دار الأيتام الإسلامية، تكية خاصكي سلطان، خان السلطان، دار المحكمة الشرعية عند باب السلسلة، دار الشيخ الحنبلي، كلية روضة المعارف، المدرسة البكرية، حمام الشفا، دكاكين على مقربة منه في سوق القطانين، دار حبس الرباط، دار حبس الدم.

وجميع هذه العقارات داخل السور في البلدة القديمة، وهناك عقارات أخرى موقوفة خارج السور في أحياء مختلفة من مدينة القدس.

متفرقات عن الحرم القدسي:

* الإضاءة في الحرم:

كان في الحرم عام ١٩٤٤م، ٣٣٠ مصباحًا منها ١٣٠لإضاءة مسجد الصخرة، و ٢٠٠ للمسجد الأقصى، وأما المآذن وباقي المنشئات الأخرى الكائنة في ساحة الحرم فإنها تضاء بالكهرباء.

وفي عام ١٩٤٨م، كان عدد القناديل التي تضاء بالزيت ٤٠٠ والمصابيح الكهربائية ٢٠٢.

وفي عام ١٩٥٨م لم يبق للزيت والشمع من أثر والحرم كله يضاء بالكهرباء.

*** ثالثًا: مسجد الصخرة المشرفة.**

للصخرة المشرفة تاريخ ديني عريق فهي قبلة الأنبياء منذ زمان موسى عليه السلام وحتى بداية عهد نبينا محمد ﷺ حيث صلى إليها ستة عشر شهرًا وعند الصخرة اتخذ إبراهيم عليه السلام معبدًا ومذبحًا.

وهي التي أقام يعقوب عليه السلام عندها مسجده بعد أن رأى عمودًا من النور فوقها كما سيأتي.

وهي التي نصب عليها يوشع عليه السلام (قبة الزمان) أو (خيمة الاجتماع) التي أنشأها موسى عليه السلام في التيه.

وهي التي بنى داود عليه السلام عندها محرابه، وشيد سليمان عليه السلام عندها الهيكل العظيم المنسوب إليه[1]، وهي التي عرج النبي محمد ﷺ من فوقها إلى السماء في ليلة الإسراء، وأول من بنى فوقها مسجدًا في العصر الإسلامي هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٧٣-٨٦هـ) (٦٨٥-٦٩١م)، وهو المسجد المعروف بمسجد الصخرة والمشهور بقبته الذهبية على المبنى المثمن، والذي تنصرف الأذهان إلى صورته كلما ذكر اسم المسجد الأقصى؛ مع أن المسجد الأقصى بناء آخر مستقل.

هذا... ولا أجدني في حاجة قبل الحديث عن تاريخ بني إسرائيل في الأرض المقدسة أن أؤكد على ما لأنبياء الله من منزلة ومكانة في معتقد كل مسلم، فالإيمان بالأنبياء، ومنهم أنبياء بني إسرائيل ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان عبد إلا به.

ومما هو معلوم أيضًا عند كل ذي علم وإيمان، أن ولاء المؤمن هو للمؤمنين في الزمان الأول والزمان الآخر، ورابطة الإيمان لا تفصمها حواجز الأرض ولا الجنس ولا اللون، ولهذا فإننا عندما نتناول الحديث عن شناعات بني إسرائيل قبل رسالة الإسلام، فإن هذا الحديث لا يمس أبدًا ولا يتناول مطلقًا جناب أتباع الأنبياء من المؤمنين ولو كانوا من بني إسرائيل فأنبياء بني إسرائيل نحن نحبهم ونحب أتباعهم الذين صدقوا في إيمانهم فالمعروف أن بني إسرائيل كان منهم مؤمنون ومنهم كفار، كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ [الصف: ١٤] فمؤمنوهم أولياؤنا، وكفارهم أعداؤنا، بل أشد أعدائنا.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن كل من لم يؤمن بمحمد ﷺ منهم أو من النصارى فهو من أهل النار خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، وقد تحدث القرآن عن مؤمني بني إسرائيل قبل أن تحل اللعنة والغضب على كفارهم حديثًا واضحًا فقال تعالى: ﴿ مِّنْهُم

(١) وهو نفسه المسجد الأقصى كما تدل على ذلك الأحاديث الصحيحة وسيأتي بيانها.

أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦].

وقال: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وقال: ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠].

فكل هذه النصوص القرآنية تشير إلى الطوائف التي اختارت طريق الدين الصحيح مع الأنبياء، قبل أن تنسخ شرائعهم وقبل أن ينتقل الاصطفاء إلى أمة النبي محمد ﷺ.

وإنما أردت بهذه الإشارة الموجزة أن أنبه إلى أنه ليس من سبيل المؤمنين أن يتهجم صاحب قلم على نبي من أنبياء بني إسرائيل بسبب كراهة هذا الكاتب لبني إسرائيل أو لليهود، وليس من سبيل المؤمنين أن يجعل كل من انتسب إلى بني إسرائيل من أتباع الأنبياء مجرمًا وسفاك دماء، وليس من سبيل المؤمن أن يطعن في كتب الله المقدسة التي أنزلت على أنبياء بني إسرائيل قبل أن ينالها التحريف.

فالقرآن علمنا أن ننصف في الخصومة: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

أقول: هذا بمناسبة ما وقعت عليه عند قراءاتي من عشرات المخالفات التي تقدح في العقيدة، يقع فيها كتاب معاصرون أثناء معالجتهم للقضايا التاريخية لبني إسرائيل وجدت منهم من يسيء الأدب مع موسى عليه السلام، ومنهم من يتهم يوشع بن نون عليه السلام بأنه همجي سفاح، وأن داود عليه السلام كان سفاك دماء، وأن سليمان عليه السلام كان شهوانيًا متفرغًا لملاذه، وأن بني إسرائيل الذين دخلوا مع يوشع بن نون كانوا كلهم مجرمين وسفاحين.

ومع هذه الهجوم الجريء غير المتورع نجد كثيرًا من هؤلاء الكتاب يتعسف في

الكلام عن الوثنيين الذين كانوا في الأرض المقدسة وقت أن قاتلهم يوشع ثم داود ثم سليمان عليهم السلام، بل والله وجدت من يدافع عن فرعون وقومه ضد موسى وأتباعه بزعم أنهم كانوا أجانب عن مصر وشعبها صاحب الأرض[١].

وينسى هؤلاء أننا نحب موسى ولو كان إسرائيليًا؛ لأنه من حزب الله، ونبغض فرعون ولو كان مصريًا لأنه من حزب الشيطان، ونحب يوشع وداود وسليمان وأتباعهم لأنهم كانوا موحدين مع كونهم من بني إسرائيل ونبغض جالوت الفلسطيني ومن خرج معه لأنهم كانوا وثنيين.

أما بعد أن تبدل الحال وأنعم الله بالإسلام على من كانوا وثنيين وسلب القوامة والإنعام والاصطفاء والهداية ممّن كانوا على الحق والدين جزاء ما كانوا يعملون فإن حبنا وبغضنا قد تبدل أيضًا حسب ما يريده ربنا وما تمليه عقيدتنا وأحسب أن هذا القضية لا تحتاج لمزيد بيان عند كل مسلم صحيح الإيمان.

والآن... لماذا استهدف اليهود في هذا العصر بيت المقدس بالذات مع أن الأرض واسعة، وفي أكثرها من الثروات والكنوز ما ليس في أرض بيت المقدس وفي أكثرها من الأمن والاستقرار لهم ما ليس في تلك البقعة المحاطة بطوفان من البشر يكنون لهم العداء؟

لماذا هذا الحرص على تلك الأرض على الرغم من أنه قد عرضت عليهم في بداية سعيهم لإنشاء وطن قومي لهم في العصر الحديث أراض في أماكن مختلفة من العالم، فأبوا إلا أرض فلسطين؟

لماذا لم يقبلوا أرض أوغندا الخصبة التي تتفجر منها منابع النّيل ولم يرضوا ولو مرحليًا بإنشاء دولتهم في الأرجنتين أو في شرق إفريقيا، أو في ليبيا أو في قبرص أو في سيناء أو في الطور أو غيرها من الأماكن التي عرضت عليهم من قبل قوى الاستعمار

---

(١) اختر بدون تسمية مجموعة من الكتب المعاصرة الثقافة الفكرية التي تتناول الكلام عن اليهود وتأمل ما في داخلها من الكلام على الأنبياء فسترى عجبًا، وليس المجال متسعًا هنا لمناقشة هذه الكتب.

في العالم[١]، لماذا إذن أرض بيت المقدس؟

إن الإجابة على هذا التساؤل تجرنا إلى أعماق التاريخ لنسأله عن الصلة التي ربطت اليهود قديمًا بهذه الأرض حتى عدوها ملكًا لهم، وظنوها خالدة في ميراثهم ولتقلب الصحفات التاريخية بحثًا في المراحل التي مرت بها الأرض المقدسة ومعبدها خلال العصور المتتابعة قبل مجيء أمة بني إسرائيل وحين وجودها، وبعد نزع الأفضلية منها وذهابها إلى تيه اللعنة والغضب.



(١) انظر تفاصيل المشاريع البديلة لفلسطين والتي عرضت على اليهود فلم يقبلوها في كتاب «إسرائيل الكبرى... دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني» د. أسعد رزوق منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث.

تاريخ المسجد الأقصى

المسجد الأقصى(*) هو الاسم الذي أطلقه القرآن على مُتعبَّد النبيين في أرض فلسطين، (إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) ذلك المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم بُدئ فيه البناءا وتولى إمامته الأنبياء وتنسك بساحته الأولياء واتخذ منبره الداعون إلى الإسلام عبر الدهور منارة ترشد السائرين ومعلمًا يهدي الحائرين.

والمسجد الأقصى عند العلماء والمؤرخين أشمل من مجرد البناء الموجود الآن بهذا الاسم إذ هو اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان -عليه السلام- فكل ما هو داخل السور الكبير ذي الأبواب يُعدُّ مسجدًا بالمعنى الشرعي فيدخل فيه على ذلك مسجد الصخرة ذو القبة الذهبية المنصوبة على المبنى المثمّن الذي تنصرف إليه الأذهان كلما ذكر اسم المسجد الأقصى: وإن كان بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب ﷺ في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد.. وأمّا "الصخرة" فلم يصل عندها عمر ﷺ ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان، ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة، وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير، وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة كما أن يوم السبت كان عيدًا في شريعة موسى -عليه السلام-، ثم نسخ في شريعة محمد ﷺ بيوم الجمعة فليس للمسلمين أن يخصّوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى وكذلك الصخرة

(*) قيل له الاقصى لبعد المساحة بينه وبين الكعبة، وقيل لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقذار والنجائس|والمقدس المطهر عن ذلك (فتح الباري ٤٠٨).

التي يعظمها اليهود وبعض النصارى[١].

*** لقد مر بيت المقدس ومسجده العتيق بعهود تاريخية حافلة بالأحداث نوجزها في السرد التالي:**

أول من سكن بيت المقدس

سكن الكنعانيون ساحل بلاد الشام في الألف الثالث ق.م وعرفوا في الساحل الشمالي باسم الفينيقيين بينما عرف القسم الجنوبي بأرض كنعان فابتنوا أهم المدن فيها: أريحا، وأسدوس، وبيرسبع، وعسقلان، وبيسان، ونابلس "شكيم"، والخليل "أربع"، والقدس "يبوس"، وكان اليبوسيون أهم بطون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها "أورسالم" أي: مدينة سالم كما أطلقوا عليها اسم "يبوس"، وكانت لغتهم عربية قديمة ولكنها تختلف عن لغة القرآن التي نتحدث بها اليوم.

ولما تعرضت بلاد اليونان وجزر إيجة لغارات البرابرة اليونان، هربت قبيلة "بلست" من جزيرة "كريت" وغزت أرض كنعان، واستقرت في السهل الساحلي الجنوبي الغربي من يافا إلى غزة وسمي هذا الجزء باسم فلسطين وبقي الاسم على جزء من أرض كنعان إلى أن شملها كلها في العصور الحديثة.

ولقد تجلت قدسية بيت المقدس وما حوله – تاريخيًا- بهجرة الخليل إبراهيم عليه السلام حوالي الألف الثاني ق.م انتقل إبراهيم -عليه السلام- من "أور" بالعراق إلى أرض الشام "أرض الكنعانيين" وفي صحبته ابن أخيه لوط وزوجه سارة بعد أن اعتزل أباه وقومه كما حكى القرآن ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات: ٩٩]، ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

قال ابن كثير: وأوحى الله إلى إبراهيم الخليل فأمره أن يمدّ بصره، وينظر شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، وبشره بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك إلى آخر الدهر، وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض وهذه البشارة اتصلت بهذه

---

[١] الفتاوي ٢٧/ ١١ – ١٣.

الأمة بل ما كملت ولا كانت أعظم منها في هذه الأمة المحمدية، يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: **«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»**[١].

فغدا بيت المقدس بلد (إبراهيم) الخليل وموطنه ومكث بها مدة ثم خرج منها إلى مصر إثر قحط دبَّ في الشام ثم عاد إليها خوفًا على زوجته من فرعون مصر آنذاك الذي حاول الظفر بها ولكن الله -تعالى- أنجاها منه ورد كيد الكافر فأطلق سراحها وأخدمها (هاجر)، التي ولدت بعد ذلك إسماعيل فلما غارت (سارة) من (هاجر) وولدها أمر الله -تعالى - إبراهيم خليله أن يرتحل بهاجر وإسماعيل إلى أرض مكة المكرمة وكانت مكة حين ذاك واديًا لا زرع فيه ولا ضرع، فتركهما هناك بأمر ربه، وعاد إلى أرض التيمن وحفظ الله هاجر والغلام وفجّر لهما في الوادي ماءً عذبًا أبرك من غيث الغمام فانجفل إلى مكة لسكناه الأنام وفي إحدى زيارات الخليل إلى مكة من بلاد الشام بني بمعاونة ابنه إسماعيل الكعبة البيت الحرام أشرف المساجد في أشرف البقاع ودعا لأهلها باليمن والبركات وأن يرزقوا من كل الثمرات مع قلة المياه وعدم توفّر الأشجار والزروع والثمار وهنا ذكر بعض العلماء أنه لما عاد إلى مهاجره بيت المقدس بنى المسجد الأقصى.



[١] البداية والنهاية. جـ١ / ١٤٤.

من أول من بنى المسجد الأقصى؟

اختلف العلماء من أهل التفسير والحديث والتاريخ في تعيين أول من وضع المسجد الأقصى وبتتبع أقوالهم واستقرائها بدا لي أنها لا تخرج عن ثلاثة آراء:

الأول: إن آدم -عليه السلام- هو الذي أسس كلا المسجدين ذكر ذلك العلامة ابن الجوزي ومال إلى ترجيح هذا الرأي الحافظ ابن حجر في الفتح واستدلّ له بما ذكره ابن هشام في كتاب "التيجان" أنّ آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه. وبناء آدم عليه السلام الكعبة مشهور وفيه عدة آثار:

١- روى ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (لمّا كان زمن الطوفان رفع البيت وكان الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوّأه الله لإبراهيم وأعلمه مكانه).

٢- روى البيهقي في "الدلائل" من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: (بعث الله جبريل إلى آدم فأمر ببناء البيت فبناه آدم ثم أمره بالطواف وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس).

٣- روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء (أن آدم أول من بنى البيت).

وهذا القول أثبت كما قال الحافظ في الفتح وعليه فإنّ الذي أسس المسجد الأقصى هو آدم نفسه أو أحد أبنائه لأنّ المدة الفاصلة بين المسجدين أربعون سنة فقط[1].

الثاني: أن الخليل إبراهيم عليه السلام هو الذي أسس المسجد لأنّ بناءه للمسجد الحرام مشهور بنص القرآن: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]، وقوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [الحج: ٢٦]، وإذا ثبت بالنص أنه بني الكعبة، فإنّ بناءه للمسجد الأقصى محتمل راجح لقرب العهد بين المسجدين. وممن نصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/ ٤٠٨ - ٤٠٩.

حيث قال: (والمسجد الأقصى صلت فيه الأنبياء من عهد الخليل) وفي موضع آخر قال: (فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم -عليه السلام-) ولكن يرد على هذا القول إشكالان: أحدهما: أنّ بناء إبراهيم -عليه السلام- للكعبة لم يكن وضعًا وتأسيسًا وإنما كان رفعًا وتجديدًا والثاني: أنّه لم ترد آثار في تأسيسه للمسجد الأقصى سوى ما عند أهل الكتاب: (أنّه لما قدم الشام أوحى الله إليه إني جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك فابتنى إبراهيم مذبحًا لله شكرًا على هذه النعمة وضرب قبته شرقي بيت المقدس)[1]، ولكن هذا الذي بناه مذبحًا[2] وليس بمسجد ثم إن هذا كان أول قدومه الشام أي قبل مولد إسماعيل وبناء الكعبة بمدة وإنما بناء مسجد بيت المقدس كان بعد وضع الكعبة كما في حديث أبي ذر في الصحيحين.

القول الثالث: أن الذي بناه هو يعقوب عليه السلام ورجّح هذا القول العلامة ابن القيم -رحمه الله- حيث قال: (والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق -صلى الله عليهما وآلهما وسلم- بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار -أي أربعين سنة-..)[3]، وهذا الذي ذكره ابن القيم موجود عند أهل الكتاب كما قال ابن كثير: (ثم مرّ -أي يعقوب- على أورشليم قرية شخيم فنزل في القرية واشترى مزرعة شخيم بن جحور بمائة نعجة فضرب هنالك فسطاطًا، وابتنى مذبحًا فسماه: (إيل إله إسرائيل) وأمر الله ببنائه المستعلن له فيه وهو بيت المقدس اليوم الذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود -عليهما السلام-)[4].

وأوجه الآراء الثلاثة وأدناها إلى الرجحان قول من قال: إنّ الذي أسسه هو آدم -عليه السلام- أو أحد أبنائه، وأنّ الذي وقع من البناء بعد ذلك إنما هو تجديد

---

(١) البداية والنهاية ١/ ١٤٢.

(٢) المذبح عند أهل الكتاب: ما خصص لايقاد البخور ويورد العهد القديم وصفًا مفصلًا له (فيصنع بأن يكون طوله ذراعًا وعرضه ذراعًا وارتفاعه ذراعين وأن يصنع من خشب السنط..) [سفر الخروج ٣٠: ١ – ١٠].

(٣) زاد المعاد ١/ ٥٠.

(٤) البداية والنهاية ١/ ١٨٤.

لا تأسيس والآثار المروية تسند هذا القول وتجعله أقرب إلى الصواب والله أعلم وأمّا حديث أبي ذر: (أي مسجد وضع في الأرض أوّل؟..) فليس فيه تعيين الواضع الأول المؤسس، ولا يصلح أن يكون تفسيرًا لقوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ولذلك فإن البخاري -رحمه الله- أورد الحديث في موضعين من كتاب الأنبياء، الأول: في فضائل الخليل إبراهيم -عليه السلام-، والثاني: في فضائل سليمان -عليه السلام- فيفهم من صنيعِهِ هذا أنه أراد فضل بناء المسجدين لا تعيين أول من أسسهما. ولهذا قال القرطبي: (إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما.



أهم المراحل التاريخية التي مرت بالقدس والأقصى قبل الرسالة الخاتمة

*** العرب ينزلون أرض الشام:**

قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة هاجرت قبائل عربية من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال بسبب القحط، وكان أسبقهم في ذلك الفينيقيين فأقاموا على شاطئ البحر المتوسط، وتطوروا حتى أصبحوا أصحاب حضارة، وإلى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين بعد خمسمائة سنة من هجرة الفينيقيين أي قبل الميلاد بألفين وخمسمائة عام واستقرت قبائل الكنعانيين على ضفة نهر الأردن الغربية منسابة نحو البحر المتوسط وسميت هذه الأرض باسم (أرض كنعان) وهو اسم يكثر وروده في التوراة.

وقبل الميلاد بمئات السنين نزلت بالساحل المطل على البحر المتوسط في يافا وغزة قبائل من جزيرة (كريت) تسمى قبائل (فلستين) وتم اختلاط بين الكنعانيين والمهاجرين الجدد من (كريت) وتمازجوا وشكلوا خليطًا يغلب عليه الدم العربي، وعاشوا في تلك المنطقة التي سميت (فلسطين)

وفي الشمال الشرقي لنهر الأردن كانت تعيش قبائل (الآراميين) الوافدة من حوض نهر الفرات بعد ازدحام هذا الحوض بالوافدين من جزيرة العرب، وهم المعروفون في الكتب المقدسة باسم (السوريين) وكانت عاصمتهم دمشق، وإلى جنوب البحر الميت كانت تسكن مجموعة أخرى من الآراميين في ثلاث ممالك (عمون، موآب، آدوم).

*** إبراهيم عليه السلام والمرحلة المبكرة للمسجد:**

في تلك العصور التي ذكرت عاش إبراهيم عليه السلام وكان من الساميين[١] الذين سكنوا العراق إذ كان الساميون يقطنون أواسط وشمال أرض العرب وإليهم

---

(١) نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام وقد كان لنوح ثلاثة أبناء ذكور منهم نشأت أمم الأرض بعد الطوفان، وهم: (سام، وحام، ويافث) والعرب وبنو إسرائيل ينحدرون من نسل سام، فهم ساميون.

ينتسب الآشوريون والعرب.

عاش إبراهيم عليه السلام في العراق التي ولد بها ثم بعد اختلافه مع أبيه وقومه واعتزالهم هاجر إلى أرض كنعان مارًا بمنطقة الآراميين وهذا المرور أو العبور هو الذي سمي بنو إسرائيل من أجله بالعبرانيين فهم عبرانيون؛ لأنهم عبروا نهر الفرات إلى أرض الشام وكانت هذه المرحلة في العام الألفين قبل الميلاد، ومنذ ذلك التاريخ استقر العبرانيون في أرض كنعان؛ ولكنهم كانوا في وضع منعزل عن بقية الشعوب هناك لابتعادها عن الدين الصحيح.

ظل إبراهيم عليه السلام مدة في أرض الشام ثم نزل إلى مصر بعد قحط دب في بلاد كنعان، ولم يطل بقاؤه في مصر، إذ طمع فرعونها في زوجته سارة، وكانت المدة التي نزل فيها مصر معاصرة لزمن حكم الهكسوس كما ذكر ذلك المؤرخون(١).

ثم عاد إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان خارجًا من مصر بعد أن نجى الله زوجته سارة من فرعونها الذي أهدى لسارة جارية هي (هاجر) تلك الشريفة التي كانت قد وقعت في السبي وتملكها فرعون مصر في ذلك الزمان.

غير أن سارة بدورها أهدت هاجر إلى إبراهيم عليه السلام فاتخذها سرية، ورزقه الله منها إسماعيل عليه السلام فكان ولده البكر، ثم نقل إبراهيم عليه السلام هاجر وولدها إلى أرض أخرى هي مكة في جزيرة العرب، وقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وكان إبراهيم يزور ذريته في مكة بين وقت وآخر.

وشب إسماعيل عليه السلام في مكة وتزوج من قبيلة جرهم العربية التي كان زعماؤها سادة مكة، ومن نسله عليه السلام جاءت العرب المستعربة وتم بناء الكعبة المشرفة في مكة على يد إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام كما حكى القرآن.

---

(١) يذكر بعض المؤرخين أن الهكسوس كانوا من بدو الجزيرة العربية نزلوا مصر بعد مجاعة وقعت في بلادهم ثم تمكنوا فيها حتى سادوا وحكموا.

ظل إبراهيم عليه السلام مقيمًا في أرض كنعان بعد بناء الكعبة وأصبحت هذه البقعة من أرض الشام مهجرًا له بعد أن نشأت له عليه السلام فيها الذرية الطيبة(١).

واتخذ فيها مكانًا يعبد الله فيه، وكان هذا المكان يمثل المرحلة المبكرة جدًا لتقديس هذه البقعة واتخاذها مكانًا للعبادة.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم عليه السلام لكن سليمان عليه السلام بناه بناءً عظيمًا»(٢).

وقال ابن كثير: «ذكر أهل الكتاب أنه(٣) لما قدم الشام أوحى الله إليه إني جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك فابتنى إبراهيم مذبحًا شكرًا لله على هذه النعمة وضرب قبة شرق بيت المقدس»(٤).

قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: «إبراهيم عليه السلام لما سكن أرض كنعان (وهي بلاد فلسطين) نصب خيمة في الجبل شرقي بيت إيل وبنى هناك مذبحًا للرب، وأهل الكتاب يطلقون المذبح على المسجد؛ لأنهم يذبحون القرابين في معابدهم، ومسجد إبراهيم هذا هو الموضع الذي توخى داود أن يضع عليه الخيمة وأن يبني عليه محرابه أو أوحي إليه بذلك وهو الذي أوصى ابنه سليمان عليه السلام أن يبني عليه المسجد أو الهيكل(٥)، ثم قال ابن عاشور: وقد ذكر مؤرخو العبرانيين ومنهم (يوسيفوس) أن الجبل الذي سكنه إبراهيم بأرض كنعان اسمه (نابو) وهو الجبل الذي ابتنى عليه سليمان الهيكل فيما بعد، وهو الذي به الصخرة(٦)» إذن يفهم من هذه النصوص والنقول أن أرض المسجد الأقصى هي بعينها الأرض التي كان يسميها أهل الكتاب قبل الإسلام أرض الهيكل والجبل نفسه الذي يسميه أهل

(١) انظر «البداية والنهاية» (١/ ١٤١-١٤٥)، وانظر: (موسوعة التاريخ الإسلامي) د. أحمد شلبي ج١.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥١).

(٣) أنه: أي إبراهيم عليه السلام.

(٤) «البداية والنهاية» (١/ ١٤٢).

(٥) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٥/ ١٦).

(٦) نفس المصدر (١٥/ ١٧).

الكتاب قديمًا وحديثًا (جبل الهيكل) هو ذاته الجبل الذي يقوم عليه المسجد الأقصى وهو الجبل المسمى: جبل (نابو) أو (نيبو).

*** القدس والمسجد الأقصى في عهد إسحاق ويعقوب عليهما السلام:**

ولد إسحاق لإبراهيم عليه السلام من سارة بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة، وكان ذلك في أرض كنعان، وجعل الله تعالى كلًا من إسماعيل وإسحاق عليهما السلام من الأنبياء، وتزوج إسحاق عليه السلام وولد له ولدان هما (يعقوب) و(عيصو) وكانت النبوة في نسل يعقوب دون عيصو، ويعقوب عليه السلام هو (إسرائيل) وهو الذي انتسب إليه (بنو إسرائيل)؛ لأن النبوة لم تخرج من بعده إلا من عقبه.

تزوج يعقوب بنتي خاله (ليئة) و(راحيل) وأهدته كل واحدة منهما جارية، أهدته (ليئة): (زلفة)، وأهدته (راحيل): (بلهة)، وولد منهنّ جميعًا اثنا عشر ولدًا، وهم أسباط بني إسرائيل الذين ظلت فيهم النبوة حتى مجيء عيسى ابن مريم عليه السلام وهؤلاء الاثنا عشر هم من زوجته ليئة: (روبين- شمعون- لاوي[١]- يساكر- زبولون- يهوذا)، ومن زوجته الأخرى راحيل (يوسف- وبنيامين)، ومن جاريته زلفة: (جاد- وأشير)، ومن بلهة: (دان ونفتالي).

وفي عهد يعقوب عليه السلام أعيد بناء المسجد الذي كان إبراهيم عليه السلام قد اتخذه قبة يتعبد فيها، وذلك أنه كان قد حدث شيء من الخلاف بين ولدي إسحاق: (يعقوب وعيصو) وتوعد عيصو أخاه يعقوب بالأذى في قصة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية[٢]: «فأمرت زوجة إسحاق ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها (لابان) الذي بأرض حران وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه، وأن يتزوج من بناته، فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم فأدركه المساء في موضع فنام فيه فأخذ حجرًا فوضعه تحت رأسه ونام فرأى في نومه[٣]، ذلك

(١) ومن نسله موسى عليه السلام.

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ١٨١)، والقصة موجودة في التوراة سفر التكوين الإصحاح ٢٧.

(٣) ورؤيا الأنبياء حق: والمعراج: هو ما يصعد عليه ويرتقى به.

معراجًا منصوبًا من السماء إلى الأرض وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون.. فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر لله لئن رجع إلى أهله سالمًا ليبنين في هذا الموضع معبدًا لله عز وجل، وأن جميع ما يرزقه من شيء يكون لله عشره، ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهنًا يتعرفه به، وسمي ذلك الموضع (بيت إيل) أي: بيت الله، وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب عليه السلام بعد ذلك»(١).

ويذكر ابن كثير أن يعقوب عليه السلام لما عاد من رحلته التي أمرته بها أمه وكان الله تعالى قد فتح عليه بمال وثروة عظيمة مر على قرية (أورشليم) قرية (شخيم) فنزل قبل القرية واشترى مزرعة كبيرة بمائة نعجة فضرب هنالك فسطاطه وابتنى ثَمّ مذبحًا فسماه: (إيل إله إسرائيل) وأمره الله ببنائه ليستعلن له فيه ثم قال ابن كثير: «وهو بيت المقدس الذي جدده، بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا»(٢).

*** القدس والمسجد الأقصى في عهد موسى عليه السلام:**

تعاقبت السنون ومرت القرون ومكان (بيت إيل) مقدس لدى المؤمنين من بني إسرائيل ولما دخل بنو إسرائيل مصر في زمن يوسف عليه السلام ثم خرجوا منها في عهد موسى عليه السلام سنة ١٣٥٠ ق.م. بدأت مرحلة جديدة من تعلق بني إسرائيل بالأرض المقدسة إذ إنهم خرجوا من مصر في الأساس لكي يعودوا إلى أرض بيت المقدس بعد أن يجاهدوا الوثنيين الذين استوطنوها، ولكن بدرت من بني إسرائيل المخالفات تلو المخالفات، ونكلوا عن جهاد أعدائهم الوثنيين حتى عوقبوا بالتيه ولقد فصل لنا القرآن من هذه الأحداث ما فيه العبر والدروس ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾

---

(١) البداية والنهاية (١/ ١٨٢).

(٢) نفس المصدر (١/ ١٨٤).

قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠- ٢٦].

وظل بنو إسرائيل في التيه في صحراء سيناء مدة أربعين سنة محرومين من الدخول إلى أرض بيت المقدس تأديبًا لهم، وفي تلك المدة حدثت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة كما يقول الإمام ابن كثير من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة فإذا ضربها موسى عليه السلام بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشر عينًا تجري لكل شعب منهم عين، وهناك في التيه نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام وعملت (قبة العهد) يقال لها (قبة الزمان)[1]، أو (خيمة الاجتماع).

هذه القبة هي التي وضع فيها (تابوت الشهادة) المذكورة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] **قال ابن كثير:** «وهذا التابوت كان بنو إسرائيل يستنصرون به على الأعداء بعد ذلك[2]، وفي التيه

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠)، وانظر الوصف المفصل لهذه القبة في البداية والنهاية (١/ ٣٠٧، ٣٠٨) وأيضًا التوراة سفر الخروج إصحاح ٣٦.
ويحسن التنبيه هنا إلى أن اليهود المعاصرين أعادوا صناعة هذه القبة تمهيدًا لنقل التابوت إليها وهو الموجود الآن كما يقولون في أثيوبيا، انظر تفاصيل ذلك في كتاب (حمى سنة ٢٠٠٠) .

(٢) في التوراة: سفر الخروج الإصحاح السابع والعشرين.

توفي هارون عليه السلام ثم بعده بمدة ثلاث سنين توفي موسى عليه السلام[١]».

وكان موسى عليه السلام قد طلب من الله تعالى أن يقبضه قريبًا من الأرض المقدسة، فأجابه إلى ذلك ومات قريبًا منها بقدر رمية حجر كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال: قال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عن الكثيب الأحمر»[٢].

*** القدس والمسجد الأقصى في عهد يوشع بن نون عليه السلام:**

أقام يوشع بن نون عليه السلام نبيًا في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ويوشع هو فتى موسى المذكور في سورة الكهف، ونوبته ثابتة بالسنة الصحيحة، وعندما مات موسى عليه السلام كانت مدة التيه لم تنته بعد، ومات أكثر بني إسرائيل في تلك المدة، فلما انقضت خرج يوشع بن نون بمن بقي من بني إسرائيل الذين دخلوا التيه وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس، فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر يقول ابن كثير: «فلما تضيقت الشمس للغروب، وخشي دخول السبت عليهم وكان القتال محرمًا عليهم فيه، قال: إنك مأمورة، وأنا مأمور اللهم احبسها علي فحبسها الله تعالى حتى فتحها وأمر يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجدًا وهم يقولون: (حطة) أي: حط عنا ذنوبنا فبدلوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على إستاهم وهم يقولون: (حنظة)»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الجنائز ح (١٣٣٩)، وأحاديث الأنبياء ح (٣٤٠٧)، وأخرجه مسلم في الفضائل ح (١٥٧، ١٥٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠) والحديث الذي أشار إليه ابن كثير في البخاري في تفسير سورة البقرة (٢/ ٥).

فيوشع بن نون هو الذي دخل ببني إسرائيل بيت المقدس بعد أن حرموا من دخولها في عهد موسى وهارون عليهما السلام: «... ولما استقرت يده على بيت المقدس نصب القبة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون إليها فلما بادت صلوا إلى محلتها وهي الصخرة فلهذا كانت قبلة الأنبياء بعد إلى زمان رسول الله ﷺ وقد صلى إليها عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلى إليها ستة عشر، وقيل: سبعة عشر شهرًا ثم حولت القبلة إلى الكعبة في شعبان سنة اثنتين في وقت صلاة العصر، وقيل: الظهر»[1].

القدس والأقصى بعد زمان يوشع بن نون عليه السلام:

ينقسم تاريخ بقاء بني إسرائيل في أرض فلسطين بعد دخلوهم زمن يوشع إلى ثلاثة أقسام:

الأول: عهد القضاة: وهو العهد الذي كان يحكمهم فيه القضاة من اثني عشر سبطًا واستمر هذا العهد حوالي ٤٠٠ سنة، ويذهب البعض إلى أنه أقل من ذلك وبدأ بنو إسرائيل في هذا العهد ينتقلون من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، واستقرت عقائدهم فيه.

الثاني: عهد الملوك: بعد أن عجز القضاة عن تسيير أمور بني إسرائيل وبعد أن ضعفت شوكتهم فاجتاح العمالقة أرضهم[2]، عمد الشعب الإسرائيلي إلى نبي لهم هو (صموئيل) فقالوا له: نصب علينا ملكًا نستطيع معه أن ندفع العمالقة عن أرضنا فكانت القصة التي حكاها القرآن: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ... ﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٥١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠) والحديث الذي أشار إليه ابن كثير في البخاري في تفسير سورة البقرة (٢/ ٥).

(٢) العمالقة: هم الفلسطينيون يومئذ ولم يكونوا على دين صحيح حينذاك.

وقد استجاب لهم النبي وملك عليهم طالوت وكان داود عليه السلام أحد رجاله، وبرز في الجيش المعادي الفلسطيني (جليات)، أو (جالوت) كما سماه القرآن فبارزه داود عليه السلام وتغلب عليه، وتهيأ بعد ذلك الأمر لداود وأصبح هو الملك الثاني، وبقي الملك وراثيًا في عقبه وفتح داود عليه السلام (أور شليم)، أو (أور سالم) أي: مدينة السلام.

العهد الثالث: عهد التفكك: وزوال الشوكة، وانقسام المملكة وسيأتي الكلام عنه في عهد سليمان عليه السلام.

*** القدس والأقصى في عهد داود عليه السلام:**

لما فتح داود عليه السلام مدينة القدس عام ٩٩٧ق.م، نقل التابوت إليها وأعد بها مساحة منبسطة فسيحة ليشيد عليها الهيكل المقدس، وجهز المواد اللازمة للنباء ولكنه أحس أن الأجل لن يمهله حتى يكمل بناء المسجد فعهد إلى ابنه سليمان بأن يتم بناءه فجمع له من الذهب والفضة والأحجار الكريمة الشيء الكثير وهذا يفسر لنا لماذا اتخذ اليهود النجمة السداسية شعارًا وسموها باسم داود، إنها تمثل على بعض الآراء قاعدة الهيكل الذي نوى داود أن يقيمه[1].

*** القدس والأقصى في عهد سليمان عليه السلام:**

ولد سليمان عليه السلام في القدس ونشأ بها وتولى عرش المملكة بعد أبيه داود عليه السلام واستمر ملكه لمدة أربعين سنة من (٩٦٣-٩٢٣ ق.م) وذكر المفسرون أنه غاب عن سرير ملكه أربعين يومًا، ثم عاد إليه ولما عاد شرع في بناء الهيكل المقدس بناءً محكمًا وتورد المراجع اليهودية وصفًا مفصلًا عن معبد سليمان بما يحوي من أروقة وبيوت وخزائن وغرف وأمتعة وموائد وكؤوس وأقداح، ومذابح، بما يلائم نبيًّا ملكًا أوتي من كل شيء، وسخر الله له معالم الطبيعة وسليمان عليه السلام هو أحد أربعة ملكوا الدنيا وهم: ذو القرنين، وبختنصر والإسكندر

---

(١) لأن الهيكل في الأصل بني على هيئة خيمة الاجتماع، ولو وصلت رءوس النجمة السداسية لكونت خيمة سداسية الأضلاع.

وسليمان[١]، فلا يستغرب ولا يستبعد أن تكون الأوصاف المذكورة عند أهل الكتاب عن هيكل سليمان صحيحة في مجملها فهو الذي دعا الله عز وجل قائلًا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] جاء في سفر الملوك الأول: «بنى سليمان البيت وأكمله وبنى حيطان البيت من الداخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشاه بخشب وفرش أرضية البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعًا من مؤخر البيت بأضلاع الأرض إلى الحيطان وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس وهيأ محرابًا وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب وغشى المحراب بذهب خالص، وغشى المذبح بأرز، وغشى البيت من الداخل بذهب خالص، وسد بسلاسل من ذهب قدام المحراب»[٢]، ويذكر المؤرخون أن ذلك البناء كان سياجًا من بناء يضم عدة أجنحة[٣].

قال ابن كثير: «وكان سؤال سليمان عليه السلام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بعد إكمال بناء بيت المقدس، كما يتضح ذلك من الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بأسانيدهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن سليمان لما بنى بيت المقدس، سأل ربه عز وجل خلالًا ثلاثًا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة، سأله حكمًا يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته**

---

(١) ورد المعنى بذلك عن سفيان الثوري في قوله: «ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران سليمان النبي، وذو القرنين، ونمروذ، وبختنصر» انظر فتح الباري (٢/ ٤٢) ويؤكد هذا الكلام عن سليمان عليه السلام ما جاء في القرآن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [ص: ٣٥]

(٢) انظر: كتاب التوراة (سفر الملوك الأول الإصحاح السادس) وفيه تفصيل طويل آخر عن هيكل سليمان في مواضع أخرى.

(٣) انظر مقارنة الأديان: (اليهودية) (١/ ٢١٠).

مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها»[١].

*** القدس والأقصى بعد عهد سليمان عليه السلام:**

بعد وفاة سليمان عليه السلام تولى الملك بعده ابنه (رحبعام)، وبايعه الأسباط اثنان فقط هما: (سبط يهوذا)، و(سبط بنيامين) وكانت البيعة أورشليم، ولما اتجه رحبعام إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط في (نابلس) رفضوا أن يبايعوه، وبايعوا أخاه (يربعام) بعد عودته من مصر التي كان قد أوى إليها في عهد أبيه، وكانت له صلة بفرعونها، كما تذكر ذلك المصادر التاريخية فحرضه على أن يستقل بدولة عن أخيه.

وهكذا انقسمت الدولة إلى مملكتين، بعد أن كادت تشور الحرب الأخويين فكانت مملكة في الجنوب هي (يهوذا) وعاصمتها (أورشليم)، ومملكة في الشمال (إسرائيل) وعاصمتها (نابلس) أو (شكيم)، وكان أغلب الأسباط دولة الشمال (إسرائيل)، وكانت أوسع رقعة من دولة (يهوذا)، ولكن دولة (إسرائيل) رغم اتساعها كانت أشد اضطرابًا.

نهاية المملكتين والتدمير الأول للهيكل:

في سنة ٧٢١ق.م، محا (سرجون) ملك الآشوريين مملكة (إسرائيل) من الوجود وأزال شعبها قتلًا وتشريدًا، واعتقل آخر ملك فيها ونفاه مع عدد من رجاله إلى مملكته، وأقام سرجون واليًا باسمه على مملكة إسرائيل.

وفي سنة ٦٠٨ ق.م، زحف فرعون مصر في ذلك الوقت على مملكة (يهوذا) التي لم تكن قد سقطت بعد، فاحتلها واستمر في زحفه حتى أحتل مملكة (إسرائيل) الشمالية التي استولى عليها الآشوريون فثار لذلك ملك بابل الجديد (بختنصر) الذي آل إليه السلطان إلى آشور، وزحف بختنصر على فلسطين بقسميها (يهوذا وإسرائيل)، وهزم فرعون مصر فيها، واستعاد منه المملكتين وقتل (صدفيا بن

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٦) بتصرف يسير والحديث في مسند أحمد والنسائي مساجد (٦)، وسنن ابن ماجه إقامة (١٩٦).

يواقيم) آخر ملوك يهوذا، ونهب أورشليم ودمر المعبد سنة ٥٨٧ ق.م، وسبى أكثر السكان إلى بابل، وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار، وعرفت هذه المدة تاريخيًا بعصر السبي البابلي.

وأقام بختنصر على فلسطين واليًا من قبله، وانتهى بذلك ملك اليهود في فلسطين وظل اليهود في الأسر البابلي بعد أن تم التدمير الأول للهيكل.

وكان هذا الغزو لديار بني إسرائيل وتشريدهم وهدم معبدهم جزاءً وفاقًا لتخليهم عن هدي الرسالات وحقائق الدين وتحولهم من دور الإصلاح المنوط بأتباع الرسل إلى دور الإفساد الذي أرسلت الرسل لتطهير الأرض منه، وجرت سنة الله التي لا تتبدل على أمة بني إسرائيل إذا عوقبوا على الإفساد وأديل عليهم الأعداء، وقد جاء ذكر هذه الفترة في القرآن الكريم في أول سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٤، ٥] وظل بيت المقدس في خراب تام عهدًا طويلًا بعد استيلاء بختنصر عليه وهدمه للمسجد(١).

وقد كانت مدة بقاء بني إسرائيل في فلسطين منذ دخول يوشع بن نون حتى سقوط مملكة يهوذا حوالي خمسة قرون، وفي أسباب هذا الانتقام الإلهي من بني إسرائيل في تلك الفترة عقد ابن كثير بابًا في الجزء الثاني من البداية والنهاية، فليراجع هناك؛ فإن فيه حكمًا ومواعظ وعبرًا عظيمة، ولا شك أن تسجيل القرآن لهذه الأحداث له دلالات وأسرار جديرة بالتأمل والتدبر.

*** العودة من السبي وإعادة بناء الأقصى:**

بعد سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا احتل (قورش الإخميني)(٢) ملك الفرس

---

(١) هناك أقوال أخرى في المعنى المقصود في الآية من العباد أولي البأس الشديد.

(٢) هناك أقوال قوية بأنه ذو القرنين انظر كتاب ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ تأليف الشيخ: أبو الكلام أزاد، والكتاب طبع بمصر.

بلاد بابل، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا ومنذ ذلك الوقت أطلق الفرس على شعب يهوذا اسم (اليهود) وعلى ديانتهم (اليهودية) ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعني من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل.

سمح (قورش) لليهود بالعودة إلى فلسطين سنة ٥٣٨ ق.م، إذا كان على صلة طيبة بهم لأنهم أصحاب دين سماوي[١] فعادت طوائف من اليهود إلى بيت المقدس وفضلت طوائف أخرى البقاء في أرض بابل، وعمدت الطائفة العائدة إلى إعادة تعمير المدينة المقدسة، وأعادوا بناء المعبد مرة أخرى، ولكن عودتهم كانت عودة شعب بلا دولة، فقد كان الحكم الفارسي هو المسيطر على أرض فلسطين ثم مع توالي العهود بدأ الفرس يشتدون على اليهود حتى تذمر اليهود من بطشهم، وفي هذه المرحلة زحف الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٠ ق.م، على فلسطين ورحب به اليهود وظل بيت المقدس فترة تحت حكم الإسكندر، ثم آل الأمر فيه إلى البطالسة.

*** غزو الرومان وتجديد بناء الأقصى:**

تاق اليهود إلى الاستقلال بالحكم عن المحتلين الغزاة من البطالسة وقامت عدة ثورات قادتها أسرة (المكابيين) اليهودية لمحاولة استلام الملك مرة أخرى، ولكن اليهود لم يفلحوا في الوصول إلى كامل غرضهم من الاستقلال بالرغم من تنصيبهم لملك منهم، إذ ظل الصراع قائمًا بين اليهود وبين أعدائهم المجاورين.

فاستغل الرومان الوضع المتأزم واكتسحوا فلسطين سنة ٦٣ ق.م، واستولو على القدس بقيادة القائد الروماني (بامبيوس)، وتم تنصيب (هيردوس) الروماني ملكًا على فلسطين بعد أن قتل آخر ملوك المكابيين.

وحاول (هيرودس) بعد ذلك أن يهدئ الأحوال ويسترضي اليهود فبنى الهيكل الذي كان قد أصابه الهرم، على نسق هيكل سليمان وكان هذا هو الهيكل الثاني وذلك عام (٢٠-١٨) ق.م، وظل المعبد على هذه الحالة حتى جاء نبي الله زكريا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾.

وابنه يحيى عليهما السلام وجاء عيسى بن مريم عليه السلام ابن خالة يحيى عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.

*** القدس والمسجد الأقصى في عهد يحيى وزكريا عليهما السلام:**

وورد في القرآن ما يدل على أن المعبد كان قائمًا في عهود هؤلاء الأنبياء فإن مريم عليها السلام كانت أمها قد وهبتها لخدمة بيت المقدس قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٩].

فالنذر كان لخدمة المكان المقدس، ولكن جاء المولود أنثى هي مريم عليها السلام وكفلها زكريا عليه السلام الذي كان رئيس الهيكل حينئذ وفي محراب الهيكل أو المسجد دعا زكريا عليه السلام ربه بأن يرزقه الذرية الطيبة فجاءته البشرى بيحيى عليه السلام وهو قائم يصلي في المحراب.

ثم إن زكريا عليه السلام قد نشره اليهود بالمنشار فقتلوه، كما قتلوا ولده يحيى عليه السلام عندما وشوا به إلى ملك ظالم في عصره كان يحيى عليه السلام قد عف عن الفتيا له بنكاح إحدى محارمه.

وقتل زكريا ويحيى عليهما السلام كان هو الإفساد الثاني لليهود الذي ذكر في أول سورة الإسراء كما قال كثير من المفسرين.

*** القدس والمسجد الأقصى على عهد عيسى عليه السلام:**

كان عيسى عليه السلام معاصرًا ليحيى عليه السلام فهما ابنا خالة وقد بعث عيسى عليه السلام وأحوال بني إسرائيل في غاية الفساد والإفساد فعقائدهم قد طمست وأخلاقهم قد رذلت، وسيطرت عليهم المادة الجشعة، حتى إنهم اتخذوا من الهيكل سوقًا للصيارفة والمرابيين وملهى لسباق الحمام، فأخبرهم عليه السلام بأن العقوبة الثانية قادمة إليهم على إفسادهم الثاني... [يا أورشليم... يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها، كم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا](١).

ومما يدل على أن المسجد الأقصى كان قائمًا في عهد عيسى عليه السلام ما ثبت في السنة الصحيحة من حديث الحارث الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا...**»(٢)، إلى آخر الحديث الذي ذكر فيه إلى جانب الأمر بالتوحيد، الأمر بالصلاة والأمر بالصيام والأمر بالصدقة والأمر بالذكر، ثم ذكر لكل أمر منها مثلًا.

وقد بشر عيسى عليه السلام بتعاليمه في فلسطين وهو في الثلاثين من عمره، وأخذت تعاليمه الروحانية تنتشر بين جماهير غفيرة من سكانها مما أغاظ زعماء اليهود الماديين وكهنتهم المنتفعين.

---

(١) إنجيل متى (٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، (٥/ ٣٤٤)، والترمذي في أبواب الأمثال ح (٣٠٢٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

وواجه عيسى عليه السلام إفساد كهنة الهيكل من اليهود محذرًا إياهم من مغبة جشعهم وظلمهم: [ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلًا لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص](١).

ولما استيأس عليه السلام من استجابتهم لنصائحه أخبرهم بأن هذه النعمة سوف تسلب منهم لأنهم لم يؤدوا شكرها.. سوف يهدم المعبد [ثم خرج يسوع، ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع: ما تنظرون؟ الحق أقول لكم:إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض](٢).

ثم حدث أن السادة والكهنة الغاضبين من أجل مصالحهم حرضوا السلطة الرومانية على عيسى عليه السلام وقررت مجالس اليهود الدينية الحكم عليه بالموت تمامًا كما قرروا قتل يحيى وزكريا قبله ومن قبلهم عشرات الأنبياء.

وطالب المؤتمرون السلطات الرومانية بتنفيذ حكم القتل في النبي الذي ناضلهم من أجل تطهير المسجد من إفسادهم وجاءوا بعيسى عليه السلام وحاكموه وبعد المحاكمة اعترف الحاكم الروماني ببراءته فقامت قيامة اليهود ونادوا: [أصلبه.. أصلبه.. دمه علينا وعلى أولادنا](٣).

وأحكمت المؤامرة من كفار بني إسرائيل لقتل آخر أنبيائهم على الإطلاق ولكن قدر الله كان سابقًا بشأن آخر:﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

*** التدمير الثاني للمسجد:**

ظل الهيكل قائمًا بعد عهد عيسى عليه السلام وحدث بعد ذلك أن صدقت

---

(١) لوقا (١٩/ ٤٥-٤٧).

(٢) متى (٢٤/ ١، ٢).

(٣) متى (٣٧/ ٣٥).

نبوؤته عليه السلام وهدم المعبد الذي لم يرعه اليهود حق رعايته إذ أقدم أحد ملوك الرومان وهو الإمبراطور طيطس عام ٧٠ ميلادية على إحراق المدينة المقدسة، وتدمير المعبد الذي أقامه (هيرودس) ولم يبق فيه حجر على حجر[(١)] وكان هذا هو التدمير الثاني للمسجد بعد التدمير الأول الذي تم في عهد (بختنصر) وإليه الإشارة في قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧].

وكان الإفساد الثاني من بني إسرائيل الذي بسببه تحقق وعد الانتقام الإلهي منهم هو قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام وعزمهم على قتل عيسى عليه السلام ولكن الله تعالى نجاه منهم[(٢)].

وكان بطش الإمبراطور طيطس على إثر ثورة قام بها اليهود ضد الرومان، واكتفى طيطس حينئذ بتدمير الهيكل والمدينة مع إبقاء الحطام مكانه، ولكن جاء بعده طاغية آخر هو (أدريانوس) فأزال معالم المدينة وحطام الهيكل وكان ذلك سنة ١٣٥ ميلادية فحرث الأرض وسواها وتبرها تتبيرًا وبذلك يكون الرومان قد دمروا المدينة المقدسة مرتين الأولى سنة ٧٠ م على يد طيطس والثانية على يد (أدريانوس) سنة ١٣٥ م، كما تخلص (أدريانوس) تمامًا من اليهود تقتيلًا وتشريدًا وأقام مكان الهيكل معبدًا وثنيًا وسماه (جوبيتر) على اسم (رب الآلهة) عند الرومان كما مرت الإشارة إلى ذلك.

*** تدمير الهيكل الروماني الوثني:**

لم يكن الرومان قد اعترفوا بالديانة النصرانية عندما بنوا (جوبيتر) فبقي

---

(١) تأمل عبارة عيسى عليه السلام في الإنجيل (لا يبقى حجر على حجر)، وعبارة القرآن: ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝ ﴾، واستنتج لماذا داخ اليهود بعد حفريات طويلة في العثور على أي أثر للمسجد باستثناء حائط البراق الذي أبقى الله تعالى عليه ليكون آية باقية على رحلة الإسراء التي نسخت حق اليهود في الأرض المقدسة.

(٢) انظر تفسير فتح القدير (٣/ ٢٠٩).

الهيكل على الهيئة الوثنية إلى أن تمكنت النصرانية من أرض فلسطين فدمره النصارى من أساسه في عهد الإمبراطور (قسطنطين) مفسد النصرانية ومدخل التثليث وعقيدة الصليب فيها وهكذا.. أصبحت أرض المسجد الأقصى قاعًا صفصفًا بلا بناء ولكنها ظلت مع ذلك أرضًا مقدسة؛ لأن قداسة الأرض لا تزول بزوال ما فوقها من بناء وكذلك لا تزول تلك القداسة عن الأرض ولو علتها أشياء غير مقدسة كما كان الشأن في الكعبة المشرفة التي انتشرت الأصنام داخلها قبل فتح مكة.

*** انتهاء زمن الهيمنة اليهودية والنصرانية على أرض المسجد الأقصى:**

ظل مكان المسجد خاليًا من بناء مقام فيه بقية عهد الرومان النصارى حتى حدث الإسراء بالنبي ﷺ في عهد الحاكم الروماني هرقل (٦١٠-٦٤١ م) في العام السابق للهجرة، ولما جاء وقت الفتح الإسلامي لبيت المقدس (١٥هـ/ ٦٣٦م) في عهد خلافة عمر ﷺ (١٣-٢٣هـ) لم يكن لليهود آنذاك وجود بها، بل إن (صفر ونيوس) بطريرك النصارى اشترط في عقد تسليم المدينة ألا يدخل المدينة أحد من اليهود.

وهكذا أغلق التاريخ ملف بني إسرائيل أو أهل الكتاب من يهود ونصارى فيما يتعلق بحيازة تلك الأرض المباركة ووراثتها وسدانة معبدها لتنتقل الأرض والمسجد بعد ذلك إلى حيازة ووراثة وصيغة الأمة الإسلامية، وارثة الرسالات وحامية المقدسات، بعد أن أسري بالنبي محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إيذانًا ببدء العهد الإسلامي للأرض المقدسة في ظل الرسالة الخاتمة.

☆☆☆☆

بيت المقدس
في كنف الإسلام

احتلت القدس والمسجد الأقصى منزلة رفيعة في الإسلام بعد أن تحولا إلى إرث الأمة الخاتمة، ولم يكن تعلق المؤمنين من بني إسرائيل بهذه المقدسات بأكثر من تعلق المؤمنين من أتباع محمد ﷺ بها، فالقدس والأقصى يسكنان قلب كل من له قلب من المسلمين.

ولقد جاء النبي الخاتم محمد ﷺ بالشريعة الخاتمة، والكتاب الأخير المهيمن على كل ما سبقه من كتب وما سلفه من رسالات: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] الأمر الذي ألقى مسئولية حفظ وتكريم المقدسات على كاهل المتسبين للكتاب المهيمن والرسالة الخالدة.

إن مكة والكعبة كانتا مقدستين في ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فامتد تقديسهما وتكريمهما عند هذه الأمة المسلمة، وبيت المقدس والمسجد الأقصى كانا مقدسين في ملة إبراهيم وإسحاق وامتد تقديسهما وتكريمهما كذلك عند الأمة المسلمة.

وقد وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بصفات البركة والطهر والقدسية في آيات متعددة:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١].

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٨].

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠].

وجاءت الإشارة إلى قدسية هذه الأرض حين أقسم الله بها مع غيرها في سورة التين: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين: ١-٣][١].

وفي قوله تعالى عن عيسى وأمه عليهما السلام: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] إشارة إلى بيت المقدس، كما قال قتادة وكعب والسُّدي[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق: ٤١] ورد في تفسيرها أن المنادي هو إسرافيل ينادي من صخرة بيت المقدس[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور: ٣٦] جاء في تفسيرها عن عكرمة أنها المساجد الأربعة: الكعبة، ومسجد قباء، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس[٤].

قال الإمام ابن تيمية: «وقد دل الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين، أن الخلق والأمر

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٣).

(٢) انظر: فتح القدير (٣/ ٤٨٦).

(٣) ابن كثير (٤/ ٢٤٧).

(٤) فتح القدير (٤/ ٣٤).

ابتداءً من مكة أم القرى، فهي أم الخلق وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض وهي التي جعلها الله قيامًا للناس، إليها يصلون ويحجُّون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أُسري النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»[١].

وقال ابن كثير في تفسير آية الإسراء: ﴿...إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ هو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن[٢] الأنبياء من إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك ﷺ كلهم، فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم[٣].

فكانت صلاته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقرارًا مبينًا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر، أخذت تمامها على يد محمد ﷺ بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين، وكان في الإسراء دلالة على أن آخر صبغة للمسجد الأقصى وهو المعبد العريق في القدم هي الصبغة الإسلامية فاستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أم رسولها سائر الأنبياء.

ولقد سميت السورة التي ذكر فيها المسجد الأقصى سورة (الإسراء) وسورة (بني إسرائيل) وجاء فيها قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨] أي: إن عدتم للإفساد عدنا عليكم بالعقوبة ففي حادثة (الإسراء) إلغاء أبدي وطي سرمدي

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/ ٤٣، ٤٤) مكتبة ابن تيمية، مصر.
(٢) معدن الأنبياء أي: الأصل الذي نبتوا فيه.
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢).

لصفحة بني إسرائيل من سجل التفضيل والاصطفاء.

ولا شك أن في اقتران الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى بالمسجد الأقصى دليلًا باهرًا على مدى ما لهذا لبيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى ودليلًا كذلك على صحة القول بأن المسجد الأقصى فوق مركز الدنيا وأنه المصعد من الأرض إلى السماء ولهذا عرج بالنبي ﷺ إلى السماء منه.

وقد وردت إلى جانب الآيات آنفة الذكر أحاديث نبوية يتبين لنا منها مدى ما لبيت المقدس والمسجد الأقصى من منزلة وفضل في الإسلام منها:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**»(١).

٢- عن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض، قال: «المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عامًا ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل»(٢).

٣- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم عرج بي إلى السماء»(٣).

٤- عن جنادة بن أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٨٦) (٢٠)، كتاب فضل الصلاة (١) باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١١٨٩) واللفظ له، ورواه مسلم (٢/ ١٠١٤) (١٥) كتاب الحج (٩٥) باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد رقم (٥١١) والحديث مروي عن جماعة من الصحابة بحيث دخل في حد المتواتر.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٤٦٩) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (١٠) باب، رقم (٣٣٦٦) و (٤٠) باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ رقم (٣٤٣٥)، وأخرجه مسلم (١/ ٣٧٠)، (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم (١، ٢) واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (١/ ١٤٥) (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات فرض الصلاة، رقم (٢٥٩).

فذكر الحديث وفيه: «... **وعلامته يمكث في الأرض أربعين صباحًا يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور**»[(١)].

٥- عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا: حكمًا يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» قال رسول الله ﷺ: «**أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجوا أن يكون قد أعطي الثالثة**»[(٢)].

٦- عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره» قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتًا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»[(٣)].

٧- عن ذي الأصابع ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: «**عليك ببيت المقدس، فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٣) وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر: رجاله ثقات، فتح الباري (١٣/ ١٠٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٦)، ورواه ابن ماجه (١/ ٤٥٢) (٥) كتاب إقامة الصلاة (١٩٦)، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، رقم (١٤٠٨) وصححه الألباني في التعليق الرغيب (٢/ ١٣٧)، وصحيح ابن ماجه (رقم ١١٥٦).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٦٣)، ورواه أبو داود (١/ ٣١٥) (٢) كتاب الصلاة (١٤) باب من السرج في المساجد رقم (٤٥٧)، ورواه ابن ماجه (١/ ٤٥١) (٥) كتاب إقامة الصلاة(١٩٦) باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس رقم (١٤٠٧)، وقال في مصباح الزجاجة (١/ ٢٥٠): «وإسناد طريق ابن ماجه صحيح ورجاله ثقات، وهو أصح من طريق أبي داود».

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٨٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وعبد الله في زيادته على أبيه وفيه عثمان بن عطاء، وثقه دحيم وضعفه الناس انظر ترجمة (عثمان ابن عطاء) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٨).

٨- عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا أبا ذر، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟** قال: قلت: إلى السعة والدعة، أنطلق حتى أكون من حمام مكة قال: **كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟** قال: قلت: إلى السعة والدعة، إلى الشام والأرض المقدسة، قال: **وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟** قال: قلت: إذن والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي...»[١] الحديث.

٩- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: قال: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة**»[٢].

١٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس، قال: فقلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: **عليكم بالشام**»[٣].

١١- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم تقذرهم نفس الله تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف**»[٤].

١٢- عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**»[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٧٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٦)، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا السليل ضريب بن نقير لم يدرك أبا ذر.

(٢) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٦٣، ٦٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده ٧/ ١٣٣، ح (٥١٤٦) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح وهو في الترمذي مع التحفة (٦/ ٤٦٣، ٤٦٤)، وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد (١١/ ٨٨)، ح (٦٦٨٧١)، والطيالسي، ح (٢٢٩٣) بنحوه، وقال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٨-١٩٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٢) وقال: رواه البزار

١٣- عن ابن حوالة الأزدي ﷺ قال: «وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو على هامتي ثم قال: **يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك**»(١).

١٤- عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه**»، ثم قال: «**إن هذا الحق كما أنك ههنا أو كما أنك قاعد**» يعني: معاذًا(٢).

١٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرًا ثم صُرف إلى الكعبة»(٣).

وهذه المناقب والفضائل كانت حاديًا للمسلمين منذ عهد الرسالة ثم عهد الصحابة ثم ما تلا ذلك من عهود لكي يرفعوا رايات الجهاد، كلما تهددت قدسية الأرض المقدسة بسوء، وكان علماء الإسلام يشحذون همم المسلمين بتلك المناقب لكي تظل الأرض المقدسة في الشام خالصة للتوحيد كما هو الشأن في مكة مهد التوحيد.

هذا، وقد قال ابن تيمية -رحمه الله-: «ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب

ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي، وهو ثقة، وقال ابن حجر: سنده صحيح.

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٨٨)، وأبو داود (٣/ ٤١)، (٩) كتاب الجهاد (٣٧) باب فالرجل يلتمس الأجر والغنيمة رقم (٢٥٣٥)، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح (٧٨٣٢)، ومشكاة المصابيح ح (٥٤٤٩).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه موقوفًا على معاذ، وقال: إسناده صحيح ووافقه الذهبي: قال ابن كثير في هذا الحديث: إسناده جيد وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلالة النبوة.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٥)، والبخاري نحوه عن البراء (٨) كتاب الصلاة، (٣١) باب: التوجه نحو القبلة حيث كان.

والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمدته في تحضيض المسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق، ونهي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي العسكر المصري إلى الشام، وتثبيت الشامي فيه، وهذه المناقب أمور: أحدها البركة، وتثبت بخمس آيات من كتاب الله، حيث ذكر الله أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها، ومسرى الرسول ﷺ إليها، وانتقال بني إسرائيل إليها، ومملكة سليمان بها، وأيضًا ففيها الطور الذي كلم الله عليه موسى، والذي أقسم الله به في سورة (الطور) وفي: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [التين: ١، ٢]، وفيها المسجد الأقصى، وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل وإليها هجرة إبراهيم وإليها مسرى نبينا ﷺ ومنها معراجه وبها ملكه وعمود دينه وكتابه وطائفة منصورة من أمته وإليها المحشر والمعاد كما أن مكة المبدأ فمكة أم القرى، من تحتها دحيت الأرض والشام إليها يحشر الناس كما في قوله تعالى: ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ حيث نبه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ وإيلياء معاد في الخلق وكذلك في الأمر؛ فإنه أسرى بالرسول ﷺ من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه بالشام فمكة هي الأول والشام هي الآخرة في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية»[1].

تنبيهات هامة:

أولًا: تذكر بأن أرض المسجد الأقصى هي أرض مقدسة بغض النظر عن وجود بناء لمسجد فيها أو عدم وجوده فهي كانت مقدسة قبل أن يبنى فيها المسجد تمامًا كما كانت الأرض التي عليها الكعبة مقدسة قبل أن يبني إبراهيم عليه السلام الكعبة عليها فالمكان نفسه مبارك أي: مكان أرض الكعبة كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ [الحج: ٢٦] فظهر من هذه الآية أن المكان مبارك مقدس، وما كان كذلك فلا يمكن أن يأذن الله تعالى شرعًا بأن يكون سكنًا خاصًا بالمشركين والكافرين فضلًا عن أن يقيموا فيه شعائرهم الكفرية والشركية.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٥).

وكذلك الأمر في أرض بيت المقدس التي وصفت بالبركة والقدسية في آيات كثيرة كما سبق ذكرها، وقد مر أن النبي ﷺ عندما أُسري به إلى المسجد الأقصى لم يكن هناك بناء إلا السور المحيط بأرض المسجد ثم أضفى المسجد عليها قدسية أخرى؛ لأنه المكان الذي تمارس فيه عمليًا شعائر التوحيد المأمور بها، ولهذا تختص تلك الأماكن المقدسة بأن ما يقام فيها من المساجد التي تشد إليها الرحال.

أمر توقيفي ليس لأحد أن يغير مواضع وأماكن البناء فيه يقول ابن تيمية: «ولم يبن أحد من الأنبياء عليهم السلام مسجدًا ودعاء الناس إلى السفر للعبادة فيه إلا هذه المساجد الثلاثة» ثم قال: «ولهذا لا يجوز تغيير واحد من هذه المساجد الثلاثة عن موضعه»(١).

ثانيًا: من التعبيرات الشائعة خطأ بين الناس وفي سائر وسائل الإعلام وصف المسجد الأقصى أو الساحة حوله بأنها (حرم) فيقال: (الحرم القدسي) أو (ثالث الحرمين) أو نحو ذلك، وهذا التعبير خطأ من الناحية الشرعية؛ لأن المسجد الأقصى والساحات المحيطة به مع أنها مباركة ومقدسة بنصوص الوحي إلا أن ذلك الوحي لم يثبت لها حكم (الحرم) الذي تتعلق به في الإسلام أحكام خاصة مثل ألا يقطع شجره، ولا ينفر صيده، ولا يختلى خلاه ولا تلتقط لقطته، إن تلك الأحكام ثابتة في حرمي مكة والمدينة ولها تفاصيلها في مظانها من كتب الفقه أما أرض المسجد الأقصى فلم يتعبدنا الله تعالى بهذه التكاليف فيها على ما قرره أهل العلم، وإذا كان وصف (الحرم) لا يصدق على المسجد الأقصى؛ فإنه لا يصدق على المسجد الإبراهيمي من باب أولى، فلا يصح أن يقال: (الحرم الإبراهيمي).

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «ليس ببيت المقدس مكان يسمى (حرمًا) ولا بتربة الخليل، ولا بغير ذلك من البقاع إلا ثلاثة أماكن: أحدها: هو حرم باتفاق المسلمين، وهو حرم مكة شرفها الله تعالى، والثاني: حرم عند جمهور العلماء، وهو حرم النبي ﷺ من عير إلى ثور، بريد في بريد، فإن هذا عند جمهور العلماء كمالك،

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٥٣).

والشافعي، وأحمد، وفيه أحاديث مستفيضة عن النبي ﷺ، والثالث: "وج" وهو واد بالطائف فإن هذا روي فيه حديث رواه أحمد في المسند، وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث، وليس حرمًا عند أكثر العلماء، وأحمد ضعف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به، وأما سوى هذه الأماكن الثلاثة فليس حرمًا عند أحد من علماء المسلمين، فإن الحرم ما حرم الله صيده ونباته، ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجًا عن هذه الأماكن الثلاثة»[(١)].

ثالثًا: الصخرة لا تتعلق بها عبادة خاصة في الإسلام، وعلى الرغم من التاريخ الديني العريق لها قبل الرسالة إلا أن دين الإسلام حصر التعظيم على سبيل التدين والتقرب في المسجد الأقصى، وهو الذي بناه عمر بن الخطاب ﷺ في مكانه القائم به الآن، ولم يرض عمر ﷺ أن يبني المسجد خلفها حتى لا تتخذ قبلة للمسلمين بعد أن نسخ الله التوجه إليها بالكعبة المشرفة.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة كما أن يوم السبت كان عيدًا في شريعة موسى عليه السلام ثم نسخ في شريعة محمد ﷺ بيوم الجمعة، فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى، وكذلك الصخرة إنما يعظمها اليهود وبعض النصارى»[(٢)].

ولكن باعتبار أن مسجدها يدخل ضمن الأرض التي يطلق عليها وصف (المسجد الأقصى) وهو كل ما كان بداخل السور؛ فإن فضائل المسجد الأقصى تعم أرض المسجد المقام على الصخرة، دون أن تختص الصخرة نفسها بعبادة خاصة، ولكن تبقى الصلاة في المسجد المخصوص الذي بناه عمر ﷺ أفضل من سائر الساحة المباركة داخل السور.

قال ابن تيمية: «فإن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/ ١٤، ١٥).
(٢) المصدر السابق (٢٧/ ١٢، ١٣).

عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمى الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب ﷺ في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد»(١).

أولاً: في عهد النبي ﷺ:

صعد النبي ﷺ إلى السماوات العلى، ليرى من آيات ربه الكبرى، وكان المسجد الأقصى هو المكان الذي صعد منه.. وكان حدث المعراج شرفًا آثر الله به النبي العظيم من ذلكم المسجد العظيم ليرقى إلى ملأ عظيم في ليلة عظيمة.

ولو لم يحدث في زمن النبوة ما يشرف هذا المكان إلا ذلكم الحدث لكفاه، ولكن الواقع أن بيت المقدس كان له نصيب آخر من أحداث عهد النبوة إذ توجه إليه اهتمام الرسول ﷺ عملًا بعد أن ندب إلى تكريمه وتعظيمه معنى.

فبعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبعد أن تم فتح مكة المكرمة وأعز الله دينه فيها، وتمكن المسلمون من رفع راية التوحيد فوق ربوع الكعبة المشرفة، تلفتت أنظار النبي ﷺ صوب بيت المقدس في الشام ليطهرها من أدران الشرك الروماني النصراني، كما طهر مكة من أوضار الشرك العربي الوثني، ولتبدأ بذلك الخطوة الأولى نحو الهدف الكبير... تحرير الأرض المقدسة وتكسير الآصار التي حلت بها.

وكان رسول الله ﷺ قد بعث برسائل إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام، وبعث الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى وحاكمها من قبل الروم (شرحبيل بن عمرو الغساني) ولكنه أوثق المبعوث رباطًا وقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج للشام في العام الثامن للهجرة فاجتمع من المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل قد تهيئوا للخروج إلى مؤتة(٢)، ولم يخرج النبي ﷺ معهم وفي هذه الغزوة قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله

---

(١) المصدر نفسه (٢٧/ ١١).

(٢) (مؤتة) منطقة تقع شمال البتراء في شرق الأردن، قرب الطرف الجنوبي للبحر الميت من جهة الشرق.

بن رواحة الذي تناول الراية من يد أخيه جعفر بعد استشهاده، ثم لما قتل ابن رواحة شهيدًا التقف الراية سيف الله المسلول خالد بن الوليد ففتح الله عليه بأن انسحب ببقية الجيش انسحابًا آمنًا بعد أن ناوش الروم ونال منهم حين انسحابه، وقد حمد له النبي ﷺ هذا الصنيع.

ثم إن الروم قد بدأت بحشد الجيوش للإغارة على دولة الإسلام لتضمن البقاء جاثمة على أرض بيت المقدس ممسكة بزعامة العالم النصراني من هناك؛ حيث الأرض التي ولد عليها عيسى عليه السلام ومنها رفع وهم يدعون أنه صلب وقتل ثم دفن فيها[1]، وأعد الرومان حشودهم ليعيدوا الكرة، وليضربوا الإسلام في شمال الجزيرة ضربة ترده من حيث جاء، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع التسرب منها إلى الأرض المقدسة، وتنامت إلى أسماع المسلمين أنباء الإعداد النصراني، ومع أن قتال الروم ليس بالغزوة السهلة أو الموقعة اليسيرة لكون دولتهم دولة عظمى آنذاك، تبسط سلطانها على عدة قارات، مع ما تملك من الموارد الكثيرة رجالًا وأموالًا، ومع ذلك كله لم يجد النبي ﷺ بدًا من استنفار المسلمين لملاقاة ذلك العدو المستكبر وذلك بعد منصرفه من الطائف في السنة التاسعة للهجرة.

وقد اكتنفت إعداد الجيش الذي أنشئ لقتال الروم في الشام ظروف عصيبة حتى سمي جيش العسرة، والآيات التي أنزلت في القرآن متعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال بين أهل الإسلام وغيرهم من ملل الكفر، فسورة التوبة تفيض بصفحات طوال عن أنباء وأحوال جيش العسرة.

ولما بلغ الجيش الإسلامي تبوك لم يجد للرومان أثرًا يدل على استعداد لحرب، فيبدو أنهم آثروا الاختفاء عن ملاقاة جيش الإسلام الفتي الذي خرج في عدد لم

---

(١) نقلت إذاعة لندن في ١٣ أكتوبر ١٩٨٨م خبرًا مفاده أن متحدثًا كنسيًا باسم الكنيسة الإيطالية أكد أن الاختبارات البريطانية أثبتت بما مقداره (٩٥٪) من اليقين أن المكان الذي اشتهر بأن المسيح عيسى ابن مريم مدفون فيه خلال قرون طويلة مضت، ليس هو المكان الذي فيه المسيح وأن الكفن الموضوع هناك يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

يخرج المسلمون بمثله من قبل؛ إذ كان نحوًا من ثلاثين ألفًا من المقاتلين المعبئين تعبئة لم تسبق لجيش إسلامي وجاء ختام الغزوة طمأنينة وعزة للمسلمين فأقفل الرسول ﷺ الجيش عائدًا إلى المدينة بعد أن أزال رهبة نزال الروم من قلوب المسلمين، وكسر حاجز الخوف من لقائهم(١).

وبعد أن عاد ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو معاقل الروم في أراضي الشام، واختار لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وكان أسامة شابًا حدثًا لم يجاوز الثماني عشرة سنة، فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة، ﷺ الذي قتل في غزوة مؤتة وأن يوطئ الخيل تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين وكان ذلك مع مبدأ شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه.

وتجهز الجيش، وخرج بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذا الوقت اشتدت برسول الله ﷺ شكواه التي قبضه الله تعالى فيها فأقام الجيش هناك ينتظرون ما الله قاض في هذا الأمر.

ثانيًا: في عهد أبي بكر الصديق ﷺ:

اختار الله عز وجل نبيه ﷺ للقائه وآثر ﷺ الرفيق الأعلى على البقاء في الدنيا، واختارت الأمة أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ في ظروف عصيبة ومنعطف حاد في مسيرة الدعوة الإسلامية.

وبدأ الخليفة الجديد في ترتيب أمور الدولة والإبقاء على النظام والاستقرار فيها، ووجد بعث أسامة ينتظر قرارًا بالإنفاذ أو الإيقاف؛ ولكن الصديق كعادته في الوفاء لرسول الله ﷺ أبى إلا أن ينفذ جيشًا أعده الرسول ﷺ قبل وفاته ووجه الجيش إلى تخوم البلقاء فسار إلى حيث وجهه أبو بكر، ولم يكد عهد أبي بكر ﷺ يستقر حتى تداعت فتنة العرب المرتدين تتكالب على أمة لم تندمل جراحها بعد بسبب مصابها الجلل في قائدها وإمامها ونبيها ﷺ.

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١٤٦، ١٤٧).

وشمر أهل الدعوة للدفاع المستميت عنها في حقبة رهيبة، ومع ذلك لم ينشغل القائد الخليفة بمهم الأحداث عن أهمها ولم تلفته تداخلاتها بل نسق جهوده، ورتب خطواته في مسيرة الحفاظ على الأمانة التي تحملها أمام الله تعالى وأمام أمة الإسلام.

أدرك أبو بكر ﷺ خطورة الخطوة التي تجرأ عليها المرتدون وعزم على قتالهم ولم يلتفت إلى نصح من نصحه بالكف عنهم، وقال قولته: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»، وقال: «والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي، ولو خالفتني يميني لقاتلتهم بشمالي» ونصح أبو بكر أيضًا بالاستفادة من بعث أسامة في قتال المرتدين، ولكنه أصر على إتمام إنفاذ جيش أسامة.

وأتم الله تعالى، لأبي بكر النصر الحاسم على المرتدين وتوجه نظره بعد ذلك إلى توجيه جيش إسلامي كبير إلى الشام وإلى العراق فوجه أبا عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص، وولاه إمرة الجيوش كما أرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة لوادي الأردن، وكان عدد هذه الجيوش يقارب الاثنى عشر ألفًا(١)، ثم أسند أبو بكر القيادة العامة لجيش الشام إلى سيف الله المسلول خالد بن الوليد بعد انتهائه من قتال الفرس في العراق، وبدأ الصدام بين جند الرحمن وجند الشيطان والتقى يزيد بن أبي سيفان في وادي عربة جيشًا نصرانيًا يقوده البطريرك (سرجيوس) فهزمه شر هزيمة سنة ١٣ هـ، ثم وقع الالتقاء الثاني بين جيش الإسلام وجيش الروم بقيادة (ثيودورس) شقيق هرقل، في جمادى الأولى من العام نفسه في منطقة (أجنادين)(٢).

وكان (ثيودورس) قد توجه بجيشه البالغ مائة ألف مقاتل، زوده بمعظمهم هرقل وظل هرقل في حمص، وعين قائدًا آخر هو (وردان) على اثنى عشر ألف مقاتل، ووجه إلى بعلبك وأمره أن يحاول منع المسلمين من التجمع تحت قيادة خالد بن الوليد الذي كان محاصرًا لدمشق في ذلك الوقت وجرت محاورات والتفافات قرر

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢).

(٢) منطقة في فلسطين بين الرملة وبين جبرين.

هرقل بعدها تجميع جيوشه في أجنادين فتجمع جمع مبارك من أفذاذ القادة المسلمين حتى ينهزم الجمع المشرك ويولوا الأدبار.

حضر شرحبيل بن حسنة بجيشه وكان بأرض بصرى ومعاذ بن جبل بجيشه وكان بحوران، ويزيد بن أبي سفيان وكان بالبلقاء، والنعمان بن المغيرة وكان بأرض أركه وتدمر، أما عمرو بن العاص فكان بفلسطين، واتجه الجميع إلى أجنادين بفلسطين، يتقدمهم سيف الله المسلول، وكان في المؤخرة أبو عبيدة مع الأحمال والأموال وبدأت رحى المعركة تدور بضراوة حتى انجلى غبارها عن نصر مظفر لأهل لا إله إلا الله.

وتمخضت ملاحم النصر عن فتح عدة مدن بفلسطين منها نابلس، وعسقلان، وغزة، والرملة، وعكا، واللد، وفتح عمرو بن العاص مدنًا أخرى منها يافا ورفح[1]، وبهذا مهدت الجيوش الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق الطريق للزحف نحو بيت المقدس.

وطار الرشاد من عقل الدولة البيزنطية وهي تعاين معاقلها تتهاوى وحصونها تندك تحت أقدام جند الله المؤمنين فحشدت جيوشًا جرارة أخرى قوامها خمسون ألفًا، وقبل مائة ألف مقاتل، وتجمع الجيش الروماني في اليرموك بقيادة (ثيودورس) أخي هرقل ليواجه جيش المسلمين البالغ خمسة وعشرين ألفًا منهم ألف صحابي ومائة بدري، إلا أن الله عز وجل نصر جنده مرة ثانية وفتح للمسلمين فتحًا مبينًا وتمت السيطرة على المنطقة الوسطى من سوريا التي تحمي ظهورهم بالبادية مما مهد لفتح بيت المقدس بعد ذلك.

وبعد هذه الأحداث بوقت قريب لحق أبو بكر بملأ السماء وظفر جثمانه الطاهر بجوار الرسول ﷺ في يوم ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ بعد أن أنجز الوعد ووفى بالعهد.

ثالثًا: في عهد عمر بن الخطاب ﷺ:

---

(١) انظر: (فتوح البلدان) للبلاذري ص (١٤٤-١٤٥).

انتهى دور خالد بن الوليد ﷺ في قيادة جيش اليرموك بانتهاء حياة أبي بكر ﷺ وعين عمر بن الخطاب أبا عبيدة قائدًا بعد خالد، حتى لا يفتن الناس بخالد المظفر الذي لم يهزم في معركة قط، وحتى يعلموا أن النصر من عند الله وليس من عند خالد.

ووجه عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح ﷺ لفتح المدينة المقدسة، وكان معسكرًا في الجابية[1]، ولما وصله رسول عمر قام أبو عبيدة بتوجيه خالد بن الوليد في خمسة آلاف فارس نحو بيت المقدس، ثم أتبعه بخمسة آلاف آخرين بقيادة يزيد بن أبي سفيان، ثم خمسة آلاف بقيادة شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم جميعًا، واجتمعت الجيوش كلها ولحق بها أبو عبيدة وضربوا الحصار حول المدينة المقدسة في أيام برد شديد، حتى استيأس أهل إيلياء من مغالبة الحصار بعد مرور أربعة أشهر، فطلبوا الصلح من أبي عبيدة على أن يتولى الخليفة عمر بنفسه استلام المدينة ليضمنوا العهد والأمان منه.

فأجابهم أبو عبيدة إلى مرادهم وأرسل طالبًا إلى الخليفة عمر ﷺ أن يحضر لتسلم المدينة وجاء وفد أبي عبيدة إلى المدينة وبصحبتهم وفد من النصارى فسألوا عن أمير المؤمنين ليبلغوه طلب رؤسائهم واشتد عجبهم عندما رأوا قائد دولة المسلمين مفترشًا الأرض تحت ظل شجرة يحتمي بها من قيظ الحر.

أجابهم عمر وقرر الخروج إلى إيلياء وكانت لا تزال تسمى بهذا الاسم، ووصل عمر الفاروق المحدث المظفر إلى المدينة ليحرر مسرى رسول الله ﷺ من آصار الشرك الصليبي ودخل القدس عن طريق جبل (المكبر)[2] الذي سمي بهذا الاسم لأن عمر ﷺ لما أشرف على المدينة المقدسة من فوقه كبر وكبر معه المسلمون.

وكان عمر ﷺ ممتطيًا بعيرًا أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق وفي الأخرى

---

(١) وهي قرية من منطقة الجولان الآن.

(٢) وهو جبل (طور زيتا).

تمر، وبين يديه قربة مملوءة بالماء، وخلفه جفنة للزاد[١]، وذكر ابن الجوزي أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة فعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغلامه فنزل عمر وركب الغلام وعمر يمسك بخطام البعير فلما رآه المحصورون آخذًا بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، وبكى بطريرك النصارى (صفر يونيوس) وقال: «إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة»[٢].

وكتب عمر وثيقة الأمان، وبعد أن انتهى من كتابتها طلب من البطريرك أن يدله على مكان مسجد داود[٣] فسار وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم، وراوغهم البطريرك ليعمي عليهم مكان المسجد وفي النهاية مضى بهم إلى مكان مسجد بيت المقدس حتى وصلوا الباب المسمى (باب محمد) وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة على درجه، فتجشم الجميع الدخول إلى الصحن، ونظر عمر يمينًا وشمالًا ثم قال: «الله أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسري به إليه» وكان على الصخرة زبل كثير مما طرحته الروم غيظًا لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل والمسلمون يحذون حذوه ومضى عمر نحو مكان محراب داود فصلى فيه وقرأ سورة ﴿ صٓ ﴾ وسجد[٤].

وذكر المؤرخون أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عندما دخل الساحة سأل كعب الأحبار الذي كان من جنود الفتح، وكان يهوديًا فأسلم ﷺ سأله عن مكان الصخرة فدله عليها وكان مغطاة بالزبل، فأزال عمر ومعه المسلمون الزبل من عليها وقرر أن يبني هناك مسجدًا فاستشار كعب الأحبار فأشار عليه أن يبنيه خلف الصخرة لتجتمع قبلتا موسى ومحمد عليهما السلام، ولكن عمر رفض وقال له:

---

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

(٢) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/ ٢٥٧).

(٣) ولم يكن هناك بناء لمسجد وإنما سمي باعتبار كونه مسجد.

(٤) الأنس الجليل (١/ ٢٢٥، ٢٢٦)، وانظر البداية والنهاية (٧/ ٥٦، ٦٢).

«ضاهيت اليهودية يا كعب»، وأقام المسجد أمام الصخرة وجعلها في مؤخرته[١].

رابعًا في العهد الأموي:

ظل المسجد الذي أقامه عمر بن الخطاب قائمًا في عصور الخلفاء والراشدين التالية لعهده حتى جاء عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ أول خليفة في دولة بني أمية فنودي بالبيعة له في مدينة القدس ولكنه اختار مدينة دمشق عاصمة لخلافته بعد البيعة التي كانت سنة ٤٠هـ في مدينة القدس[٢]، وتولى الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد عملية إعمار المدينة المقدسة وتجديدها، وظلت أعمال الإعمار جارية على قدم وساق حتى أصبحت مدينة بيت المقدس في عهدهما من أعظم المراكز في الدولة الإسلامية فقد أعادا بناء الأسوار المحيطة بالمدينة، وأقاما الأبنية والقصور بجوار الزاوية الجنوبية لسور المسجد ليسكنها أمراء القدس في العهود الأموية، ثم العباسية، ثم الفاطمية فيما بعد[٣]، وأخذ عبد الملك البيعة لنفسه في بيت المقدس كما ذكر ذلك خليفة بن خياط[٤]، وتولى تشييد مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وكلف عبد الملك لهذه المهمة أحد العلماء الأعلام وهو أبو المقدام رجاء بن حيوة، ومعه يزيد بن سلام، وكان البدء في ذلك البناء عام ٦٦هـ- ٦٨٥م، وأوقف عبد الملك خراج مصر لسبع سنين لتشييدهما وتم البناء عام ٧٢-٧٣هـ وبعد الانتهاء من ذلك الإنجاز كتب رجاء ويزيد إلى عبد الملك بدمشق رسالة جاء فيها: «قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم كلام وقد بقي مما أمر أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب».

فكتب إليهما الأمير: «قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة البيت

(١) فتوح الشام (١/ ٢٤٢).
(٢) انظر تاريخ الطبري (٦/ ٩٣).
(٣) تاريخ القدس في الإسلام ص ١١٩.
(٤) الطبقات (١/ ٣٢٩).

الشريف المبارك» فكتبا إليه: «نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا فضلًا عن أموالنا..»[١].

أما الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز فإنه لما تولى الحكم طلب من جميع ولاته أن يزوروا المسجد الأقصى ويقسموا يمين الطاعة والعدل بين الناس فيه[٢].

ثم جاء عهد العباسيين ثم الطولونيين والإخشيديين وفي كل تلك العهود كان المسجد الأقصى وبيت المقدس مصانًا معظمًا في أيدي المسلمين قرونًا طويلة قام الخلفاء خلالها بإصلاحات وتوسيعات عديدة في مسجد الأقصى.



---

(١) الأنس الجليل (١/ ٢٧٣).

(٢) كتاب قبل الكارثة نذير ونفير (٦٩-١٢٥).

ضعف الدولة الإسلامية واستيلاء الجيش الصليبي على بيت المقدس

رُزء المسلمون بالدولة العبيدية (٢٩٧ - ٥٦٧) والمسماة زورًا بالدولة الفاطمية ظاهرهم الرفض(*) وحقيقتهم الكفر المحض وقد وصف ابن كثير وغيره من المؤرخين ملوك الدولة العبيدية بأنهم من أنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة وقد ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون والعلماء، وكثر بأرض الشام النصيرية والدرزية والحشيشية وتغلب الفرنج على الساحل وفي فلسطين قربوا اليهود والنصارى وتزاوجوا منهم وأبرموا المعاهدات مع الدولة البيزنطية النصرانية.

قال الذهبي: وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهدوه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه)[1] وفي حوادث سنة (٣٨١)هـ ضرب رجل من أهل مصر وطيف به في المدينة لأنهم وجدوا عنده كتاب الموطأ للإمام مالك)[2].

وقعت القدس تحت طائلة الحكم العبيدي في عهد الحاكم الفاطمي المعز لدين الله حيث احتل قائده جوهر الصقلي فلسطين ٩٦٩م فكان حكمهم لبلاد المسلمين آنذاك من الأسباب الرئيسية في النكبة الصليبية حيث أقام الأوروبيون بالقدس مملكة نصرانية، حيث سارت كتلة الجيش الصليبي نحو إنطاكية فسقطت سنة ١٠٩٨م. وتقدم الصليبيون نحو الجنوب دون أن يجدوا مقاومة تذكر نحو بيت المقدس واقتحموا أسوارها في سنة ١٠٩٩م وأنزلوا بأهلها مذبحة قتل فيها سبعون ألفًا من سكانها، وعاثوا فيها فسادًا وخرابًا دونما اكتراث لقدسيتها وحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة ومكانًا لسكن خيولهم[3].

(*) الرفض: هو التشيع العقائدي وأساسه موالاة آل البيت والتبرؤ من الصحابة وعلى رأسهم الشيخين أبي بكر وعمر وتكفيرهم.

(1) سير إعلام النبلاء ١٥/ ١٥٤.

(2) ضحى الإسلام ١/ ١٩٥.

(3) انظر أطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس ص ٢٦٨.

ولكن الله -تعالى- قيض صلاح الدين الأيوبي الذي بدأ طريق فتح القدس بإسقاط الدولة العبيدية الباطنية أولًا ثم أرجع مصر إلى السنة وأقام الخطبة للخليفة العباسي بعد أن انقطعت الخطبة للعباسيين بمصر (٢٠٨) سنة ووحّد مصر والشام ومن ثم قاد حملات مركزة ضد قلاع الصليبيين القريبة حتى هزم الصليبيين في معارك عديدة كان أهمها معركة حطين (قرب بحيرة طبرية) في ٢٥/ ربيع الثاني ٥٨٣هـ وفي السابع والعشرين من شهر رجب من نفس السنة وفي يوم جمعة أظفره الله بالفتح الأعظم فتح بيت المقدس وعاد الأذان إلى منابرها وعاد المسجد الأقصى بعد غياب واحد وتسعين سنة وأرسل إليه ملك الإنجليز يساومه في أمر سكنى النصارى بيت المقدس فأجابه السلطان صلاح الدين: (إن القدس ليس لكم من حديث سوى الزيارة)[1]. فانتهى بذلك دور الصليبيين، فكانوا من الغزوات العابرة.

[1] الروضتين في أخبار الدولتين ٢/ ٢٠٠.

فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي

أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس:

وهذا فصل نُسج بماء العيون، بأقلام نخبةٍ من الفصحاء البلغاء من أعلام المسلمين.. يلوح في كل سطر منه فرح المسلمين بهذا النصر العظيم الذي أعاد للناس فتوح الصحابة وأيامهم:

وصف الفتح بقلم القاضي ابن شداد:

قال القاضي ابن شداد: لما تسلم السلطان عسقلان والأماكن التي هي محيطة بالقدس، شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصده، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل بعد قضاء لبانتها من النهب والغارة، فسار نحوه معتمدًا على الله، مفوضًا أمره إلى الله، منتهزًا فرصة فتح باب الخير الذي حث على انتهازه إذا فتح بقوله -عليه السلام-: «**من فتح له باب خير فلينتهزه، فإنه لا يعلم متى يغلق دونه**»[1]، وكان نزوله عليه -قدس الله روحه- يوم الأحد الخامس عشر من رجب، فنزل بالجانب الغربي، وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة ولقد تحازر أهل الخبرة عدة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين ألفًا ما عدا النساء والصبيان، ثم انتقل -رحمه الله- لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالي وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب عليه المنجنيقات، وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة، حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم في قرنة شمالية ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع، وظهرت لهم أمارات نصرة الحق على الباطل وكان الله قد ألقى في قلوبهم الرعب بما جرى على أبطالهم ورجالهم من السبي والقتال والأسر، وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ علموا أنهم إلى ما صاروا إليه صائرون وبالسيف الذي قتل به إخوانهم يقتلون، فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان، واستقرت القاعدة بالمراسلة بين الطائفتين، وكان تسلمه له يوم الجمعة

---

(١) مرسل: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٧)، وأحمد في «الزهد» (٤٧٢) من حديث حكيم بن عمير مرسلًا، وأورده المزي في تهذيب الكمال (٨/ ١٧٢) من قول خالد بن معدان.

السابع والعشرين من رجب، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن المجيد فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله عوده إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟! وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله -تعالى-(١).

قلت: هذا أحد الأقوال في ليلة المعراج، وفي ذلك اختلاف كثير، ذكرناه في مواضع غير هذه، والله أعلم.

ثم قال القاضي: وكان فتوحًا عظيمًا شهده من أهل العلم خلق عظيم، ومن أرباب الخرق(٢) والحرق(٣) وذلك أن الناس لما بلغهم ما من الله به على يده من فتوح الساحل، شاع قصده للقدس، فقصده العلماء من مصر والشام، بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير، وخُطب فيه وصليت فيه الجمعة يوم فتحه، وحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة، وكان شكلًا عظيمًا، ونصر الله الإسلام نصرًا عزيزًا مقتدرًا، وكان قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرة دنانير، وعن كل امرأة خمسة دنانير، وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارًا واحدًا.

قلت(٤): كذا قال، وسيأتي في كتاب العماد أن على كل صغير دينارين، وكذا قال: إن الجمعة صليت ببيت المقدس يوم فتحه، وسيأتي في كتاب العماد التصريح بأن يوم الفتح ضاق عن ذلك، فصليت في يوم الجمعة الآتي.

ثم قال القاضي: فمن أحضر القطيعة سلم بنفسه وإلا أخذ أسيرًا وفرج الله عمن كان فيه من أسرى المسلمين، وكانوا خلقًا عظيمًا زهاء ثلاثة آلاف أسير، وأقام عليه -رحمه الله- يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء ويوصل من دفع

---

(١) هذا لا يصح: فقد قال الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب»: أما ما يقوله القصاص والمذكرون من أن الإسراء والمعراج كان في رجب فذلك كذب.

(٢) يعني: الصوفية.

(٣) الحرق: السيوف الماضية، ولعل المراد من أرباب الحرق هم المتطوعة.

(٤) أي الشيخ سيد حسين العفاني.

قطيعته منهم إلى مأمنه وهو صور.

وقال: ولقد بلغني أنه -رحمه الله- رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المال شيء، وكان مائتي ألف دينار وعشرين ألفًا، وكان رحيلُه عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة[١].

فتح بيت المقدس بقلم الحافظ ابن كثير:

قال الحافظ ابن كثير: تحت عنوان «فتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وسبعين سنة»: «لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة -أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة- فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل، دون بيت المقدس أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذ رجلًا يقال له (بالبان بن بازران) ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان، من الداوية والاستارية أتباع الشيطان، وعبدة الصلبان، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السورة وأبراجه ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام، لأنه رآها أوسع للمجال، والجلاد والنزال، وقاتل الفرج دون البلد قتالًا هائلًا وبذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقمامتهم واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين، فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين واجتهدوا في القتال ونصب المنجانيق والعرادات[٢] على البلد، وغنت السيوف والرماح الخطيات، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران وفوق قبة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقًا وشدة للتشمير وكان ذلك يومًا عسيرًا على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السورة فنقبها وحشاها وأحرقها

---

(١) «عيون الروضتين» لأبي شامة (٣/ ٣٣١-٣٣٢).

(٢) العرادات: آلات تستعمل في الحصار.

فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته فإذا هو واجب[١] فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع والخطب المؤلم الوجيع قصد أكابرهم السلطان، وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فامتنع من ذلك وقال: ألا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة، ولا أترك بها أحدًا من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه فلما حضر ترفق للسلطان وذل ذلًا عظيمًا وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا: إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا وكانوا قريبًا من أربعة آلاف وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا وخربنا الدور والأماكن الحسنة، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه ولا نبقي ممكنًا في إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعدادًا منكم، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟

فلما سمع السلطان أجاب إلى الصلح وأناب، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير وعن كل صغير وصغيرة دينارين ومن عجز عن ذلك كان أسيرًا للمسلمين، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين وأنهم يتحولون منها إلى مأمنهم وهي مدينة صور، فكتب الصلح بذلك وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يومًا فهو أسير، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل وذلك يوم السابع والعشرين من رجب ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافًا لمن زعم أنها أقيمت يومئذ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة وكان الخطيب محيي الدين بن محمد بن علي

---

(١) واجب: أي: ساقط.

القرشي ابن الزكي.

ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وخربت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير واتخذوا المحراب مشتًا -لعنهم الله- فنظف من ذلك كله، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، وغُسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الورود والمِسْكِ الفاخر وأبرزت للناظرين وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ووضع الصليب عن قبتها وعادت إلى حرمتها، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعًا فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهبًا فتعذر استعادة ما قطع منها.

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال، وأطلق السلطان خلقًا منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئًا مما يقتنى ويدخر وكان رحمه الله حليمًا كريمًا مقدامًا شجاعًا رحيمًا»[1].

*** فتح القدس بقلم العماد:**

قال العماد- رحمه الله-: «رحل السلطان من عسقلان للقدس طالبًا وبالعزم غالبًا وللنصر مصاحبًا ولذيل العز ساحبًا، والإسلام يخطب من القدس عروسًا ويبذل لها في المهر نفوسًا ويحمل إليها نعمي ليحمل عنها بوسى ويهدي بشرًا ليذهب عبوسًا، ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية لإعدائها على أعدائها، وإجابة دعائها وتلبية ندائها، وإطلاع زهر المصابيح في سمائها، وإعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه، ورده إلى سكونه وسكنه وإقصاء الذين أقصاهم الله -تعالى- بلعنته من الأقصى، وجذب قياد فتحه الذي استعصى، وإسكات الناقوس منه بإنطاق الأذان، وكف كف الكفر عنه بأيمان الإيمان، وتطهيره من أنجاس تلك الأجناس وأدناس أدنى الناس وطار الخبر إلى القدس فطارت قلوب من به رعبًا وطاشت وخفقت

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٣٤٤-٣٤٦).

أفئدتهم خوفًا من جيش الإسلام وجاشت وتمنت الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت وكان به من مقدمي الفرنج (باليان بن بارزان) وهو وملكهم في التسلط سيان والبطرك الأعظم وهو الشاني العظيم الشان، والذين أغفلتهم حياطة حطين من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية، من ذوي الكفر والشنآن وقد حشروا وحشدوا ونشروا ونشدوا، وحميت حميتهم، وأبت الضيم أبيتهم، وحارت غيرتهم، وغارت خيرتهم، وتبلدوا وتلددوا، وقاموا وقعدوا وصوبوا وصعدوا فاشتغل بال باليان، واشتعل بالنيران، وخمدت نار بطر البطرك وضاقت بالقوم منازلهم فكأن كل دار منها شرك للمشرك، وقاموا للتدبير في مقام الإدبار، وتقسمت أفكار الكفار، وأيس الفرنج من الفرج، وأجمعوا على بذل المهج، وقالوا: ها هنا نطرح الرءوس ونسبك النفوس، ونسفك الدماء، ونهلك الدهماء، ونصبر على اقتراح القروح واجتراح الجروح، ونسمح بالأرواح شحًا بمحل الروح فهذه قمامتنا[1]، فيها مقامتنا ومنها تقوم قيامتنا وتصيح هامتنا، وتصح ندامتنا، وتسيح علامتنا، وتسح غمامتنا، وبها غرامنا، وعليها غرامتنا، وبإكرامها كرامتنا، وبسلامتها سلامتنا، وباستقامتها استقامتنا وفي استدامتها استدامتنا وإن تخلينا عنها لزمت لآمتنا، ووجبت ملامتنا، ففيها المصلب والمطلب، والمذبح والمقرب، والمجمع والمعبد والمهبط والمصعد والمرقى والمرقب، والمشرب والملعب، والمموه والمذهب والمطلع والمقطع والمربى والمربع، والمُرخَّم المرخمَّ، والمحلل والمحرم، والصور والأشكال، والأنظار والأمثال، والأشباه والأشباح، والأعمدة والألواح، والأجسام والأرواح، وفيها صورة الحواريين في حوارهم، والأحبار في أخبارهم، والرهابين في صوامعهم، والأقساء في مجامعهم، والحسرة وحبالها، والكهنة وخيالها، ومثال السيدة والسيد والهيكل والمولد، والمائدة والحوت، والمنعوت والمنحوت والتلميذ والمعلم، والمهد والصبي المتكلم، وصورة الكبش والحمار والجنة والنار، والنواقيس والنواميس.

قالوا: وفيها صلب المسيح وقرب الذبيح، وتسجد اللاهوت،وتأله الناسوت، واستقام التركيب، وقام الصليب، ونزل النور، وزال الديجور، وازدوجت الطبيعة

---

(١) القمامة من أعظم الكنائس في بيت المقدس، وتسمى أيضًا كنيسة القيامة.

بالأقنوم، وامتزج الموجد بالمعدوم، وعمدت معمودية المعبود، ومخضت البتول بالمولود، وأضافوا إلى متعبدهم من هذه الضلالات ما ضلوا فيه بالشبه عن نهج الدلالات، وقالوا: دون مقبرة ربنا نموت وعلى خوف فوتها منا نفوت، وعنها ندافع، وعليها نقارع، وما لنا ألا نقاتل وكيف لا ننازع ولا ننازل ولأيٍّ معنى نتركهم حتى يأخذوا وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا؟!

وتأهبوا وتباهوا، وما انتهوا بل تناهوا، ونصبوا المجانيق على الأسوار، وستروا بظلمات الستائر وجوه الأنوار، واستشاطت شياطينهم، وسرحت سراحينهم، وطغت طواغيتهم، وأصليت مصاليتهم، وهاج هائجهم، وماج مائجهم، وحضتهم قسوسهم، وحرضتهم رءوسهم، وحركتهم نفوسهم، وجاءتهم بجوى السوء جواسيسهم.

ونصبوا على كل نيق[1] منجنيقًا وحفروا الخندق حفرًا عميقًا، وشادوا في كل جانب ركنًا وثيقًا، وفرقوا على كل برج فريقًا، وجعلوا إلى كل طارق بالردى للرد طريقًا، وأعادوا كل نهج واسع بما وعروه وعوروه به مضيقًا، وتحمل كل منهم ما لم يكن له من قبل مطيقًا، وخرج جماعة منهم على سبيل اليزك[2]، فأدلجوا ليلًا، واعترضوا عدة من أصحابنا غارة، على طريق السلامة مارة، وكان قد شذ من المقدمة المنصورة أمير تقدم وما تحرز ولا تحزم، وما ظن أن قدامه من له جرأة الإقدام ومن يعتقد أن ربح كفره خسارة الإسلام، وهو الأمير جمال الدين شروين بن حسن الزرزاري، فوقعوا عليه في موضعٍ يعرف بالقبيبات فاستشهد رحمه الله ولما بلغ السلطان خبره ساءه وغمه.

ثم أقبل بإقبال سلطانه وأبطال شجعانه، وأقيال أولاده وإخوانه، وأشبال مماليكه وغلمانه، وكبار أمرائه وعظام أوليائه، وأصبح يسأل عن الأقصى، وطريقه الأدنى وفريقه الأسنى، ويذكر ما يفتح الله عليه بحسن فتحه من الحسنى، وقال: إن

---

(١) النيق: أرفع موضع في الجبل، انظر «القاموس المحيط» (نوق).

(٢) اليزك: كلمة فارسية تعني: طلائع الجيش.

أسعدنا من الله على إخراج أعدائه من بيته المقدس فما أسعدنا، وأي يد له عندنا إذا أيدنا وإنه مكث في أيدي الكفر إحدى وتسعين سنة لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة، ودامت همم الملوك دونه متوسنة[١]، وخلت القرون عنه متخلية وخلت الفرنج به متولية، فما ادخر الله فضيلة فتحه إلا لآل أيوب، ليجمع لهم بالقبول القلوب.

وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس والمسجد الأقصى، المؤسس على التقوى، وهو مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأنقياء، ومزار أبدال الأرض وملائكة السماء ومنه المحشر والمنشر، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر، وفيه الصخرة التي صينت جدة أبهاجها من الإنهاج[٢]، ومنها منهاج المعراج ولها القبة الشماء التي هي على رأسها كالتاج، وفيه ومض البارق ومضى البراق، وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق.

ومن أبوابه باب الرحمة، الذي يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول الخلود وفيه كرسي سليمان ومحراب داود، وفيه عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود وهو أول القبلتين وثاني البنيتين، وثالث الحرمين، وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تشد إليها الرحال، وتعقد الرجاء بها الرجال، ولعل الله يعيده بنا إلى أحسن صورة كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة فقال عز من قائل: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١] وله فضائل ومناقب لا تحصى، ومنه كان الإسراء، ولأرضه فتحت السماء، وعنه تؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء، وشهادة الشهداء وكرامات الكرماء، وعلامات العلماء، وفيه مبارك المبار، ومسارح المسار، وصرختها الطولى القبلة الأولى، ومنها تعالت القدم النبوية، وتوالت البركة العلوية، وعندها صلى نبينا ﷺ بالنبيين وصحب الروح الأمين، وصعد منها إلى أعلى عليين وفيه محراب مريم -عليها السلام-، الذي قال الله فيه: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

---

(١) أي: نائمة.

(٢) الإنهاج: البلى، ومنه: نهج الثوب، بلى وخلق انظر لسان العرب «نهج».

ﱡﭐﭐﱠ [آل عمران: ٣٧] ولنهاره التعبد، ولليله المحيا وهو الذي أسسه داود وأوصى ببنائه سليمان، ولأجل إجلاله أنزل الله سبحانه ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ وهو الذي افتتحه الفاروق، وافتتحت به سورة من الفرقان.

فما أجله وأعظمه، وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجلاه، وأسماه وأسناه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزاينه، وقد أظهر الله طوله وطوله بقوله: ﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ وكم فيه من الآيات التي أراها الله نبيه، وجعل مسموعنا من فضائله مرئية، ووصف للسلطان من خصائصه ومزاياه، ما وثق على استعادة آلائه مواثيقه وألاياه[1]، وأقسم لا يبرح حتى يبر قسمه، ويرفع بأعلاه علمه، وتخطو إلى زيارة موضع القدم النبوية قدمه، ويصغى إلى صرخة الصخرة، وسار واثقًا بكمال النصرة».

* **نزول السلطان على البيت المقدس وحصره وما كان من أمره:**

قال العماد: نزل السلطان على غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب، وكان في القدس حينئذ من الفرنج ستون ألف مقاتل من فارس وراجل، وسائف ونابل، فاستهدفوا للسهام، واستوقفوا للحمام، وقالوا: كل واحد منا بعشرين وكل عشرة بمائتين ودون القيامة تقوم القيامة، ولحب سلامتها تقلى السلامة.

وأقام السلطان خمسة أيام يدور حول البلد، ويقسم على حصاره أهل الجلد، وأبصر في شماليه أرضًا رضيها للحصار، متسعة لمجال الأسماع والأبصار، ممكنة للدنو من النقب إن صار من حيز الأنصار، فانتقل إلى المنزل الشمالي يوم الجمعة العشرين من شهر رجب فما أصبح يوم السبت إلا على منجنيقات قد نصبت بلا نصب قدام القتال والنزال، وفرسانهم في كل يوم يباشرون دون الباشورة، أمام جموعهم المحصورة المحسورة المحشورة، ويبرزون ويبارزون ويطاعنون، ويحاجزون، والمطيعون لله عليهم يحملون ومن دمائهم ينهلون وينهلون كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١]

(١) ألايا: جمع مفردها الألوة: اليمين انظر «لسان العرب» «ألا».

وممن استشهد مبارزًا، ولم يشهد بينه وبين الجنة حاجزًا الأمير عز الدين عيسى بن مالك، كان أبوه صاحب قلعة جعبر، فإنه حاز بشهادته في المحشر المفخر، وأكثر ورود الموت إلى أن ورد الكوثر وكان في كل يوم يفرس فوارس، ويلقى ببشر وجهه وجوه المنون العوابس، فاغتم المسلمون من صرعته، وهان عليهم إتلاف المهج بعد تلاف مهجته، فركبوا أكتاف الرهج، حتى وصلوا إلى الخندق فخرقوه، وبددوا جمعه وفرقوه، والتصقوا بالسور فنقبوه وعلقوه وحشوه وأحرقوه، وصدقوا وعد الله في القتال لأعدائه فصدقوه ولما غضتهم الحرب، وقع السورة واتسع النقب فصعب عليهم الهين وهان لنا الصعب، عقدوا ما بينهم مشورة وقعدوا ما بينهم ضرورة وقالوا: ما لنا إلا الاستئمان، فقد أخذ لنا بخطه الخذلان والحرمان، وأخرجوا كبراءهم ليؤخذ لهم الأمان، فأبى السلطان إلا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم وقال: ما آخذ القدس إلا كما أخذوه من المسلمين منذ إحدى وتسعين سنة، فإنهم استباحوا القتل ولم يتركوا طرفًا يستزير سنة، فأنا أفني رجالهم قتلًا، وأحوي نساءهم سبيًا، فبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان بموثقه وطلب الأمان لقومه، وتمنع السلطان وتسامى في سومه، وقال: لا أمن لكم ولا أمان، وما هوانا إلا أن نديم لكم الهوان، وغدًا نملككم قسرًا ونوسعكم قتلًا وأسرًا، ونسفك من الرجال الدماء، ونسلط على الذرية والنساء السباء، وأبى في تأمينهم إلا الإباء، فتعرضوا للتضرع، وخوفوا عاقبة التسرع، وقالوا: إذا أيسنا من أمانكم وخفنا من سلطانكم وخبنا من إحسانكم وأيقنا أنه لا نجاة ولا نجاح، لا صلح ولا صلاح، ولا سلم ولا سلامة، ولا نعمة ولا كرامة، فإنا نستقتل فنقاتل قتال الدم والندم، ونقابل الوجود بالعدم، ونلقي أنفسنا على النار ولا نلقي بأيدينا إلى التهلكة والعار، ولا يجرح منا واحد حتى يجرح عشرة، وإنا نحرق الدور، ونخرب القبة ونترك عليكم في سبينا السبة، ونقلع الصخرة ونوجدكم عليها الحسرة، وقبة الصخرة نرميها وعين سلوان نعميها والمصانع نخسفها، والمطالع نكسفها، وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير، ما بين غني وفقير وكبير وصغير فنبدأ بقتلهم وشت شملهم وأما الأموال فإنا نعطبها ولا نعطيها وأما الذراري فإنا نسارع إلى إعدامها ولا نستبطيها، فلا يحصل لكم سبي،

ولا يقبل لكم سعي، ولا يسلم عمر ولا عمارة، ولا نضار ولا نضارة، ولا نساء ولا صبيان ولا جماد ولا حيوان، فأي فائدة لكم في هذا الشح، وكل خسر لكم في هذا الربح، ورب خيبة جاءت من رجاء النجح ولا يصلح السوء سوى الصلح، فشاور السلطان أصحابه فقيل له الصواب أن نحسبهم أسارانا فنبيعهم نفوسهم ونعمم بصغار الجزية رءوسهم، ويدخل في القطيعة مرءوسهم ورئيسهم.

واستقر بعد مراودات ومعاودات، ومفاوضات وتفويضات وضراعات من القوم وشفاعات على قطيعة تكمل بها الغبطة، ويحصل منها الحوطة اشتروا بها منا أنفسهم وأموالهم وخصلوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم على أنه من عجز بعد أربعين يومًا عما لزمه، أو امتنع منه وما سلمه ضرب عليه الرق وثبت في تملكه لنا الحق، وهو عن كل رجل عشرة دنانير، وعن كل امرأة خمسة دنانير، وعن كل صغيرة أو صغير ديناران، الذكر والأنثى في ذلك سيان، ودخل ابن بارزان والبطر ومقدما الداوية، والإسبتار في هذا الضمان، وبذلك ابن بارزان ثلاثين ألف عن الفقراء وقام بالأداء ولم ينكل عن الوفاء فمن سلم خرج من بيته آمنًا، ولم يعد إليه ساكنًا وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذا القطيعة، وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة، وكان فيه أكثر من مائة ألف إنسان من رجال ونساء وصبيان فأغلقت دونهم الأبواب ورتب لعرضهم واستخرج ما يلزمهم النواب ووكل بكل باب أمير ومقدم كبير يحصر الخارجين، ويحصي الوالجين ووكل بكل باب أمير ومقدم كبير يحصر الخارجين ويحصي الوالجين، فمن استخرج منه خرج ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج، ولو حفظ ذلك المال حق حفظه، لفاز منه بيت المال بأوفر حظه، لكنما تم التفريط وعم التخليط فكل من رشا مشى، وتنكب الأمناء نهج الرشد بالرشا، فمنهم من أدلي من السور بالحبال ومنهم من حمل مخفيًا في الرحال، ومنهم من غيرت لبسته فخرج مخفيًا في زي الجند، ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل بالرد، والثقات الأكابر استنابوا أصاغر، فأقاموا في تقصيرهم المعاذر، وقنوا لأنفسهم الذخائر، وادعى مظفر الدين كوكبوري أن منهم جماعة من

أرض الرها، وعددها ألف نسمة، فجعل إليه أمرها، وكذلك صاحب البيرة ادعى بالعدة الكثيرة زهاء خمسمائة أرمني ذكر أنهم من بلده، وأن الواصل منهم إلى القدس لأجل متعبده، وكذلك كل من استوهب عدة استطلقها، وحصل له مرفقها، ثم تولى الملك العادل استخراجهم، وقوم على الأداء منهاجهم وسهل على السلطان لفرط جوده الاستخراج والإخراج، وتوفر لعامة الناس وخاصتهم ببهجة سماحة الابتهاج، وما فينا إلا من فاز بأوفى نصيب، ورعى منه في مرعى خصيب.

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين، في كل ديوان منها عدة من النواب المصريين، وفيهم من الشاميين، فمن أخذ من أحد الدواوين خطًّا بالأداء، انطلق مع الطلقاء، بعد عرض خطه على من بالباب من الأمناء والوكلاء فذكر لي من لا أشك في مقاله أنه كان يحضر في الديوان، ويطلع على حاله، فربما كتبوا خطا لمن نقده في كيسهم وتلبس أمر تلبيسهم، فكانوا شركاء ببيت المال لا أمناء، وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما أضر غناءه، ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار، وبقي من بقي تحت رق وإسار، ينتظر به انقضاء المدة المضروبة والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة.

وكانت بالقدس ملكة رومية متعبدة مترهبة، في عبادة الصليب متصلبة، وعلى مصابها متلهبة وفي التمسك بملتها متصعبة متعصبة، أنفاسها متصاعدة للحزن، وعبراتها متحدرة تحدر القطرات من المزن، ولها حال ومال، ومتاع، وأشياء وأشياع وأتباع، فعاذت بالسلطان فأعاذها ومن عليها وعلى كل من معها بالإفراج، وأذن في إخراج كل ما لها في الأكياس والأخراج وأبقى عليها من مصوغات صلبانها الذهبية المجوهرة ونفائسها وكرائم خزائنها، فخرجت بجميع مالها وحالها ونسائها ورجالها، وأسفاطها، وأعدالها، والصناديق بأقفالها، وتبعها من لم يكن من أتباعها فراحت فرحى، وإن كانت من شجنها قرحى.

وكذلك خرجت زوجة الملك المأسور كي، وهي ابنة الملك أماري وكانت مقيمة في جوار القدس مع مالها من الخول والخدم والجواري فاستأذنت في الإلمام

بزوجها، وكان بقيده مقيمًا في برج نابلس موكلًا به ليوم وعد تسريحه، فأذن لها فخلصت هي ومن تبعها وأقامت عند زوجها.

وكذلك خرجت الإبرنساسة أم هنفري، وهي ابنة فليب وزوجة الإبرنس الذي سفك دمه يوم حطين، وهي صاحبة الكرك والشوبك، وهي بنوابها محوطة، وبرأيها منوطة، فجاءت سائلة في ولدها العاني، فوعدت أنها إن سمحت بحصنها سمح لها بابنها ثم أعفيت وأطلقت وعصمت واستحضر ابنها هنفري بن هنفري من دمشق إليها، وأقر برؤيته عينيها وسار معها من الأمراء والأمناء من يتسلم منهم تلك المعاقل فخرجت فمضت إلى حصونها لتسلمها فمانعها أهلها ودافعوها وردوها ذليلة خائبة فسكنت صور، واستودعت السلطان ابنها المأسور، ووعدها بإطلاقه إذا تسلم تلك الحصون[1].

صفة إقامة الجمعة بالأقصى -شرفه الله تعالى- في رابع شعبان ثامن يوم الفتح.

قال العماد: لما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب، وكان الداوية قد بنوا في وجهه جداراً، وتركوه للغلة هريًا[2] وقيل: كانوا اتخذوا مستراحًا عدوانًا وبغيًا، وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارًا وسيعة، وكنيسة رفعية، فأوعز برفع ذلك الحجاب، وكشف النقاب عن عروس المحراب، وهدم ما قدامه من الأبنية وتنظيف ما حوله من الأفنية بحيث يجتمع الناس للجمعة في العرصة المتسعة.

ونصب المنبر، وأظهر المحراب المطهر، ونقض ما أحدثوه بين السواري وفرشوا تلك البسيطة الرفيعة عوض الحصر والبواري[3]، وعلقت القناديل، وتلي التنزيل، وحق الحق وبطلت الأباطيل، وتولى الفرقان وعزل الإنجيل، وصفت السجادات، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات وأديمت الدعوات، وتجلت

---

(١) كتاب واقدساه ص ٣٠٩-٣٢٥.

(٢) الهري مفرد: الأهراء، وهو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان انظر «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٤٤) و«خطط المقريزي» (٢/ ٢٢٩).

(٣) البواري: جمع مفردها: الباري والبارياء، وهو الحصير المنسوج فارس معرب انظر «لسان العرب» (بري).

البركات، وانجلت الكربات، وانجابت الغيابات، وانثابت الهدايات، وتليت الآيات، وأعليت الرايات.

ونطق الأذان وخرس الناقوس، وحضر المؤذنون وغاب القسوس، وزال العبوس والبوس وطابت الأنفاس والنفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس وعاد الإيمان الغريب منه إلى موطنه، وطلب الفضل من معدنه وورد القراء وقرئ الأوراد واجتمع الزهاد والعباد، والأبدال والأوتاد وعُبد الواحد، ووحد العابد، وتوافد الراكع والساجد والخاشع والواجد، والزاهي والزاهد، والحاكم والشاهد والجاه والمجاهد والقائم والقاعد، والمتهجد والساهد والزائر والوافد.

وصدح المنبر، وصدع المذكر، وانبعث المعشر، وذكر البعث والمحشر، وأملى الحفاظ، وأبكى الوعاظ، وتذاكر العلماء، وتناظر الفقهاء وتحدثت الرواة، وروى المحدثون، وتحنف الهداة، وهدى المتحنفون، وأخلص الداعون، ودعا المخلصون، وأخذ بالعزيمة المترخصون ولخص المفسرون، وفسر الملخصون، وانتدى الفضلاء، وانتدب الخطباء، وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة، المعروفون بالفصاحة، الموصوفون بالحصافة، فما فيهم إلا من خطب الرتبة ورتب الخطبة، وأنشأ معنىً شائقًا ووشى لفظًا رائقًا، وسوى كلامًا بالموضع لائقًا، وروى مبتكرًا من البلاغة فائقًا، وفيهم من عرض عليّ خبطته وطلب مني نصبته وتمني أن ترجح فضيلته وتنجح وسيلته، وتسبق منيته فيها أمنيته، وكلهم طال إلى الالتهاء بها عنقه وسال من الالتهاب عليها عرقه، وما منهم إلا من يتأهب ويترقب ويتوسل ويتقرب وفيهم من يتعرض ويتضرع، ويتشوف ويتشفع وكل قد لبس وقاره، ووقر لباسه، وضرب في أخماسه وأسداسه ورفع لهذه الرياسة رأسه، والسلطان لا يعين ولا يبين، ولا يخص ولا ينص، ومنهم من يقول: ليتني خطبت في الجمعة الأولى وفزت باليد الطولى، وإذا ظفرت بطالع سعدي، فما أبالي بمن خطب بعدي.

فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان، وامتلأ الجامع واحتفلت المجامع وتوجست الأبصار والمسامع وفاضت

لرقة القلوب المدامع وراعت لحلية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع، وغصت بالسابقين لها المواضع، وتوسمت العيون، وتقسمت الظنون وقال الناس: هذا يوم كريم وفضل عميم، وموسم عظيم، هذا يوم تجاب فيه الدعوات وتصب البركات وتسال العبرات وتقال العثرات، ويتيقظ الغافلون ويتعظ العاملون، وطوبى لمن عاش حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الإسلام وارتاش وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة، والعصبة الطاهرة والأمة الظاهرة، وما أكرم هذه النصرة الناصرية، والأسرة الإمامية والدولة العباسية والمملكة الأيوبية والدولة الصلاحية وهل في بلد الإسلام أشرف من هذه الجماعة التي شرفها الله بالتوفيق لهذه الطاعة.

وتكلموا فيمن يخطب ولمن يكون المنصب، وتفاوضوا في التفويض، وتحدثوا بالتصريح والتعريض، والأعلام تعلى، والمنبر يكسى ويجلى، والأصوات ترتفع والجماعات تجتمع والأفواج تزدحم، والأمواج تلتطم وللعارفين من الضجيج ما في عرفات للحجيج حتى حان الزوال وزال الاعتدال، وحيعل[1] الداعي وأعجل الساعي، نصب السلطان الخطيب بنصه وأبان عن اختياره بعد فحصه وأوعز إلى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بأن يرقى ذلك المرقى، وترك جباه الباقين بتقديمه عرقى، فأعرتُهُ من عندي أهبة سوداء من تشريف الخلافة، حتى يكمل له شرف الإفاضة والإضافة فرقى العود، ولقي السعود واهتزت أعطاف المنبر واعتزت أطراف المعشر.

وخطب وأنصتوا ونطق وسكتوا، وأفصح وأعرب وأبدع وأغرب، وأعجز وأعجب، وأوجز وأسهب، ووعظ في خطبته وخطب بموعظته، وأبان عن فضل البيت المقدس وتقديسه، والمسجد الأقصى من أول تأسيسه وتطهيره بعد تنجيسه، وإخراس ناقوسه، وإخراج قسيسه ودعا للخليفة والسلطان وختم بقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]، ونزل وصلى في المحراب، وافتتح ببسم الله الرحمن الرحيم من أم الكتاب فأم بتلك الأمة، وتم نزول الرحمة

---

(١) حيعل: أي قال: حي على الصلاة.

وكمل وصول النعمة.

ولما قضيت الصلاة انتشر الناس واشتهر الإيناس، وانعقد الإجماع واطرد القياس، وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير، ليفرعه كبير، فجلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجا، فذكر من خاف ومن رجا، ومن سعد ومن شقي، ومن هلك ومن نجا، وخوف بذي الحجة ذوي الحجا، وجلا بنور عظاته من ظلم الشبهات ما دجا وأتى بكل عظة للراقدين موقظة وللظالمين محفظة، ولأولياء الله مرققة، ولأعداء الله مغلظة.

وضج المتباكون، وعج المتشاكون، ورقت القلوب، وحقت الكروب، وتصاعدت النعرات، وتحدرت العبرات، وتاب المذنبون وأناب المتحوبون وصاح التوابون، وناح الأوابون، وجرت حالات جلت، وجلوات حلت، ودعوات علت، وضراعات قبلت، وفرص من الولاية الإلهية انتهزت، وحصص من العناية الربانية أحرزت.

وصلى السلطان في قبة الصخرة، والصفوف على سعة الصحن بها متصلة والأمة إلى الله بدوام نصره مبتهلة والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مقبلة، والأيدي إلى الله مرفوعة، والدعوات له مسمعة، ثم رتب في المسجد الأقصى خطيبًا استمرت خطبته واستقرت نصبته.

قلت[1]: هذه ألفاظ العماد في هذا الفصل من كتاب «الفتح» وذكره في كتاب «البرق» بعبارة أخرى تشتمل على فوائد زائدة وفي تكرار ما تقدم أيضًا بغير تلك العبارة فائدة فإنها معان جليلة كلما كررت حلت.

---

(1) أي الشيخ سيد حسين العفاني.

فصل

قال العماد في كتاب«البرق»: لما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العراص وإخلائها لأهل الإخلاص وتنظيفها من الأدناس، وكنس ما في أرجائها من الأرجاس، وقد كان سبق أمره من مبدأ الأمر بهدم ما هناك من أبنية الكفر، وإبراز المحراب القديم، وإعادة موضعه إلى الوضع الكريم، فقد كان الداوية بنوا غربيه دارًا وأدخلوه فيها وخلطوه بمبانيها، واتخذوا منه جانبًا مستراحًا للأعلال، وجانبًا هربًا للغلال فأمر في العاجل بكشف قناعه، ورفع الوضيع من أوضاعه ونقل ما وقع من أنقاضه، ونقض ما اعتور ذلك الجوهر النفيس من أعراضه حتى طهر موضع المنبر والمحراب واستظهر بإزالة ما قدامه من الحجاب، واجتمع الخلق في ذلك الأسبوع على تفريق ذلك الهدم المجموع، وتعانوا حتى كشفوه ونظفوه، ورشوه وفرشوه، وكان قد أمر باتخاذ منبر في تلك الأيام فنجزوه وركبوه.

ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا العلل مزاحة، والهمم مراحة والخواطر إلى وردها ملتاحة مرتاحة، وهناك فضلاء بلغاء، وعلماء أتقياء، وكل منهم قد سبق بخطبة الخطبة، وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة، وأعد لذلك المقام مقالًا ونشط بشقشقة فصاحته من قرم حصافته عقالًا حتى إذا حيعل الداعي، وتعين الفرض على الساعي، حضر السلطان للصلاة قبة الصخرة، بادية على أساريره أسرار سروره بالأسرة، وامتلأت تلك العراص والحصون واستعبرت للفرح بما يسره الله العيون، وآن لدين الله أن تقضى له الديون وتفلك الرهون، ووجلت القلوب وخشعت الأصوات وحسنت الظنون، وعين السلطان القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن علي القرشي الزكي بن الزكي للصلاة والخطبة، وفرع تلك الرتبة فصعد وسعد وحمد وأحمد، وأدت المعاني الشريفة ألفاظه، ونبه الأقاصي والأداني إيقاظه، وجلا المسامع، وجلت المدامع، وأتى بالخطبتين المفروضتين على الوجه المشروع، والمنهج المتبوع، والشرط الموضوع، وذكر في الفتح البكر ما اقتض به أبكار الاستعارات بأبدع

البراعات وأبرع العبارات، وصدح بالصدق، ونطق بالحق، وفاز بالسبق، وحاز الفضيلة على فضلاء الغرب والشرق، فهو لنشر المعاني أضم خطيب، له بنشر المعالي أضمخ طيب، فأين قس في عكاظه من قياسه ألفاظه! وأين سحبان من سجعاته! وابن نباته من نباته! ولو عاشا لافتقرا إلى فقره، واحتقرا أعراضهما عند جوهره، ودعا لأمير المؤمنين ثم لسلطان المسلمين ونزل وقام إمامًا أكمل بصلاته الفرض، أرضى بسمت دعواته والطمأنينة في ركعاته وسجداته أهل السماء والأرض، وسر السلطان بنصبه ورفعه، وامتلأ صدره حبورًا منه بجلاء بصره وسمعه، فقد أخذت بالأبصار أشعة أنوار الخطبة في سواد الأهبة، وعظمت أخطار المهابة في خواطر المحبة وكرمت سرائر الزلفى إلى الله والقربة.

ثم رتب السلطان بعده خطيبًا تستمر إقامته للجمع والجامعات وتستقر ملازمته لأداء الصلوات.

ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة، نصب سرير للوعظ أبقى تلك الأمة المجتمعة، وتقدم السلطان إلى زين الدين الواعظ ليفرع السرير، وينفع بعظاته الصغير والكبير، وحضر المجلس بمرأى منه ومسمع فكان أنور مجلس ومجلى وأشرف جمع ومجمع فحقق ورقق، وأشهد وأشهق، وحلب بعباراته الحلوة العبرات وشار العسل بمعسول الإشارات، وبشر البشر بشارة البشارات وذكر الفتح وبكارته، والقدس وطهارته، والدين وجسارته، والكفر وخسارته، والقدر وإعانته، والظفر وإبانته، والصخرة وإصراخها، والروعة وإفراخها، والنار وصراطها، والقيامة وأشراطها، والرحمة وبابها من باب الرحمة، والجنة وجناها لهذه الزحمة وما أعده الله لهذه الطائفة وما أنزله من الأمن على القلوب الخائفة ووصف ببلاغته ما لا يبلغ إليه نطق الألسنة والواصفة، ووصف الجهاد وفرائضه وفضائله، والخير ودلائله، والنجح ووسائله، والشرع ومسائله، والذنب وغوائله، وإحسان السلطان وفواضله، والبحر وساحله، الدين وحقه، والكفر وباطله، وكان يومًا راجحًا وسومًا رابحًا.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٤٦):

«لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساقس، ودخله أهل الإيمان، ونودي بالأذان وقرئ القرآن، ووحد الرحمن، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمان، فنصب المنبر إلى جانب المحراب، وبسطت البسط، وعلقت القناديل، وتلي التنزيل، وجاء الحق وبطلت الأباطيل، وصفت السجادات، وكثرت السجدات، وتنوعت العبادات، وارتفعت الدعوات، ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأقيمت الصلوات، وأذن المؤذنون، وخرس القسيسون وزال البوس، وطابت النفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس وعبد الله الأحد الصمد الذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] وكبره الراكع والساجد والقائم والقاعد، وامتلأ الجامع، وسالت لرقة القلوب المدامع، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال، ولم يكن عين خطيب فبرز من السلطان المرسوم الصلاحي وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيبًا فلبس الخلعة السوداء وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة»[1].



(١) واقدساه ص ٣٥٨-٣٦٥.

بداية سقوط الخلافة العثمانية ومعها بيت المقدس

وحكم الأيوبيون القدس بعد خروج الصليبيين، ثم حكمها المماليك، ثم العثمانيون وفي آخر عهد بني عثمان كانت بفلسطين جالية يهودية صغيرة جدًّا لا تتجاوز تسعة آلاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا وباسم الامتيازات الأجنبية التي فرضت على الدولة العثمانية الضعيفة من قبل الدول الأوربية أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ووجهت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية واستقدامهم من الخارج لأسباب ودوافع استعمارية.

وفي عام ١٨٩٥م / ١٣١٣هـ أصدر اليهودي النمساوي هرتزل كتابه (الدولة اليهودية) قرر فيه (إن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لا يمكن حلّها إلاّ عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية يتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة)[١].

وتمكنت الصهيونية في هذه الأثناء من استمالة الأوربيين لأفكارها: فالمتدين النصراني الأوربي دخلت إلى نفسه فكرة شعب الله المختار وأرض الميعاد وهو يؤمن كنصراني بالعهد القديم وأما غير المتدين فرغب أن يتخلص من استغلال اليهود وجشعهم عن طريق تأييد الصهيونية في البحث عن أرض يتجمعون فيها فتستريح أوروبا منهم كما قال وزير خارجية قيصر روسيا وهيرتزل يحدثه ويطلب منه تشجيع الهجرة: (إننا نعطي مثل هذا التشجيع على الهجرة بأن نركلهم بأقدامنا)[٢].

قدمت جمعية (أحباء صهيون) طلبًا للقنصل العثماني في أوديسا (روسيا) يطلبون الإقامة في فلسطين فكان رد السلطان عبد الحميد: (تحيط الحكومة العثمانية علمًا بجميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى تركيا بأنه لا يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين) فتوالت الضغوط الدبلوماسية عليه حتى تدخل السفير الأمريكي فقال

---

(١) تاريخ فلسطين الحديث. د. عبد الوهاب الكيالي ص٥.

(٢) إسرائيل: جارودي ص ٧٢ عن كتاب أ. شوراني – ثيودور هرتزل.

السلطان: (إنني لن أسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين ما دامت الإمبراطورية العثمانية قائمة) وقابل هيرتزل السلطان عبد الحميد سنة ١٨٩٦م أي: بعد إصداره كتاب (الدولة اليهودية) بسنة فطلب السماح بإقامة مستعمرة واحدة في القدس فقال السلطان: (إن الإمبراطورية العثمانية ملك العثمانيين الذين لا يمكن أن يوافقوا على هذا الأمر فاحفظوا أموالكم في جيوبكم) نجح هيرتزل بعد هذه المقابلة الفاشلة بسنة بعقد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م، وضم ٢٠٤ مندوبًا يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم وحدد المؤتمر أهداف الصهيونية بما يلي: (إن غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام) مما دفع السلطان عبد الحميد أن يصدر قراره المشهور الذي بلّغ به جميع ممثلي دول العالم في استنبول سنة ١٩٠٠م بمنع الحجاج اليهود من الإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة شهور وعليهم تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين... وكل من لا يغادر البلاد خلال هذه المدة سيطرد بالقوة) ثم أصدر قرارًا ثانيًا سنة ١٩٠١م يحرِم فيه اليهود شراء أي قطعة أرض في فلسطين ولكن اليهود لم ييأسوا إذ شكل هيرتزل وفدًا مع (قرصو) سنة ١٩٠٢م وتوجه إلى السلطات بعروض مغرية وطلب مقابلة السلطان فرفض السلطان عبد الحميد المقابلة فدفعوا العروض إلى رئيس وزرائه (تحسين باشا) ما هي هذه العروض؟:

١- مائة وخمسون مليون ليرة إنجليزية لجيب السلطان الخاص.

٢- تسديد جميع ديون الدولة العثمانية البالغة ٢٣ مليون ليرة إنجليزية ذهبية.

٣- بناء أسطول لحماية الإمبراطورية بتكاليف قدرها مائة وعشرون مليون فرنك ذهبي.

٤- تقديم قرض بـ(٣٥) مليون ليرة ذهبية دون فوائد لإنعاش مالية الدولة.

٥- بناء جامعة عثمانية في القدس.

فكان جواب السلطان عبد الحميد كما جاء في مذكرات هرتزل: (انصحوا الدكتور هرتزل بألاّ يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع إنني لا أستطيع أن أتخلى

عن شبر واحد من الأرض فهي ليس ملك يميني بل ملك شعبي.. فليحتفظ اليهود بملايينهم عندهم، و إذا مزقت إمبراطوريتي يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن..)[1]، فأرسل إليه (قرصو) برقية يقول فيها: (ستدفع ثمن هذه المقابلة من عرشك ونفسك) وقابل هيرتزل المستشار القانوني للحكومة المصرية بهدف الإعداد للتعاقد على استعمار سيناء والعريش لمدة ٩٩سنةً ولكن المشروع فشل بجهود الدولة العثمانية فكان لا بدّ من إزالة هذه الدولة التي أصبحت حجر عثرة في طريق استيطان اليهود في فلسطين فاتبعوا الأساليب التالية:

١- تشويه سمعة السلطان عبد الحميد واتهامه بالرجعية والاستبداد حتى أصبح ممقوتًا عند شعبه لما تملكه الصهيونية من شبكات وسائل الإعلام.

٢- محاولة إثارة النعرات القوميةً داخل الدولة العثمانية عن طريق الجمعيات الماسونية التي انضوى إليها بعض الشباب العرب والأتراك في باريس وبقيّة أوروباً فظهرت فكرة القومية التركية (الطورانية) وفكرة القومية العربية.

٣- حاولوا نسف المنصة التي يجلس عليها السلطان في صلاة الجمعة بسيارة متفجراتاً فأنجاه الله.

٤- اتصلوا بالضباط وكبار الموظفين من خلال المحافل الماسونية فطالبوا بإعلان الدستور والذي فيه (مساواة اليهود والنصارى مع المسلمين) واجبروه على الإعلان في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨م.

وخلال تسعة أشهر في ٢٧ إبريل ١٩٠٩م أقصي السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم على يد (جمعية تركيا الفتاة)، و(جمعية الاتحاد والترقي) الماسونيتين وبدأ التمهيد بعد ذلك لهجرة اليهود إلى فلسطين.

إلا أنه بالرغم من موقف السلطان عبد الحميد الرافض لقيام دولة لليهود في فلسطين فإنه لم يقم إلا بالرفض، ولم يمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين مع ازدياد عددهم زيادة ملحوظة.

---

[1] انظر الصهيونية خير حمادي ص٤١أحماس الجذور التاريخية والميثاق عبد الله عزام ص١٩.

ثم وقف زعماء العرب آنذاك وعلى رأسهم الشريف حسين ملك الحجاز بجانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى وأغمدوا أنصالهم في قلب تركيا مقابل وعود بريطانيا بإعطاء الشريف حسين ملك العرب.

*** ولوجه الله يمكن أن نقول للتاريخ:**

إنه لم يهتم الأتراك بالدفاع عن القدس الاهتمام اللائق بمكانتها وفضلها؛ ولذا كان من الغريب إهمال أمر إعداد خطة دفاعية رصينة للدفاع عنها واتخاذ ما يلزم لتنفيذها بالرغم من مساعدة طبيعة الأرض المحيطة بالقدس وملاءمتها لأغراض الدفاع بصورة ممتازة وقد أصدر مقرر القيادة العامة للجيوش العثمانية (ييلدرم) بالناصرة في ١٥ تشرين الثاني أوامره بإعداد دفاعات القدس، وهو أمر كان ينبغي أن يتم منذ قبول الدفاع وصرف النظر عن مشاريع غزو مصر والتقدم نحو السويس، أي: منذ معركتي الروماني في آب ١٩١٦م، ولذا لم تكن دفاعات القدس عند الهجوم عليها في كانون الأول من عام ١٩١٧م أكثر من خط واحد من خنادق النار المحفورة حديثًا في أرض كلسية طباشيرية يكشف بها التراب المستخرج حديثًا ببياض لونه خط التحصينات ولم يكن بها ما يكفي لأغراض الدفاع الطويل من أرزاق وعتاد ومدخرات، ولم تجهز بمدافع الحصار الثقيلة، ولم تتخذ أي إجراءات فيما يتعلق بموضوع السكان المدنيين وإخلائهم أو ترتيب إعاشة الباقين في المدينة في ظروف المعركة الدفاعية، وبالرغم من كل ذلك فقد أشغل الفيلق العشرون العثماني بقيادة علي فؤاد باشا الذي كان مقره في باب الواد مواضعه للدفاع عن القدس اعتبارًا من ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧م.

أعد علي فؤاد باشا الذي رقي إلى رتبة لواء دفاعاته عن القدس، ونظم له «فوذ فالكنهاين» الألماني(١) على أثر قطع الإنجليز طريق القدس -نابلس- خط مواصلات أمين الذي يمتد شرقًا نحو أريحا والأردن وسكة الحجاز، ولكن علي فؤاد

(١) تولى القيادة العامة للجيوش العثمانية في بادئ الأمر المشير فالكنهاين الألماني، وفي أول آذار من عام ١٩١٨م خلفه المشير درليمان فون ساندرس هو ألماني أيضًا.

باشا الذي كان يعتبره «فالكنهاين» أحسن قادة الفيالق التركية لم يكن مؤمنًا بإمكان الدفاع عن القدس بالنظر للقتال المستمر الذي أنهك فيلقه بالرجال والمعدات، وكان المشير الألماني يعقد الآمال على وصول القوات الألمانية وغيرها يوم ١٢ كانون الأول، إلا أن جميع الآمال قد انهارت حيث لم يستطع الفيلق العشرون الصمود في معركة القدس الدفاعية حتى لمدة ٢٤ ساعة، إذ تساقطت خطوطه وشرع بالانسحاب، وقد كان لضعف معنويات العثمانيين لدى القائد والجند تأثير كبير لإضعاف العزم على الثبات، وهو أول ما يستند عليه الدفاع.

وعين الجنرال اللنبي يوم ٨/ ١٢/ ١٩١٧م للشروع بالهجوم الكاسح للاستيلاء على القدس، وما إن بدأ الهجوم قدر علي فؤاد باشا حراجة الموقف، وقرر قبل ظهر ذلك اليوم استحالة الدفاع عن المدينة ووجوب إخلائها والانسحاب شرقًا.



دخول الإنجليز القدس

في اليوم الثامن من كانون الأول عام ١٩١٧م، وفي ليلة الأحد بعث متصرف القدس (عزت بك) يطلب مفتي القدس (كامل الحسيني) ورئيس بلديتها (حسين سليم الحسيني) إلى داره، وفيها خاطبهما قائلًا: قد أحاطت الجنود الإنجليزية بالقدس ولا بد من أن تسقط في أيديهم وأنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة سألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم أي: تسليم المدينة للفاتحين.

وفي نحو التاسعة من صباح الأحد ٩/ ١٢/ ١٩١٧م خرج رئيس المدينة يصحبه ابن أخيه توفيق صالح الحسيني، ومفتشا الشرطة عبد القادر العلمي، وأحمد الشريف، وفريق من الشبان منهم رشدي محمد المهتدي، وجواد إسماعيل الحسيني، وحنا إسكندر اللحام الذي كان حاملًا العلم الأبيض إشارة للتسليم التقى هؤلاء بالإنجليز في الغرب من المدينة على طريق الشيخ بدر، وأخذ الضابط يسأل الرئيس أسئلة استدل منها على أن العثمانيين غادروا القدس عندئذ دخل الجيش البريطاني البلدة في العاشرة والنصف، وانتهى العهد التركي الذي دام (٤٠٠ سنة) ١٥١٦-١٩١٧م.

ويصف صاحبا تاريخ القدس ودليلها (ص ١٣٨-١٣٩) دخول هؤلاء البريطانيين للقدس بقولهما:

«وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وآخرون ولوا وجوههم شطر نابلس، وكانت السماء ماطرة، وكان يخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون، فدخلها الإنجليز (الأحد ٩ كانون أول ١٩١٧ م) عن طريق الشيخ بدر، الحي الكائن إلى الغرب من المدينة، كان أول عمل قام به الإنجليز بعد احتلالهم المدينة أن نصبوا عند مدخلها من الغرب وذلك المدخل الذي دخلوها منه، وهو الحي المعروف بحي الشيخ بدر نصبًا من الرخام الأبيض تذكارًا لفتحهم نقشوا عليه اسم اللورد اللنبي والتاريخ الذي فتحت على يده، وأنشئوا حول النصب حديقة، وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليبًا، إلا أنهم

عادوا فعدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود، ووضعوا الصليب لا يراه الناظر من بعيد، وفي ١١/ ١٢/ ١٩١٧م، وبعد أقل من ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور دخل الجنرال اللنبي القائد العام للقدس من باب الخليل وأذاع على سكان بيت المقدس من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة:

إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي وفي الوقت الذي أذيع عليكم هذا النبأ، أعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام، نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية..»[١].

*** الثورة العربية خنجر دامي في الخلافة العثمانية:**

في ٩ شعبان الموافق ١٠ يونيو ١٩١٦ م ابتدأت الثورة العربية عندما أطلق الشريف الحسين أمير مكة رصاصة الثورة على ثكنات الجيش العثماني ثم أذاع منشور «الثورة» وما درى هذا الشريف!! أنه خان أمته ووقع في براثن الكولونيل لورانس المسمى بلورانس العرب، عاشق الصهيونية، وبجنود الشريف حسين الأعراب دخل اللنبي القدس، من يتصور هذا؟! ويغرس علمه على جبل صهيون ويقول: لقد انتهت الحروب الصليبية الآن[٢]؟

واتفق اللنبي القائد الإنجليزي مع مصطفى كمال أتاتورك سرًا قائد الجيش الثاني في فلسطين أن يسمح لخيالة اللنبي أن يضربوا مؤخرة الجيوش التركية الأربعة مقابل تسليم تركيا فيما بعد لأتاتورك وفعلًا انسحب أتاتورك ووقع مائة ألف من الجيوش التركية في أسر الإنجليز، ودخل اللنبي القدس في ٩/ ١١/ ١٩١٧م، وأطلق كلمته مدوية تعبيرًا عن الحقد الصليبي العميق (الآن انتهت الحروب الصليبية). وهكذا تم تمهيد الطريق للاحتلال اليهودي للقدس.

---

(١) «بيت المقدس» ص (٢١٥-٢١٦).

(٢) واقدساه ٤٤٤- ٤٤٧.

إلغاء الانتداب البريطاني وإعلان دولة إسرائيل

عام ١٩١٧ هو العام الذي صدر فيه وعد (بلفور) الذي يقضي بإعطاء اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين، ثم أعلنت بريطانيا الحماية على مصر وفلسطين واستغلت انتدابها على فلسطين، لكي تهيئ الأوضاع فيها لصالح اليهود، وهذا ما تم بالفعل طيلة ثلاثين عامًا هي عمر الانتداب وبعدها مباشرة، وفي عام ١٩٤٨م أعلن الإنجليز إلغاء الانتداب على فلسطين، بعد أن أوعزوا لليهود بأن يعلنوا دولتهم في نفس توقيت إلغاء الانتداب، وقامت دولة اليهود وسيطرت على القدس الغربية وأعلنتها عاصمة بعد ذلك، ثم احتلت القدس الشرقية التي بها المسجد الأقصى عام ١٩٦٧ م، لتعلن منذ ذلك الوقت وإلى الآن أن القدس بقسميها هي العاصمة الموحدة الأبدية لدولة (إسرائيل) ويقف الآن خلفهم جُل نصارى العالم متنازلين لهم عن (مدنية المسيح) كما يقولون طمعًا في دخولهم في دينه عندما يعود!



الفلسطينيون وأكذوبة بيع الأرض

هناك فكرة انتشرت انتشارا واسعا لا يستبعد أن يكون وراءها اليهود وهي المقولة: "بأن أهل فلسطين باعوا أراضيهم وتمتعوا بأثمانها، ثم جاءوا اليوم يدعون ويلاً وثبورًا فهم أحق باللوم لما فرطوا في أوطانهم".

وهذه مقولة تدعو إلى التخاذل وعدم الاهتمام بهذه القضية وفي هذه الكلمات تبرز الحقيقة التي تخالف ذلك كل المخالفة، فإن الفلسطينيين قد حرصوا على أراضيهم كل الحرص، وحافظوا عليها برغم الإغراءات المالية الخطيرة من قبل اليهود، وبرغم الضغط الاقتصادي عليهم بمختلف الوسائل من قبل الإنجليز، ومنذ تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي انتخبه الفلسطينيون لإدارة المحاكم الشرعية والأوقاف والشئون الإسلامية في فلسطين عام ١٩٢٢م قام بأعمال عظيمة لصيانة الأراضي من الغزو اليهودي، فمنع بواسطة المحاكم الشرعية التي كان يشرف عليها بيع أو قسمة أي أرض كان للقاصرين نصيب فيها، وكذلك اشترى المجلس من أموال الأوقاف الإسلامية كثيرًا من الأراضي التي كانت عرضة للبيع، وأقرض كثيرين من أصحاب الأراضي المحتاجين قروضًا من صناديق الأيتام ليصرفهم عن البيع، وكان يعقد مؤتمرًا سنويًا من العلماء ورجال الدين لتنظيم وسائل المقاومة لليهود الطامعين في الأراضي، وقد تعرضت أنا (الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا الفلسطينية) شخصيًا لحملات شديدة من الإنجليز واليهود عندما كنت رئيسًا لهذا المجلس بسبب ما كان يقوم به من نشاط في منع بيع الأراضي لليهود[١].

---

(١) يظن كثير من الناس أن الأراضي الفلسطينية كانت جميعها مملوكة لأفراد فلسطينيين والحق أن الأراضي التي استولى عليها اليهود منها –على سبيل المثال– ما منحته حكومة الانتداب البريطانية من أراضي الدولة الأميرية وخصصته للشركات اليهودية والمستعمرات الزراعية: ٨٢.٠٠٠ دونم للاستيطان، ٧٥.٠٠٠ دونم لشركة البوتاس، ١٨.٠٠٠ دونم لشركة الكهرباء، كما حولت إلى اليهود امتياز تجفيف سهل الحولة ١٦٥.٠٠٠ دونم ولما زادت معدلات الهجرة اليهودية في الثلاثينيات من القرن العشرين انتقل أكثر من ٣٣٤.٠٠٠ دونم سواء من الأراضي الأميرية أو التي تمتلكها أسر لا تقيم أصلاً في

وقد بذل المجلس الإسلامي الأعلى مبالغ طائلة في سبيل إنقاذ الأراضي، واشترى بعض القرى برمتها، كقرية دير عمرو[١] وقرية زيتا[٢]، التي بذل في سبيل إنقاذها وحدها نحو ٥٤٠٠٠ جنيه، وكالأراضي المشاعة في قرى الطيبة[٣] وعتيل[٤] والطيرة[٥] وبذل جهودًا عظيمة وأقام قضايا في المحاكم في هذه السبيل، ووفق في إقناع كثير من القرى ببيع أراضيها إلى المجلس الإسلامي الأعلى، وجعلها وقفًا على أهلها[٦].

وكذلك قامت بعض المؤسسات والمنظمات العربية كصندوق الأمة الذي بذل جهدًا كبيرًا في سبيل إنقاذ كثير من أراضي البلاد بأن اشترى بعضها بالمال وأنقذ بعضها بإجراءات إدارية وقضائية كأراضي البطيحة لعرقلة البيع وحماية حقوق المزارعين، وبعقد الاجتماعات وتوزيع النشرات.

وما يؤيد ذلك أن تقارير حكومة الانتداب البريطاني التي كانت ترفع سنويًا

فلسطين، وإنما في لبنان أو في غيرها، وكان الفلاحون يرغمون على الجلاء عنها بالقوة كما حدث مع عرب وادي الحوارث (الزبيدات) في السهل الساحل، وأهالي العفولة في مرج ابن عامر وغيرهم.
انظر: «الموجز في تاريخ فلسطين» ص ٤٣٢، ٤٣٣-٤٤٧.

(١) قرية «دير عمرو» تبعد مسافة ١٨ كيلو متر غرب القدس فوق جبل الأكراد الذي يرتفع ٧٤٠ مترًا طرد اليهود سكانها سنة ١٩٤٨م. انظر «معجم بلدان فلسطين» ص ٣٩٣.

(٢) هناك ثلاث قرى تحمل اسم «زيتا» الأولى تقع شمال غرب مدينة الخليل ودمرها اليهود سنة ١٩٤٨م وأقاموا مكانها مستعمرة «جال أون» والثانية تقع جنوب غرب نابلس في الضفة الغربية.
انظر: «المرجع السابق» ص ٤٣٦.

(٣) الطيبة: قرية على بعد خمسة كيلو متر جنوب طولكرم، وقد سلمت لليهود بموجب اتفاقية رودس سنة ١٩٤٩ م. انظر: «المرجع السابق» ص ٥١٠.

(٤) عتيل: بلدة تقع على بعد ١٢ كيلو متر شمال شرق طولكرم بين زيتا ودير الغصون، يقدر عدد سكانها سنة ١٩٨٠م سبعة آلاف نسمة. انظر: «المرجع السابق» ص: ٥١٩.

(٥) الطيرة: تقع على السفوح الدنيا لجبل الكرمل على ارتفاع ٧٥ مترًا وكان بها سنة ١٩٤٥م ٥٢٤٠ نسمة دمرها اليهود سنة ١٩٤٩ وبنوا عليها مستعمر «طيرة الكرمل». انظر: «المرجع السابق» ص: ٥١٠.

(٦) وقد صارت بذلك أوقافًا إسلامية لا يجوز المساس بها ولا التصرف فيها إلا بإذن المجلس الإسلامي الأعلى.

إلى لجنة الانتداب في عصبة الأمم بجنيف كانت تذكر دائمًا أن السبب في قلة انتقال الأراضي إلى اليهود هو المجلس الإسلامي الأعلى وغيره من المؤسسات العربية.

وتدل الإحصاءات الرسمية على أن مساحة أراضي فلسطين هي نحو سبعة وعشرين مليون دونم (والدونم ألف متر مربع) ويبلغ مجموع ما استولى عليه اليهود إلى يوم انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ ما يوم ١٩٤٨م نحو مليوني دونم أي نحو سبعة في المائة من مجموع أراضي فلسطين على أن ما تسرب من أيدي عرب فلسطين من هذين المليونين لا يزيد على ٢٥٠.٠٠٠ (مائتين وخمسين ألف دونم) أي الثمن[١]، وكان وقوع الكثير منها في ظروف قاهرة، وبعضها ذهب نتيجة لنزع ملكية الأراضي العربية، وهو ما كانت تقوم به حكومة الانتداب البريطاني لصالح اليهود وفقًا للمادة الثانية من صك الانتداب[٢]، أما باقي المليونين فقد تسرب إلى أيدي اليهود كما يلي:

٦٥٠.٠٠٠ دونم استولى عليها اليهود في عهد الحكومة العثمانية خلال حقبة طويلة، من الأراضي الأميرية بحجة إنعاش الزراعة وإنشاء مدارس زراعية[٣].

٣٠٠.٠٠٠ منحتها حكومة الانتداب البريطانية لليهود دون مقابل (وهي من أملاك الدولة).

٢٠٠.٠٠٠ دونم منحتها حكومة الانتداب البريطانية لليهود لقاء أجرة اسمية (وهي من أملاك الدولة).

٦٠٠.٠٠٠ اشتراها اليهود من بعض اللبنانيين والسوريين الذين كانوا

---

(١) وهو ما يساوي ٢٥٠.٠٠٠ كيلو متر أي ١.١٪ من مجمع أرض فلسطين.

(٢) منحت حكومة الانتداب للوكالة اليهودية ٥٠٠.٠٠٠ دونم لاستغلالها لمصلحة المهاجرين اليهود ٣٠٠.٠٠٠ دونم بلا مقابل و ٢٠٠.٠٠٠ بأجر رمزي لا يتجاوز عدة قروش في السنة، وكلها من أجود وأخصب الأراضي في فلسطين. انظر: «الموسوعة الفلسطينية» صبحي طوقان ص ٣٣.

(٣) كان سكان فلسطين سنة ١٩٠٦ نحو ٧٠٠.٠٠٠ نسمة منهم ٥٥.٠٠٠ فقط من اليهود، ومن هؤلاء ٥٥٠ فقط من الصهاينة «الرواد» وهؤلاء كانوا يتملكون بعض الأراضي. انظر كتاب: «طرد الفلسطينين» ص: ٢٠٧.

يملكون أراضي في فلسطين (كمرج ابن عامر[١] ووادي الحوارث[٢]، والحولة[٣] وغيرها).

١.٧٥٠.٠٠٠ دونم المجموع

يبين من ذلك أن نحو سبعة أثمان ما استولى عليه اليهود من الأراضي إنما تسرب إليهم عن غير طريق الفلسطينيين، وأن ما تسرب من الفلسطينيين هو مائتان وخمسون ألف دونم أي نحو (٦٢) ألف فدان مصري، على أن الكثير ممن باعوا أراضيهم أو كانوا سماسرة للبيع قد فتك بهم الشعب الفلسطيني، ولم ينج منهم إلا من فر من البلاد ولجأ إلى أقطار أخرى.

أما ما ذكرتم من إصدار العفو عمن كان يدفع مبلغًا من المال، فلا صحة له البتة، ولم يقع أي حادث من هذا القبيل، بل كان الأمر على العكس، فإن مؤتمرات العلماء التي كنا نعقدها سنويًا وكذلك الهيئات الدينية، كانت تصدر الفتاوى بتكفير من يبيع الأرض أو يسمسر على بيعها، وتعتبره مرتدًا لا يدفن في مقابر المسلمين وتجب مقاطعته وعدم التعامل معه، وقد أصدر مؤتمر كهنة الأرثوذكس العرب في فلسطين قرارات مماثلة.[٤]

---

(١) مرج ابن عامر: طوله من الغرب إلى الشرق نحو ٤٦ كيلو مترًا وعرضه من الشمال إلى الجنوب نحو ١٩ كيلو مترًا وهو يفصل جبال فلسطين الشمالية [الجليل] عن جبال نابلس وجبل الكرمل، كان يملك الصيارفة اللبنانيون جزءًا كبيرًا منه حيث اشتروه من الحكومة التركية ثم باعوه إلى اليهود الصهاينة.
انظر: «معجم بلدان فلسطين» ص ٦٥٤ والخارطة ص ٦٥٥.

(٢) وادي الحوارث: ضمن قضاء حيفا وكان فيه سنة ١٩٤٥ م، ١٣٣٠ عربي، باعه بعض الشيوخ إلى أسرة التيان اللبنانية التي باعته إلى اليهود سنة ١٩٣٢م وأجلاه اليهود بالاستعانة بالقوات البريطانية من سكانه الفلسطينيين واستشهد منهم الكثير دفاعًا عن أرضهم. انظر: «المرجع السابق» ص: ٣٠٢، ٣٠٣ باختصار.

(٣) سهل الحولة: يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من فلسطين، ويحتل مستطيلاً من الأرض محصورًا بين مرتفعات تحيط به من الشرق والغرب والشمال. انظر: «المرجع السابق» ص٣٠٦.

(4) من كتاب أسباب كارثة فلسطين للحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين.

اليهود والهيكل المزعوم

الهيكل المزعوم:

الهيكل كلمة عربية يقابلها في العبرية "بيت همقداش" أي بيت المقدس، أو "هيخال" وتعني البيت الكبير في كثير من اللغات السامية. ومن أهم أسماء الهيكل "بيت يهوه"، ويهوه هو إله اليهود، إذاً هو بيت الإله. والهيكل أُعدّ أساساً ليكون مسكناً للإله، وليس مكاناً للعبادة وأداء الطقوس وتقديم النذور والقرابين، وإن أصبح فيما بعد مكاناً لهذه الأمور. جاء في سفر الملوك: "حينئذ تكلم سليمان: قال الرب: إنه يسكن الضباب إني قد بنيت لك بيت سكني مكاناً لسكناك إلى الأبد"[١]. وفي نفس السفر أيضاً: "وقد قمت أنا مكان داود أبي وجلست على كرسي إسرائيل كما تكلم الرب، وبنيت البيت لاسم الربّ إله إسرائيل"[٢].وأيضاً فإنّ اليهود يعدون الهيكل بمثابة المصرف القومي للدولة العبرانية، يرسلون إليه القرابين والنقود، ويودع فيه الأثرياء نقودهم وتحفظ فيه رموز الدولة وطنافسها كالشمعدان ونحوه.

باني الهيكل:-

زعم الكتاب المقدس عند اليهود أنّ النبي داود عليه السلام اشترى أرضاً من أرونة اليبوسي لبناء الهيكل[٣]، وهيّأ له الأموال والمواد اللازمة للبناء[٤]، ولكنّه لم يشرع بالبناء لانشغاله بالحروب وسفكه لدماء كثيرة، وقد منعه الرب من البناء لأجل ذلك، ووعد الربّ داود بأن يكون ابنه سليمان وريثه هو الذي يقوم ببناء الهيكل[٥]. لقد أنجز سليمان بناء الهيكل وأتمّه وأكمله في سبع سنين[٦]، وحسب المزاعم اليهودية فإنّ سليمان بنى

---

[١] الإصحاح الثامن : الفقرتان ١٢، ١٣.

[٢] نفس الإصحاح : الفقرة ٢٠، وانظر سفر صموئيل الثاني، الإصحاح السابع.

[٣] انظر سفري صموئيل الثاني، الإصحاح الرابع والعشرون، الفقرة الرابعة والعشرون وسفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح الحادي والعشرون، الفقرة الرابعة والعشرون.

[٤] انظر سفري الملوك الأول : الإصحاح الخامس، أخبار الأيام الأول : الإصحاح الثاني والعشرون.

[٥] انظر سفر الملوك الأول : الإصحاح السابع عشر، الفقرات ١١-١٤، سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح الثاني والعشرون الفقرات ٧-١٠، الإصحاح الثامن والعشرون، الفقرات ٢-٨.

[٦] انظر سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس.

الهيكل فوق جبل مُرِيّا في القدس، وهو جبل بيت المقدس، أو هضبة الحرم حيث يوجد فوقها سور الحرم الشريف الذي يشمل المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة، وعدد من الأروقة والأبنية. ويسمي اليهود المكان بجبل الهيكل.

ولقد جاءت قصة بناء سليمان عليه السلام للهيكل في أسفار الملوك الأول:الإصحاح السادس، وأخبار الأيام الأول: الإصحاح التاسع والعشرون وأخبار الأيام الثاني:الإصحاحات الثالث إلى السابع مع اختلافات بين السفرين في بعض التفاصيل المهمة.

هدم هيكل سليمان:-

يزعم الكتاب المقدّس أنّ الهيكل حافظ على عظمته مدة أربعة قرون وربع، أي منذ حوالي سنة ٩٦٨ ق.م إلى أن هاجم البابليون بقيادة الملك نبوخذ نصر (بخت نصر) القدس وسبوا أهلها، واستولوا على ما في الهيكل من ثروات، ثم هدموه سنة ٥٨٦ ق.م أو سنة ٥٨٧ ق.م[١].

الهيكل الثاني:-

إنّ الهيكل الثاني هو هيكل زور بابل أحد كبار كهنة اليهود، الذي بناه سنة ٥١٥ق.م بعد إذن الملك الفارسي قورش لليهود بالعودة إلى القدس سنة ٥٣٨ ق.م. وكان البناء الجديد أضخم من البناء الأول لكنّه أقلّ مصاريف وفخامة، وبقي هذا الهيكل قائماً مدة خمسة قرون.

ويَذكر العهد القديم أنّ الهيكل الثاني بُني بأمر من الرب إله إسرائيل، وبأمر من أباطرة الفرس: قورش، وداريوس الأول، وأرتحشتا[٢].

هيكل هيرودس:-

قام هيرودس الوالي اليهودي على فلسطين من قبل الرومان ببناء هيكل جديد

---

(١) انظر سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس والعشرون، الفقرتان ٨-٩، ١٣-١٧، أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السادس والثلاثون، الفقرتان ١٨-١٩.

(٢) انظر سفر عزرا، الإصحاح السادس، الفقرة الرابعة عشرة.

على أنقاض هيكل زور بابل الذي أصابه الخراب أو لكونه لم يعجب الوالي نفسه، فهدمه وقام ببناء هيكل آخر مكانه أضخم منه، بدأ هيرودس العمل في البناء سنة ٢٠ ق.م واستمر العمل فيه وقتاً طويلاً ولكنه مات قبل أن يتمّه، وتم البناء في عهد **أجريباس** الثاني سنة ٦٤م[1]. جاء في قاموس الكتاب المقدس أن يسوع المسيح زار هذا الهيكل وأخذ يسأل التلاميذ عن درجات دار بني إسرائيل التي كانت إحدى الدور التي أحاطت بالهيكل، وأنّ أمّه مريم تطَهرت عند أحد أبواب الهيكل[2].

ولقد هدم هذا الهيكل في التاسع من آب أغسطس سنة ٧٠م على يد القائد الروماني **طيطس**. ويذهب اليهود إلى أنّ هدم الهيكل كان عقاباً لهم على ما اقترفوه من الذنوب منها: عبادة الآلهة من دون الله،وعدم القيام بفرائضه ووصاياه، وعدم حفظ عهوده التي قطعها على بني إسرائيل.

محاولات إعادة بناء الهيكل:-

لّما كان الهيكل هو المعبد المقدس عند اليهود، وقد هدم عام ٧٠م فإنّهم يحرصون بشدة على إعادة بنائه وتشييده من جديد، ويطلقون مصطلح "الهيكل الثالث" على الهيكل الجديد.

ولكي يبقى الهيكل المهدوم حياً في ذاكرة كل يهودي فقد ابتدع الحاخامات اليهود مجموعة من الطقوس والمراسم يقوم بها اليهودي، ومن ذلك: ذكر الهيكل عند الميلاد والموت، وعند الزواج يحطّم أمام العروسين كوب فارغ لتذكيرهم بهدم الهيكل، وقد ينثر بعض الرماد على جبهة العريس. وفي الماضي كان الحاخامات يوصون اليهودي الذي يطلي بيته أن يترك مربعاً صغيراً دون طلاء حتى يتذكر حادثة هدم الهيكل، وفي يوم التاسع من آب (أغسطس) يصوم اليهود تخليداً لتلك الحادثة، وعلى اليهود الأتقياء الصلاة في منتصف الليل حتى يعجل الإله بإعادة بناء الهيكل. وعليهم أن يتذكروا الهيكل عند كل وجبة طعام وعند كل صلاة في الصباح.

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠١٤، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٤/ ١٦٣

(٢) انظر ص ١٠١٥ من القاموس.

مكانة الهيكل في الوجدان اليهودي:

يقول المؤرخ "ول. ديورانت" عن قدسية الهيكل ومكانته اليهودية: "كان بناء الهيكل أهمّ الأحداث الكبرى في ملحمة اليهود. ذلك أنّ هذا الهيكل لم يكن بيتاً ليهوه (إله اليهود) فحسب، بل كان أيضاً مركزاً روحياً لليهود، وعاصمة ملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، كأنّه علم من نار يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض، ولقد كان له فوق ذلك شأن في رفع الدين اليهودي من دين بدائي متعدد الآلهة إلى عقيدة راسخة غير متسامحة"[1].

وعن أهمّية الهيكل الدينية يقول المؤرخ **"لودز"** : لقد بالغ كتبة العهد القديم في العصور المتأخرة في أهمية بناء الهيكل في أورشليم، لقد بدأ الهيكل يأخذ مكانة مميزة في الديانة اليهودية، نتيجة لتدمير مملكة إسرائيل الشمالية سنة ٧٢٢ ق.م من قبل الآشوريين... وكان الفضل كله يرجع إلى إصلاح يوشيا سنة ٦٢٢ ق.م، الذي أعلن أنّ الهيكل هو المعبد الشرعي الوحيد للإله يهوه، بحيث أصبح الهيكل بالنسبة للديانة اليهودية وحتى إبطال تقديم القرابين عام ٧٠م قلب الديانة الوطنية ..."[2].

وبعد بناء هيكل سليمان بدأ تحوّل عظيم في الطقوس اليهودية، فقبل بنائه لم يكن هناك مكان مقدّس يحمل اسم الإله "يهوه"، يمارس اليهود فيه طقوسهم الدينية، ولقد كان اليهود قبل بناء الهيكل يصعدون إلى المرتفعات لتأدية الطقوس الدينية، وبعد بنائه أصبحت تأدية الطقوس داخله أمراً واجباً وأصبح ينظر إلى تأدية هذه الطقوس خارجه كأنّها عبادة وثنية لأنّ الهيكل مقر إلههم ومعبودهم، وهو مسكن الأرواح وبه المذبح المقدس، وبمرور الزمن أصبح هيكل سليمان مهوى

---

[1] قصة الحضارة : ول. ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محمود، مطابع الدجوي – القاهرة ١٩٧٣م، ٢/ ٣٣٨

[2] نقلاً عن : داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، د. أحمد عيسى الأحمد مطبعة حكومة الكويت ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ١١٤.

أفئدة اليهود، ولقد اتفقوا على طقوس واحدة وعبادة واحدة.

إنّ الهيكل كنز الإله مثل جماعة إسرائيل، وهو عند الإله أثمن من السماوات بل من الأرض لأنّه خلقها بكلتي يديه، وخلق الهيكل بيدٍ واحدة، والإله نفسه هو الذي قرّر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه، وأنّ قدس الأقداس[1] الذي يقع في وسط الهيكل هو بمنزلة سُرَّة العالم.

ولقد تحدّث التلمود (الكتاب المقدس الثاني) عند اليهود عن الهيكل في مواضع متعددة منه، ومن ذلك: " لمّا دخل **طيطس** الهيكل، وبهزةٍ من سيفه مزّق ستار الهيكل، فسال الدمّ من الستار، فأرسلت بعوضة لعقابه ودخلت مخه، وأخذت تكبر حتى صارت مثل الحمامة، وحين فتحت جمجمته وجدوا أنّ البعوضة لها فم من نحاس، ومخالب حديدية"، وزعم التلمود أنّ الرب –تعالى عما يقولون علواً كبيراً– بعد تدمير الهيكل وإلى الآن لم ينقطع عن البكاء والنحيب، ويردد عبارات الندم على سماحه بهدم الهيكل، ومن ذلك: (تباً لي ! أَمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادي)[2].

إنّ معظم قادة اليهود في فلسطين المحتلة من الحاخامات والأحبار ورجال السياسة لا يملون من الحديث عن وجوب إقامة هيكل سليمان ومن العبارات التي يرددونها دائماً: "لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل".



---

(١) قدس الأقداس : وهو أقدس الأماكن في الهيكل بزعمهم، وهو عبارة عن مكعب حجري مصمت أي بدون نوافذ، وكان يضم تابوت العهد، ويفصله عن الهيكل ستارة وسلسلة من الذهب وباب. انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٤/ ١٦٥).

(٢) إسرائيل والتلمود تأليف إبراهيم خليل أحمد (ص ٤٠).

اختلاف حاخامات وعلماء اليهود في تحديد مكان الهيكل

إنّه على الرغم من اعتقاد كثير من اليهود أن سليمان بنى الهيكل فوق جبل مريا حيث تراءى الرب تعالى لأبيه داود إلا أن اليهود اليوم لم يستطيعوا تحديد مكان الهيكل، وعلى الرغم من عمليات الحفر والتنقيب التي بدأت من سنة ١٩٦٨م إلى يومنا هذا فإنّهم ما زالوا مختلفين، لأنّ نصوص الكتاب المقدس لم تحدّد مكان الهيكل بالضبط، ولأنّ علماء الآثار لم يجدوا دليلاً واحداً يسعفهم في ذلك. ولعلماء اليهود وحاخاماتهم أقوال متعددة حول تحديد المكان.

١) يقول عالم الآثار الأمريكي "**غوردن فرانز**": "لا توجد دلائل على أن الهيكل كان هناك أو أنه لم يكن هناك، إن بعض الناس يعتقد أنه كان هناك".

ويضيف "**غوردن فرانز**": "هناك عدة نظريات حول الهيكل: كثيرون يقولون: إنه يقع حيث تقع الصخرة اليوم، ولذلك يقول الصهيونيون يجب إزالة المسجد... إن كبير الحاخامين الإشكناز **الحاخام غوردن** يعتقد أن الهيكل كان يقع على الشمال قليلاً من قبة الصخرة. وثمة نظرية ثالثة تقول: إن الهيكل كان يقع على الجانب الشمالي من الساحة، وهم يعتقدون أن قدس الأقداس يقع قرب قبة الروح القدس..."[1].

وأحب أن أذكر هنا أنّ معظم الباحثين الإسرائيليين من الحاخاميين يرون أن الهيكل كان يقوم في المكان الذي يقع فيه مسجد قبة الصخرة اليوم ومن هؤلاء مجموعة اليهود الأرثوذكس من حركة غوش إيمونيم الذين يسكنون مستوطنة كريات أربع المقامة في قلب مدينة الخليل، ومن أبرز قياداتهم الحاخام **موشي لافينغر**، والحاخام **إليعازر والدمان**، وقد حاولت مجموعة من هؤلاء اليهود نسف مسجد قبّة الصخرة، وقد نشر "روبرت فريدمان" تفاصيل مخططهم في مجلة "صوت القرية" الصادرة يوم ١٢ نوفمبر ١٩٨٥م.

٢) وهناك دراسة جديدة أعدها اليهودي أستاذ الفيزياء في الجامعة العبرية

---

(١) النبوءة والسياسة: (ص ١٠٩).

"أشركوفهان" المهاجر لإسرائيل من اسكتلندا، وقد أعلن بأن دراسته تعتمد على أدلة ثابتة، تفيد هذه الدراسة بأن معبد الهيكل اليهودي لم يكن قائماً في الموقع الحالي لقبة الصخرة إنما إلى الجنوب منه. ولقد نشرت هذه الدراسة في مجلة "الآثار التوراتية" واعترف "آشركوفهان" أن الحكومة الإسرائيلية قد موّلت دراسته[١]. وقد أيّد هذه الدراسة بنسبة٥٠٪ العالم البيولوجي الأمريكي "جيمس جاننغ" والذي سبق أن أجرى دراسات جيولوجية كبيرة في مصر والأردن وفلسطين.

ولكن هذه الدراسة لم تعجب كثيرين من العلماء اليهود. ويعتبرون أن وراء الدراسة دوافع سياسية: حتى تقول إسرائيل للعالم: إننا لا نريد تدمير المسجد لبناء الهيكل، وإننا سنقيمه إلى جانب قبة الصخرة، ويتمنى كثير من اليهود أن لا ينظر إليهم كمجرمين بل كمعتدلين، وحتى تتجنب الحكومة مخاطر الدخول في حرب مقدسة مع مئات الملايين من المسلمين. ولعل الحكومة الإسرائيلية تريد من وراء ذلك أن تختبر الأجواء السياسية لبناء الهيكل في الموقع الذي تريد ولو على حساب المسجد الأقصى[٢].

٣) هناك نسبة كبيرة من اليهود يرون أن مكان الهيكل هو تحت المسجد الأقصى[٣]، وأصحاب هذا الرأي يقولون: يجب إزالة المسجد الأقصى وبناء الهيكل لنثبت للعرب والمسلمين وللعالم كلّه أنّ لليهود السيادة الكاملة على أرض إسرائيل والسيادة الكاملة على مدينة أورشليم.

جاء في **"دائرة المعارف اليهودية"** في شرح كلمة صهيون: "يبغي اليهود أن يجمعوا أمرهم وأن يقدموا إلى القدس، ويتغلبوا على قوة الأعداء، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى، ويقيموا أملاكهم هناك"[٤].

٤) يذهب بعض العلماء والباحثين اليهود إلى أنّ الهيكل يقع في المنطقة الواقعة

---

(١) النبوءة والسياسة – ص ١١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المسجد الأقصى المبارك وهيكل بني إسرائيل، د. محمود صالحة ص ١٥٨.

(٤) نقلاً عن كتاب : قبل أن يهدم المسجد الأقصى (ص١٦٤).

بين المسجد الأقصى وبين مسجد قبة الصخرة، ومن هؤلاء **الباحث اليهودي "لفنوني"، والباحث "برافر"، والحاخام "الرامبام"، والرابي "أشتوري هفرحي"** - وجد قبل ٦٠٠ سنة تقريباً- واعتمد هؤلاء على تفسيراتهم وفهمهم لنصوص من المشناة التي تحدد قياسات الهيكل وهيئته ثم بتطبيقها على أرض الحرم وقياساتها[١].

اليهود يعتقدون أن الرب هو الذي أمر بهدم الهيكل فمن أمرهم ببنائه؟

إذا سلمنا جدلاً بصحة روايات الكتاب المقدس حول بناء سليمان عليه السلام للهيكل، فيجب أن يسلّم اليهود بأن الله تعالى نفسه الذي أمر ببناء الهيكل هو الذي قرّر هدم الهيكل ونفيه من الأرض عقاباً لسليمان عليه السلام باني الهيكل، لأنه حسب الكتاب المقدس ترك عبادة الرب وحده لا شريك له، ومال إلى عبادة آلهة أخرى، ولم يقم بحفظ وصايا الله وفرائضه بل مات مشركاً وثنياً فضلاً عن سماحه لنسائه بعبادة الآلهة والأوثان من دون الله تعالى وتقديم القرابين لها. كما يزعمون.

لقد جاء التهديد والوعيد الإلهي بهدم الهيكل في سفر الملوك الأول الإصحاح التاسع الفقرات ١-٨، وفي سفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح السابع، الفقرات ١٩-٢٢، ففي السفر الأول: "وكـان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب... وقال له الرب... إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي فرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسـجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمر عليه يتعجب ويصفر، ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم... وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر".

وجاء في السفر الثاني حول تهديد الرب بإزالة الهيكل وهدمه: "وهذا البيت الذي قدّسته لاسمي أطرحه من أمامي وأجعله مثلاً وهزأة في جميع الشعوب، وهذا

---

(١) المسجد الأقصى المبارك تأليف محمود صالحة (ص ١٨٢-١٨٩).

البيت الذي كان مرتفعاً، كل من يمر به يتعجب ويقول: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟.

وجاء قرار الرب تعالى بتنفيذ وعيده وتهديده لسليمان عليه السلام لأنه لم يحفظ ما أوصى به الرب ولم يحفظ عهده وفرائضه، بل عمل الشر في عيني الرب، وعبد آلهة أخرى وبنى لها معابد. فاستحق غضب الرب ومقته واستحق تمزيق مملكته تمزيقاً[1].

وحسب الروايات اليهودية فلقد تم هدم الهيكل وإزالته ومحو آثاره تماماً في القرن السادس قبل الميلاد (عام ٥٨٦ ق.م) على يد الملك البابلي "نبوخذ نصر".

إذا كان الرب تعالى قد توعد بتدمير الهيكل وأنفذ وعيده بتسليط "نبوخذ نصر" من أجل تدميره لفساد معتقدات بني إسرائيل وشرك أنبيائهم وبعدهم عن التوحيد الخالص لله في الطاعة والعبادة، وعدم قيامهم، وكذا أنبيائهم بفرائض الله وحفظ وصاياه وعهوده. فإن عدداً من الأسئلة تطرح نفسها وهي تنتظر الإجابة عنها، ومنها:-

١- مَنْ الذي أمر ببناء الهيكل بعد أن دمره الرب عز وجل؟

٢- ما هو المصدر المقدس الذي جاء فيه الأمر الإلهي ببنائه مرة ثانية؟

٣- مَنْ هو الذي بناه وفق أوامر الرب تعالى؟

٤- هل أصبح اليهود من أهل الإخلاص في طاعة الله وعبادته، وهل هم اليوم قائمون بفرائض الرب ووصاياه، ومن المحافظين على عهوده ومواثيقه؟ هل تركوا عبادة الآلهة والأوثان، وهل ابتعدوا عن الخرافات والشعوذات، وسفك الدماء وزهق الأرواح البريئة؟

إنّه يمكننا أن نجيب عن السؤال الرابع، ومن خلال الكتاب المقدس نفسه، ومن خلال تاريخهم القديم وواقعهم المعاصر الذي لا يخفى على أي أحد. إنّ الباحث المتتبع للتوراة وبقية أسفارهم المقدسة يجد عشرات النصوص التي تؤكد

---

[1] انظر سفر الملوك الأول: الإصحاح الحادي عشر، وسفر الملوك الأول، الإصحاح الرابع عشر.

عبادتهم للأوثان والأصنام، بل يخرج بنتيجة مفادها أن اليهود في تاريخهم عبدوا آلهة كل الشعوب الوثنية المخالطة لهم، والمحيطة بهم، وآلهة الشعوب التي تعاملوا معها، وآلهة الشعوب المسيطرة عليهم، وأنهم لم يعبئوا بتهديدات وتحذيرات الرب تعالى بهلاكهم وتشتيتهم وطردهم من رحمته عز وجل. ولكثرة النصوص الموجودة في الكتاب المقدس حول عبادة اليهود للأوثان والآلهة من دون الله فإني أحيل القارئ إلى مكانها من الكتاب المقدس.

ولقد دوِّنَت الكثير من الدراسات والأبحاث التي تكشف الوثنية والأسطورة في معتقدات اليهود وعباداتهم وطقوسهم الشعائرية. ومن أجودها الدراسة العلمية التي أعدها الباحث فتحي محمد الزعبي بعنوان "تأثر اليهودية بالأديان الوثنية"، وقد نال بها درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر سنة ١٩٨٧م وقامت دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية -مصر- بنشرها عام ١٩٩٤م.

علماء الآثار ودعوى وجود الهيكل تحت المسجد الأقصى:

إنّ الأدلة الأثرية من أكبر البراهين الدامغة على بطلان مزاعم اليهود والكاشفة لمفترياتهم وأكاذيبهم حول وجود الهيكل تحت الحرم القدسي الشريف، وبيان ذلك:-

إنّ اليهود قد احتلوا الشطر الشرقي من القدس عام ١٩٦٧م، ومنذ ذلك الزمن إلى اليوم وهم يحاولون العثور على أيّ أثر يدل على بقايا الهيكل المزعوم ويثبت مكانه تحت الحرم القدسي الشريف. لقد قامت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بإجراء حفريات وأنفاق تحت أسوار جبل بيت المقدس، وتحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها الغربي والجنوبي، وامتدت الحفريات إلى الأرضية الداخلية تحت ساحة المسجد، وتحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى، واستمرت الحفريات بشق نفق واسع طويل اخترق المسجد من شرقه إلى غربه، وأقام اليهود في النفق كنيس يهودي صغير افتتحه رسمياً رئيس الدولة ورئيس الوزراء الإسرائيلي عام ١٩٨٦م.وفي عام ١٩٨١م أعلنت الهيئات اليهودية الدينية عن اكتشاف نفق كبير

تحت الحرم القدسي. ولقد مرّت عمليات الحفر والتنقيب بعشر مراحل، كل مرحلة جديدة أشد شراسة من سابقتها، وتعد المرحلة العاشرة من مراحل الحفريات أخطر مرحلة لأن هدفها هو: تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجدين الأقصى وقبة الصخرة لترك المسجدين قائمين على فراغ ليكونا -لا قدّر الله تعالى- عرضة للانهيار والسقوط. ولقد افتتحت الحكومة الإسرائيلية تحت جدران المسجد الأقصى الجنوبي نفقين يمران من تحت المسجد الأقصى تزعم إسرائيل أنهما كانا يستخدمان لنقل المياه إلى الهيكل المزعوم، افتتح النفق الأول عام ١٩٩٦م في عهد رئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو بينما افتتح النفق الثاني بعيداً عن أعين وسائل الإعلام في عهد رئيس وزراء إسرائيل إيهود باراك، وتنوعت الجهات المشرفة على عمليات الحفر والأنفاق، فمن ذلك: وزارتا الأديان والآثار الإسرائيليتان، والجامعة العبرية ودائرة الآثار اليهودية، وصناديق تمويل خارجية، وجماعات دينية يهودية من داخل الكيان الإسرائيلي ومن خارجه، وقد شارك في هذه الحفريات أكثر من سبعين عالماً أثرياً[(١)].

والسؤال: هل وجد علماء الآثار اليهود والأوربيون والأمريكان خلال عمليات الحفر والتنقيب أثراً واحداً يدل على الهيكل المقدس المزعوم؟ وهل وجدوا برهاناً أثرياً يثبت أن المسجدين الأقصى وقبة الصخرة قد أقيما على أنقاض ذلك الهيكل كما تزعم الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية؟

والجواب: منذ عدة سنوات أبدت وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية في الأردن مخاوفها من أن تؤدي الحفريات والتنقيبات الأثرية التي تجري تحت المسجد الأقصى إلى هدم المسجد وتدميره، في عام ١٩٨٣م عقد الشيخ محمد أبو شقرا مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن نتائج أعمال الحفريات الأثرية تحت المسجد فقال: "إنّ الحفريات الأثرية تحت المسجد لم تسفر إلا على إلقاء الضوء على آثار من العهود الأموية والعباسية والعثمانية، ولم يجد الإسرائيليون أية أدلة تؤكد أن معبداً

---

(١) راجع هذه الحفريات في المصادر التالية: الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة، قبل أن يهدم المسجد الأقصى.

(الهيكل) أقيم في أي وقت في هذا المكان"[١]. ولليهود أكثر من موقع على شبكة المعلومات الدولية –الإنترنت–عن القدس لم يثبتوا فيها وجود حجر واحد يشهد لإدعاءاتهم عن القدس والمسجد الأقصى.

يقول الدكتور مروان أبو خلف– مدير المعهد العالي للآثار الإسلامية بجامعة القدس:

١. في شهر آب –أغسطس– ١٩٨١م أعلن عن وجود نفق بعمق ستة أمتار يمتد من أسفل الحائط الغربي للحرم القدسي في الموقع المسمى بالمطهرة حتى يصل إلى سبيل "قايتباي" المواجه لمسجد قبة الصخرة. وأثارت وقتها وسائل الإعلام الإسرائيلية ضجة حول هذا النفق في محاولة بائسة للإيهام بأن اكتشاف النفق ينطوي على دليل أثري يخدم مزاعم اليهود في البحث عن هيكل سليمان. ولقد روَّج فريق الحفر التابع لوزارة الأديان الإسرائيلية أنّ حجارة النفق هي من نوع حجارة الهيكل الثاني الذي بناه هيرودس (٢٧ ق.م –٤ م). ولكن سرعان ما كشف عن زيف الادعاءات الصهيونية، وأن المزاعم اليهودية حول هذا النفق وحجارته ما هي إلا محاولة للتزوير والتزييف الهدف منها مواصلة الحفريات تحت المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ضمن الخطة اليهودية التي تستهدف هدمهما وإزالة المقدسات الإسلامية في القدس لتبقى يهودية خالصة، خاصة بعد أن عجزت الحفريات تحت المسجدين عن الكشف عن أية آثار للهيكل المزعوم –والتي استمرت أربعة عشرة عاماً–، ولقد اعترف علماء الآثار اليهود أنفسهم بكذب الادعاءات الإسرائيلية. فصرح عالم الآثار الإسرائيلي "مائير بن دوف" أن العثور على النفق لا يعد اكتشافاً، لأنه نفق معروف– منذ ١١٠ سنة– ويعود اكتشافه إلى الكولونيل البريطاني "تشارلز وارين"، وأفاد التقرير الذي أصدره مهندس إعمار المسجد الأقصى أنّ النفق أثر إسلامي خالص. وقامت الهيئة الإسلامية بإغلاق فتحتي النفق بالقوة صباح ٣/ ٩/ ١٩٨١م أثناء الإضراب العام الذي ساد الضفة الغربية في تلك الفترة

[١] النبوءة والسياسة، ص ١٠٨.

احتجاجاً على حفريات النفق[١].

٢. يقول **الباحث "كورنفلد"**: إن كثيراً من البحوث والدراسات الأثرية أثبتت أنه لا وجود لأي أثر لهيكل سليمان أو لأية بنايات يهودية تحت مسجد قبة الصخرة أو حوله، فهذه الأرض طبيعية لا آثار فيها للهيكل. وقد استدل هذا الباحث بما يلي:-

** إنّ قطر الهيكل أكبر من قطر الصخرة، فلو أن الهيكل دمر أو حرق في هذه المنطقة، لتغطت الصخرة المشرفة بآثار الحريق، ولبقيت الآثار تحت الصخرة أو حولها، أو لبقيت حجارة محروقة أو تربة مع رماد في المنطقة، ولمّا لم يجد علماء الآثار شيئاً يدل على ذلك، ثبت يقيناً أنّه لم يحدث حريق في هذه المنطقة. وهذا يدل قطعاً على عدم وجود الهيكل في هذا المكان.

** أثبتت الحفريات التي جرت في هذه المنطقة أنّ لون التربة هو اللون الأصلي لتراب هذه المنطقة، والحجارة التي أخرجت بفعل الحفريات كانت باللون الطبيعي لتلك الحجارة، ولم تكن محروقة.

** إنّ الآثار الفخارية التي اكتشفت في منطقة الحرم القدسي أثبتت أنّ اليبوسيين سكنوا القدس في بداية ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، واكتشفت أيضاً قطعة من سور كان يحيط بمدينة يبوس، ولقد كانت مساحة مدينة يبوس حوالي أربعين دونماً، واتسعت هذه المدينة زمن سليمان عليه السلام حتى وصلت مائة وثلاثين دونماً[٢].

٣. إنّ الحفريات التي قام بها **الباحث اليهودي "بن دافيد"** شرق الحرم القدسي لم تثبت وجود آثار تدل على أي وجود لليهود من زمن الهيكل الأول عام ٩٦٨ ق.م أو من أيام رجوع اليهود إلى القدس بعد السبي البابلي سنة ٥٨٧ ق.م، ومن الناحية الجنوبية للحرم اكتشفوا بئر ماء محفورة بالصخرة يوجد فيها خمس

---

(١) الموسوعة الفلسطينية: إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية (٢/ ٢٢١-٢٢٢).

(٢) نقلاً عن المسجد الأقصى المبارك وهيكل بني إسرائيل، ص ١٧٠.

عشرة أداة فخارية كانت مستعملة في ذلك الوقت وسقطت بالبئر يرجع تاريخها إلى سنة ٩٠٠ ق.م، ومن الناحية الجنوبية الغربية وجدت آثار مدينة ترجع إلى العصر الأموي[١].

٤. من علماء الآثار الذين جاءوا إلى القدس واشتغل في أعمال الحفريات تحت المسجد الأقصى مدة عامين الأمريكي **"غوردن فرانز"** من نيوجرسي: لقد صرّح هذا العالم بأنه لا توجد دلائل على أنّ الهيكل كان هناك أو أنّه لم يكن هناك، ولمّا سئل أين كان موقع الهيكل قبل ألفي (٢٠٠٠) سنة كما تعتقد؟ فأجاب قائلاً: إنني لا أعرف.لا أحد يعرف؟[٢].

وقد أكدت هذا القول: **"أيلان ما زار"** المسئولة اليهودية عن الحفريات جنوبي المسجد الأقصى حيث قالت: "إنّ هناك تقليداً بأن مكان الهيكل في تلك المنطقة، وأنه لا أحد يعرف المكان الذي كان عليه الهيكل بالتحديد"[٣].

٥. إنّ الكاتبة الصحفية الأمريكية **"غريس هالسل"** زارت القدس عدة مرات، والتقت مع العشرات من اليهود والنصارى الصهاينة في أمريكا والأراضي الفلسطينية المحتلة، وقابلت علماء آثار وباحثين من اليهود والأمريكان المهتمين ببناء الهيكل، تقول هذه الكاتبة: "إنّ علماء الآثار لم يجدوا أيّ أثر يشير إلى أين كان يقع الهيكل الأول أو الثاني"[٤].

٦. ومن علماء الآثار الذين عملوا في البحث عن مكان الهيكل ولم يجدوا شيئاً العالم الأمريكي **"لامبرت دولفن"** وهو من العلماء البارزين في "معهد أبحاث ستاندفور" في ولاية كاليفورنيا لقد وضع خبراته ومعداته وأبحاثه لغرض التنقيب الأرضي عن هيكل سليمان، واستخدم في التنقيب أجهزة رادارية للبحث والتصوير

---

(١) نقلاً عن المصدر السابق، ص ١٧١.

(٢) انظر النبوءة والسياسة غريس هالسل (ص ١٠٩).

(٣) القدس في خطر إعداد جمعية الأقصى لرعاية المقدسات الإسلامية (ص ٣٠).

(٤) النبوءة والسياسة (ص ١٠٠).

الأرضي تحت المسجدين الأقصى وقبة الصخرة[١]. ولم تثبت أبحاثه وأعماله وجود أي أثر تاريخي يدل على مكان الهيكل.

أجرت جريدة القدس الفلسطينية مقابلة مع أبرز علماء الآثار في إسرائيل **مائير بن دوف** نشرتها تحت عنوان (**عالم إسرائيلي: هيكل سليمان أكذوبة**)، جاء فيها ما يلي: لقد فجّر عالم الآثار الإسرائيلي مائير بن دوف قنبلة دوّت صداً في المنطقة حيث كشف النقاب عن أنّه لا يوجد آثار لما يسمى بجبل الهيكل تحت المسجد الأقصى، مناصراً بذلك الأصوات السابقة التي كشفت عن ذلك ولا سيما علماء الآثار الإسرائيليين بقسم التاريخ بالجامعة العبرية. وفي هذا اللقاء تحدّث **مائير بن دوف** قائلاً: في أيام النّبي سليمان عليه السلام كان في هذه المنطقة هيكل الملك الروماني هيرودس وقد قام الرومان بهدمه، أمّا في العهد الإسلامي فلم يكن هناك أثر للهيكل، وفي العهد الأموي بني المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة وهو المكان الذي عرج منه النّبي محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى السماء، وأشار عالم الآثار الإسرائيلي إلى أنّ منطقة الحرم القدسي الشريف كانت على مستوى مختلف مما هي عليه اليوم، فقبل ألفي سنة لم تكن تلك المنطقة بنفس المستوى من التضاريس فمثلاً هيكل الملك هيرودس الروماني كان بمستوى أعلى من مستوى الصخرة المشرفة هذا اليوم.

وتابع يقول: ومن خلال أبحاثنا ودراستنا التي أجريناها نستطيع معرفة المعادلة الحسابية وكيف كانت تلك المنطقة وأكّد أن هيكل هيرودس لم تكن له أي علاقة بالصخرة المشرفة حيث كان هذا الهيكل مرتفعاً بخمسة أمتار.واستطرد يقول : جاء المسلمون إلى هذه الديار وبنوا على تلك الصخرة التي وجدت في تلك المنطقة التي ليس لها أي علاقة مع الهيكل، كما أنّ الصليبيين هم الذين أطلقوا على الصخرة

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، للدكتور يوسف الحسن (ص ١٤١).

المشرفة اسم صخرة الهيكل وأضاف: إذا قمنا بإجراء حفريات أسفل تلك المنطقة فإننا سنجد آبار مياه متشعبة، وقد رأينا قنوات مائية خلال مسيرة الحفريات، والدراسة التي أجريناها خلال الخمسة والعشرين سنة الماضية استنتجنا منها أنّه لا يوجد هيكل هناك (أي لا توجد بقايا من ذلك الهيكل) وإذا قمت بالحفر فإنك لن تستطيع إطلاقاً أن تجد أيّة بقايا للهيكل تدل على تلك الفترة مما يؤكد بأنه إذا ما تم الحفر خارج السور من الجهة الشرقية فإنه من الممكن أن يتم العثور على كتابات أو قطع أثرية لكن في الداخل أو أسفل منطقة الحرم القدسي فلا توجد أيّة بقايا أثرية أو غيرها.

١٤. إنّ كثيراً من العلماء والباحثين -وبخاصة من اليهود- يؤكدون أنّ منطقة الحرم القدسي ليس من المناطق المقدسة عند اليهود، فوجود الهيكل إذاً داخل الحرم القدسي خرافة وأسطورة. وبيان ذلك:-

أولاً: صرح الحاخام الأكبر السابق للجيش الإسرائيلي **"شلومو غورن"** بأن بعض أقسام منطقة الحرم القدسي ليست من أقسام جبل الهيكل المقدس عند اليهود، وقال: إنه توصل إلى تلك النتائج بعد القيام بقياسات وشهادات تستند إلى علم الحفريات[1].

ثالثاً: إذا كان اليهود يزعمون أن حائط البراق -الذي يسمونه حائط المبكى- هو جزء من هيكلهم المزعوم فإن هذا الزعم أبطلته وكشفت زيفه الدراسات العلمية الحديثة، ومن ذلك الدراسة التي ظهرت مؤخراً حول حائط البراق من "مركز القدس لأبحاث إسرائيل" حيث أكد فيها الباحث الدكتور "شموئيل بريجو فيتش" أنّ حائط البراق وقف إسلامي خالص[2].

---

(1) انظر نشرة الاعتداءات التي تعرض لها المسجد الأقصى من إعداد دار الفتوى والبحوث الإسلامية التابعة لمؤسسة الأقصى لرعاية المقدسات الإسلامية.

(2) انظر : القدس في خطر (ص٦).

وفي سنة ١٩٣٠م أوفدت عصبة الأمم إلى فلسطين لجنة ثلاثية، وبعد تحقيقها المستفيض في أحداث البراق التي وقعت في تلك السنة أصدرت اللجنة الدولية تقريراً يمتاز بالطابع العلمي التاريخي والالتزام بالحيدة التامة والموضوعية، جاء فيه ما يلي: "للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي المعروف باسم حائط المبكى.. وللمسلمين وحدهم الحق العيني فيه، لأنه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف.. وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط حيث يقيم اليهود صلواتهم وتضرعاتهم..".

ولا بد من التنويه هنا: إنّ إطلاق المسجد الأقصى على المسجد المعروف الآن هو اصطلاح حادث، فالمسجد الأقصى في المصطلح القرآني هو المكان الموجود الآن بين أسوار الحرم الشريف بالقدس، وقد كان مخصصاً للعبادة، وإنّ جميع المؤرخين والعلماء يطلقون اسم المسجد الأقصى أو مسجد بيت المقدس على ما دار عليه السور، وفيه الأبواب، وفيه اليوم المسجد المعروف بالأقصى ومسجد قبة الصخرة وكثير من الأبنية، وهذا المكان هو الذي كان معروفاً عند الإسراء والمعراج النبوي بالمسجد الأقصى.



مؤامرة الحفريات

يحاول اليهود منذ أن احتلوا القدس أن يعثروا على أثر يدل على أن مكان الأقصى والصخرة هو نفس المكان الذي كان يقوم فيه هيكل سليمان.. ولكن هل هذا هو كل الهدف من الحفريات.

إن اليهود قوم بهت أهل خداع ومكر... إن لهم هدفًا أبعد من ذلك وأشد خطرًا ولنحاول أن نتعرف على جوانب مؤامرة الحفريات:

فمنذ حرب يونيو ١٩٦٧م إلى الآن مرت عمليات الحفريات بعشر مراحل:

المرحلة الأولى: وهي بعد حرب يونيو مباشرة، فقد هدم اليهود حي المغاربة الوقفي نهائيًا لتكون الأرض جاهزة لأي أعمال حفر وتنقيب.

المرحلة الثانية: استمرت عمليات الهدم في الأحياء الإسلامية مع إجلاء سكانها العرب.. وفي هذه المرحلة حدث حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م وأقيمت في تلك الآونة المعاهد والمدارس الدينية والاستراحات والفنادق... وغيرها فوق أنقاض الأبنية العربية وجرت الحفريات على امتدد ٨٠ مترًا حول السور مارة حول الأبنية الإسلامية هناك.

المرحلة الثالثة: خلال الأعوام (١٩٧٠م -١٩٧٢م) بدأ شق الأنفاق تحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها الجنوبي والغربي حتى نفذت إلى الأرضية الداخلية تحت ساحة المسجد، وشملت هذه المرحلة الاستيلاء على أبنية إسلامية كثيرة منها المحكمة الشرعية.

المرحلة الرابعة: عام (١٩٧٣م) اقتربت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى وتغلغلت مسافة طويلة تحته ووصلت أعماق الحفريات وقتها إلى أكثر من ثلاثة عشر مترًا.

المرحلة الخامسة: عام (١٩٧٤م) وفيها توسعت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى وتغلغلت مسافة طويلة تحته، ووصلت أعماق الحفريات وقتها إلى أكثر من ثلاثة عشر مترًا.

المرحلة السادسة: (١٩٧٥- ١٩٧٦م) توسعت الحفريات تحت الجدار الغربي وأزال اليهود وقتها مقبرة للمسلمين تضم رفات عبادة بن الصامت وشداد بن أوس رضي الله عنهما.

المرحلة السابعة: (١٩٧٧م) وصلت الحفريات إلى تحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى، وتمت فيها موافقة لجنة وزارية إسرائيلية على مشروع بضم أقسام أخرى من الأراضي المجاورة للساحة، وهدم ما عليها بعمق تسعة أمتار.

المرحلة الثامنة: (١٩٧٩م) بدأت حفريات جديدة تحت الجدار الغربي قرب حائط البراق، وتم شق نفق واسع طويل، وتقرر الاستمرار فيه حتى يخترق المسجد الشريف من غربه إلى شرقه، وقد تم تحصين هذا النفق بالأسمنت المسلح وأقيم فيه كنيس يهودي صغير افتتحه رسميًا رئيس الدولة اليهودية ورئيس وزرائه عام (١٩٨٦م) واتخذ معبدًا مؤقتًا لليهود.

المرحلة التاسعة: (١٩٨٦م) وفيها انتشرت الحفريات من كل جانب وتم إجلاء أعداد كبيرة من السكان من القدس القديمة، وأغلقت السلطات الإسرائيلية مستشفى فلسطيني داخل البلدة القديمة، واغتصبت بيوتًا عربية كثيرة سكن (شارون) في أرض واحد منها تأكيدًا على تهويد القدس.

وشارك في هذه الحفريات علماء أثريون استقدمتهم (إسرائيل) وأدلوا بشهادات يثبتون بها أن في أرض المسجد الأقصى بقايا آثار يهودية وكان من ضمن المستقدمين قسيس مسيحي اسمه (برجيل بكسنز).

المرحلة العاشرة: وقد بدأت بشراسة فازداد التوغل تحت أرضية الساحة وحولها.. وبينما يقوم الحراس المسلمون بحماية المسجد من الداخل ضد أي اعتداء، إذا بالحفارين اليهود يتوغلون في الحفريات من المحيط الخارج عن الأسوار، ومن الأحياء التي تسيطر عليها القوات العسكرية اليهودية سيطرة تامة، وتركزت الحفريات على الطبقات التحتية لتفريغها من التربة.

وقد بدأت حفريات أخرى باتجاه المسجد الأقصى من باب الغوانمة، وهي

تجري لأجل عمل نفق ضخم تحت الأرض[١]، وادعت مجلة (ايندكس) الإسرائيلية أن الحفريات الأخيرة عثر خلالها على آثار تعود إلى عهد الهيكل الثاني[٢].

وقد حاول عمال الحفر اليهود (في شهر أغسطس/ آب ١٩٨٨م) الشروع في حفريات وسط الطريق المنحدر إلى حي (الوادي) الملاصق للمسجد، ولكن حراس المسجد منعوهم، وكرر الحفارون المحاولات ولكن الحراس صدوهم، وهدف الحفارون من هذا أن يصلوا مباشرة إلى قاعدة مسجد الصخرة المشرفة، ثم الوصول إلى حفريات أخرى تحت حائط المسجد الأقصى.

وهذه المرحلة العاشرة من مراحل الحفريات كانت تمثل أخطر مرحلة؛ لأن هدفها تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى، ومسجد الصخرة، لترك المسجدين قائمين على فراغ ليكونا، لا قدر الله عرضة للانهيار والسقوط بفعل أي تقلبات مناخية أو اهتزازات طبيعية أو حتى صوت عال تسببه طائرة تخترق حاجز الصوت.. أو إحداث زلزال اصطناعي ناتج عن التفجيرات النووية التكتيكية كما حدث مؤخراً في تفجيرات البحر الميت التي أجريت بهدف اختبار صلابة الأبنية في بعض المدن الإسرائيلية.. فهل أدركنا خبث المؤامرة وخطورتها؟

وقد سمحت الحكومة الإسرائيلية خلال عامي ١٩٩٥-١٩٩٦م، لمؤسستين إسرائيليتين وهما: (شركة الآثار الإسرائيلية) و (شركة تطوير القدس) بإجراء المزيد من الحفريات.. ومما يدل على وجود نية مبيتة في اللجوء إلى محاولة الهدم عن طريق إحداث الاهتزازات الصناعية ما أدلى به الخبير الإسرائيلي في علم الآثار (جوزيف سيرج) حين قال في تصريح له في ١٨/ ٨/ ١٩٩٠م: «سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة».

---

(١) صحيفة القدس ١٧/ ١١/ ١٩٩٩م.

(٢) صحيفة القدس ١١/ ٣/ ٢٠٠٠م.

شق الأنفاق.. والشق الآخر من مؤامرة الحضريات:

تعد عمليات شق الأنفاق، إجراءً مشتركًا ومكملاً لعمليات الحفريات، والعمل في شق الأنفاق تحت أرض المسجد الأقصى كان يجري بهدوء ودون ضجيج إعلامي حتى كانت حادثة الافتتاح الرسمي لنفق (الحشمونائيم) في سبتمبر عام ١٩٩٦م في عهد رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق (بنيامين نتنياهو) تلبية لطلب جماعة (أمناء الهيكل) اليهودية المتطرفة وقد نتج عنها صدامات واسعة النطاق في الأراضي المحتلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أدت إلى وقف ما يسمى بـ(عملية السلام) خاصة بعد أن تبجح نتنياهو وأعلن افتخاره بافتتاح هذا النفق قائلاً: «إنني فخور جدًا فالنفق يمس أساس وجودنا»[(١)]، وهو يعني قطعًا الهيكل الثالث بهذا القول.

وقد أعلن في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٠م عن إنجاز السلطات الإسرائيلية لنفق آخر.

وإلى جانب هذه المؤامرة التي أحكمت مراحلها قامت منذ الاحتلال الصهيوني لبيت المقدس محاولات محمومة ومسعورة للنيل من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.



(١) جريدة الوطن الكويتية (٢٨/ ٩/ ١٩٩٦ م).

الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ٢٠٠٠م

وها نحن نحاول تتبع هذه الاعتداءات أو محاولات الاعتداء منذ وقع الاحتلال حتى أواخر العام ٢٠٠٠ للميلاد.

أولاً: في عقد الستينيات:

١- في اليوم الثالث من بدء حرب يونيو ١٩٦٧م واستيلاء اليهود على القدس، دخل الجنرال (مردخاي غور) ساحة المسجد في سيارة نصف مجنزرة واستولى على المسجد.

٢- بعد أن دخل اليهود القدس مباشرة وبالتحديد في يوم ٢٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧م، عقد في القدس مؤتمر لحاخامات اليهود في العالم، ناقشوا فيه موضوع القدس والهيكل وطالب الحاضرون بالإسراع في عملية إعادة الهيكل الثالث، فقال لهم وزير الأديان يومذاك الدكتور (زيرخ فارهافتك):

«أنا لا أناقش أحدًا في أن الهدف النهائي لنا هو إقامة الهيكل ولكن الأوان لم يحن بعد وعندما يحين الموعد لا بد من حدوث زلزال يهدم الأقصى، ونبني الهيكل على أنقاضه».

٣- المحكمة الشرعية الإسلامية بالقدس، تتلقى طلبًا من مؤسسة أمريكية ماسونية لشراء منطقة الأقصى بمبلغ ١٠٠ مليون دولار، وقد رفضت المحكمة هذا الطلب.

٤- في ١٥ أغسطس (آب) ١٩٦٧م، دخل الحاخام الأكبر لإسرائيل ولجيشها (شلومو غورين) مرتديًا الزي العسكري إلى ساحة المسجد الأقصى يرافقه عشرون من ضباط الجيش وهرع داخل الساحات ملوحًا برشاش كان معه، ومجريًا القياسات هنا وهناك، ثم أعلن عن تحديد مكان «قدس الأقداس» أي أكثر الأماكن خصوصية في أرض الهيكل، ثم اصطف معه ضباط الجيش لتأدية الشعائر اليهودية، وأعلن يومها أن لديه مشروعًا لإقامة المعبد مكان مسجدي الأقصى والصخرة، وسيعمل على تنفيذه وأنشأ من ذلك الوقت ما سمي بـ «حركة إسرائيل الكبرى» فاتحًا بذلك

ملف الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى.

وفي اليوم التالي أعلن عن العثور على مخبأ أسلحة داخل المسجد الأقصى.

٥- في ٣١ أغسطس (آب) ١٩٦٧م، استولى جيش اليهود على مفتاح باب المغاربة[١]، وذلك لتيسير الدخول إلى حائط المبكى (البراق) كلما أرادوا، وكان ذلك بإيعاز من (شلومو غورين) الحاخام الأكبر لجيش الدفاع الإسرائيلي.

٦- في ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٩م، أقدم شخص استرالي نصراني يدعى (دينيس مايل) على إشعال النار في المسجد الأقصى، وأتت النيران المتصاعدة على أثاث المسجد وجدرانه ومنبره العظيم الذي كان الأيوبيون قد أعدوه لإلقاء خطبة الجمعة من فوقه بعد تحرير بيت المقدس، وقد أخلي سبيل هذا الدنس بعد محاكمة صورية أعلن فيها فعل ما حدث كمبعوث لله، وبموجب نبوءة في سفر زكريا، وكانت حيثيات الحكم بعد تحمله للمسئولية الجنائية أنه (مجنون)!!

ثانيًا: في عقد السبعينيات:

٧- في ١١ مارس (آذار) ١٩٧١م، قام (جرشون سلمون) قائد مجموعة (آل هارهاشم) (معناها: إلى جبل الله) وهو أيضًا من قواد منظمة (بيتار) ومنظمة (أمناء الهيكل) قام بقيادة مجموعة من الطلاب اليهود المتعصبين بمحاولة لتأدية الشعائر اليهودية في المسجد الأقصى.

٨- في يناير (كانون الثاني) ٣٠/ ١/ ١٩٧٦م، أقرت إحدى المحاكم الإسرائيلية حق اليهود في الصلاة بساحات الأقصى في أي وقت يشاءون من النهار، وذلك بعد محاكمة ثمانية يهود من بين ٤٠ يهوديًا اتهموا بالدخول عنوة داخل المسجد الأقصى مرددين الأناشيد اليهودية، وقد أصدرت القاضية الإسرائيلية (روث أرو) حكمًا يؤكد حق اليهود في الصلاة في المسجد، وبرأت المتهمين، وفي نفس العام في أغسطس (آب) حدثت اشتباكات بين المسلمين والمتدينين اليهود لمحاولاتهم دخول المسجد بالقوة.

---

(١) أحد الأبواب الرئيسية لساحات المسجد.

٩- في ١٤ أغسطس (آب) ١٩٧٨م، قام (جرشون سلمون) الذي سبق ذكره بمحاولة إقامة الصلاة اليهودية في المسجد الأقصى مع بعض مرافقين له، وتصدى لهم حراس المسجد.

١٠- في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) الشرطة الإسرائيلية تطلق وابلاً من الرصاص في ساحات المسجد الأقصى، فتقتل وتصيب العشرات.

ثالثًا: في عقد الثمانينيات:

١١- في ١٩ إبريل (نيسان) ١٩٨٠م الحاخامات الإسرائيليون يعقدون مؤتمرًا عامًا للترتيب للسيطرة على المسجد الأقصى.

١٢- في الأول من مايو (آيار) ١٩٨٠م، جرت محاولة لنسف المسجد الأقصى عندما اكتشفت بالقرب من المسجد أكثر من طن من مادة (ت.ن.ت) الشديدة الانفجار، فوق سطح أحد المعابد اليهودية واكتشفت متفجرات أخرى في مدرسة (باشيفا) اليهودية في المدينة القديمة للغرض نفسه، وحوكم في هذه القضية الإرهابي مائير كاهانا.

١٣- في أغسطس (آب) ١٩٨١م، تجمهر عدد كبير من اليهود قرب المسجد الأقصى وكسروا قفل (باب الحديد)، وأدوا الصلوات اليهودية بشكل استفزازي للمسلمين وكان المعتدون من جماعة جوش إيمونيم ويبلغ تعدادهم ٣٠٠ عضو.

١٤- في ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٨١م، أعلنت الهيئات اليهودية الدينية عن اكتشاف نفق يبدأ بحائط البراق، ويؤدي إلى فناء المسجد الأقصى، وأعلنوا أن لذلك علاقة بالهيكل الثاني، وبدءوا عمليات حفر هددت جدران المسجد بالانهيار، ولكن تصدت جموع من المسلمين للعمال اليهود، وردموا النفق بالقوة.

١٥- في ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٨٢م، رئيس مجموعة أمناء الهيكل (فرشون سلمون) ومجموعة من أتباعه يقتحمون المسجد الأقصى لتأدية الصلوات اليهودية.

١٦- في ٢ مارس (آذار) ١٩٨٢م، قام ١٥ شخصًا من جماعة (أمناء جبل الهيكل) باقتحام أحد الأبواب الخارجية للمسجد الأقصى (باب السلسلة)، وكانوا

مزودين بالأسلحة النارية، واعتدوا على حراس المسجد في الداخل فاشتبكوا معهم وأصيب أحد الحراس المسلمين بطعنة في جانبه الأيسر، وفي اليوم التالي قام المسلمون بإضراب شامل في القدس احتجاجًا على هذه الاستفزازات واجتاحت المظاهرات مدن الضفة الغربية ونابلس وبيرزيت، وبيت لحم.

١٧- في ٣ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، أقدمت مجموعة من الشباب اليهود المتدينين على اقتحام المسجد الأقصى عبر (باب الغوانمة)، وتصدى لهم الحراس المسلمون، وحدث اشتباك أصيب فيه أحد حراس المسلمين ولما حضرت الشرطة الإسرائيلية اعتقلت الحارس المصاب واستجوبت الحراس الآخرين.

١٨- في ٨ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، عثر الأهالي المسلمون على طرد مشبوه خلف أحد الأبواب الرئيسي للمسجد الأقصى، ووجدت الشرطة في الطرد بعد فتحه أسلاكًا كهربائية وجهاز توقيت، ورسالة موجهة إلى مجلس الأوقاف الإسلامي، وفيها (انتظروا مزيدًا من عملياتنا ضدكم) وفي اليوم التالي الذي وافق يوم جمعة قام المصلون المسلمون بالاعتصام داخل المسجد بعد الصلاة احتجاجًا على هذه التهديدات.

١٩- في ١١ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، اقتحم جندي إسرائيلي يدعى (آلان جودمان) المسجد الأقصى عبر (بوابة الغوانمة) وأطلق النار على حارس الباب فأصابه وأصاب أحد أفراد الشرطة.. ثم هرع إلى مسجد الصخرة وهو يطلق النار بغزارة وبشكل عشوائي فأصاب عددًا من المصلين، وقتل أحد حراس مسجد الصخرة، وشارك بعض الجنود الإسرائيليين المتمركزين على أسطح المنازل المجاورة في إطلاق الرصاص تجاه مسجد الصخرة، فأخذ المؤذنون يناشدون الأهالي المسلمين عبر مكبرات الصوت بالتوجه فورًا على ساحات المسجد للدفاع عنه.. فتدافع المسلمون نحو المسجد إلا أن الجنود اليهود الواقفين على الأسطح القريبة بدءوا يطلقون النار عليهم فأصابوا مائة شخص.. وأغلق الجنود الإسرائيليون أبواب البلدة القديمة لمنع الأهالي من التدفق تجاه المسجد وفرقوا الأهالي العزل بطلقات

الرصاص والقنابل المسيلة للدموع، وبعد القبض على جودمان ومساءلته، ادعت السلطات الإسرائيلية أنه مختل عقليًا!

وأصدرت حركة كاخ التي كان يتزعمها (كاهانا) بيانًا يهاجم كل من أدان الحادث، بل ويهاجم الخارجية الأمريكية جاء في البيان: «إن حركة كاخ تنظر بقلق إلى بيان الخارجية الأمريكية التي تنظر للحادث وكأنه قد حدث في مكان مقدس للإسلام وحركة كاخ تلقي بكامل المسئولية على الحكومة الإسرائيلية التي لم تنجح خلال خمسة عشر عامًا أن توضح للعالم أن قدسية هذا المكان هي لشعب إسرائيل كله، وأنه هناك بني الهيكل، وهناك سيعود فيبنى» ثم أردف البيان قائلاً: «إن حركة كاخ تجدد نداءها إلى طرد الغرباء من جبل البيت، وإلى إزالة المباني (الحقيرة) من هناك، والتي أقيمت على المكان المقدس»، ولما عرض الحادث على مجلس الأمن الدولي في ٢٠/ ٤/ ١٩٨٢م استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض (الفيتو) ضد مشروع قرار يندد بإسرائيل!.

٢٠- في ٢٧ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، قامت مجموعة قوامها مائة شخص يهودي بزعامة كاهانا بمحاولة لاقتحام المسجد الأقصى حاملين لافتات تدعو لطرد العرب من فلسطين كما حملوا صورة كبيرة تبين منظر ساحات الأقصى وقد خلت من المسجدين ووضع مكانهما الهيكل الثالث.

٢١- في ٢٩ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، قامت مجموعة مسلحة مكونة من ثلاثين شخصًا بمحاولة لدخول المسجد بالقوة، إلا أن الحراس المسلمين تصدوا لهم، وأوصدوا الأبواب في وجوههم.

٢٢- في ٦ مايو (آيار) ١٩٨٢م، قام مجهولون بإطلاق الرصاص على قبة الصخرة، فأقفل الحراس جميع أبواب المسجد وتبين أن أحد المستوطنين اليهود أطلق الرصاص من فوق مدرسة مجاورة.

٢٣- في ٢٥ يوليو (تموز) ١٩٨٢م، اعتقل (يوئيل لرنر) وهو من نشطاء حركة (كاخ) بمحاولة لنسف مسجد الصخرة المشرفة، كان قد جمع عددًا من الشباب

الصغار ضمن حركة سرية، ووضع خططًا لنسف المساجد الإسلامية الأخرى بالمنطقة.

٢٤- في نفس العام ١٩٨٢م، قام الإرهابي (أرنيل) من الكلية المدنية في (كريات أربع) بمحاولة لاقتحام المسجد الأقصى مع مجموعة من طلابه، يبلغون عشرين شخصًا.

٢٥- في ١١ مارس (آذار) ١٩٨٣م، حاول بعض الشباب اليهود من أتباع الإرهابي (زلمان كورن) القيام باقتحام المسجد الأقصى، وبعد محاكمتهم والحكم ببراءتهم وجه القاضي الإسرائيلي اللوم إلى الشرطة لاعتقالهم، وأخلى سبيلهم في ٢١/ ٩/ ١٩٨٣ م.

٢٧- في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م، جرت محاولة آثمة لنسف الأقصى ومسجد عمر، ولكن تصدى لها الحراس المسلمون، وأفشلوها بعون الله.

٢٨- في ١٢ مارس (آذار) ١٩٨٤م، حاول عدد من أعضاء الجماعات الدينية اليهودية المتشددة اقتحام مناطق مجاورة للمسجد الأقصى بهدف إقامة مستوطنة دينية، ومدرسة دينية يهودية.

٢٩- في شهر يوليو (تموز) من عام ١٩٨٤م، حاول يهودي متعصب اقتحام المسجد بسيارته.

٣٠- في بداية أغسطس (آب) من عام ١٩٨٤م، اكتشف حراس الأقصى المسلمون عددًا من الإرهابيين اليهود في الساحات المحيطة بالمسجد وهم يعدون لعملية نسف تامة للمسجد، وقال وقتها الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس رحمه الله: «لولا عناية الله تعالى لما بقي حجر على حجر من المبنى الشريف»، وقال: «لقد كشفت كميات الأسلحة الهائلة التي وجدت بعد فرار المجرمين حجم العملية التي كانوا ينوون القيام بها، فقد كانت هذه الأسلحة تتشكل من قنابل ومتفجرات أخرى، واعترفت السلطات الإسرائيلية أن الذين قاموا بالمحاولة كان في حوزتهم مائة وعشرون كيلو جرامًا من مادة (ت.ن.ت) الشديدة الانفجار».

٣١- في أغسطس (آب) ١٩٨٤م، قامت السلطات اليهودية برفع العلم الإسرائيلي داخل ساحات الأقصى طبقًا لقرار وزير الداخلية الإسرائيلي وقتها (يوسف بورج) وكانوا قد رفعوه قبل ذلك التاريخ بثلاثة أسابيع، ولكنهم اضطروا إلى إنزاله بعد احتجاج المجلس الإسلامي في المدينة المقدسة.

٣٢- في ٧ أغسطس (آب) ١٩٨٤م، اكتشف أحد المارة عبوة ناسفة في الحي اليهودي في القطاع الشرقي من مدينة القدس، وجاء هذا الحادث بعد أيام من اكتشاف كميات كبيرة من الأسلحة في مغارة في المدينة المقدسة، وترجح وقتها أن تكون هذه الأسلحة لجماعات يهودية متعصبة.

٣٤- في ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٨٤م، حكم بالسجن على طالب إسرائيلي اتهم بالتخطيط لنسف المسجد الأقصى، ومعروف أن هذه الأحكام لا تلبث أن تلغى أو تختصر بعد بذل المساعي من الشخصيات والهيئات والجماعات اليهودية.

٣٥- في ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤م، كشف النقاب عن محاولة يهودية فاشلة لنسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وذلك عندما قامت عناصر يهودية مسلحة من حرس الحدود الإسرائيلية بوضع عبوة ناسفة في الساحة الرئيسية للمسجد الأقصى، إلا أن حراس المسجد اكتشفوها وأبطلوا مفعولها، وعلى إثر الحادث نظم إضراب عام شمل المدينة المقدسة احتجاجًا على المؤامرة.

٣٦- في ٢١ أغسطس (آب) ١٩٨٥م، الشرطة الإسرائيلية تسمح لبعض المتطرفين اليهود بإحياء ذكرى الهيكل الثاني بأداء الطقوس عند المسجد الأقصى.

٣٧- في ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦م، قامت قوات من الجيش الإسرائيلي أو ما يسمى بحرس الحدود بفرض حظر التجول في منطقة المسجد الأقصى وأقدمت القوات على اعتقال عدد كبير من المصلين وحراس المسجد إثر تصديهم لأعضاء لجنة الداخلية التابعة للكنيست الإسرائيلي، وكان أعضاء الكنيست الإسرائيلي قد تجولوا في ساحات المسجد بتنسيق مع شرطة الاحتلال بهدف تحديد مكان في المسجد يدخله اليهود ليكون خاصًا بهم لتأدية الشعائر الدينية اليهودية، وقد تعمدوا عدم إشعار

الهيئات الإسلامية المعنية بزيارتهم للمسجد، وعند دخول أعضاء اللجنة للمسجد، أسرع مؤذن المسجد وتناول مكبر الصوت الموجود بالمسجد وصاح بمجموع المسلمين ليتصدوا لهذه المؤامرة ولكن قوات الشرطة سارعت بالتدخل لتضمن مغادرة أعضاء الكنيست للمكان سالمين، ويلاحظ أن المحاولة هذه اتسمت بالرسمية بخلاف محاولات الجماعات والمنظمات الأخرى التي لم تحاول الجهات الرسمية الظهور معها في الصورة.

٣٨- في إبريل (نيسان) ١٩٨٦م، اقتلع البوليس الإسرائيلي بالقوة بابًا في مدخل مبنى يقع بالقرب من الحائط الغربي للمسجد الأقصى، وكان الباب قد وضعه الحراس المسلمون عند مدخل المبنى القريب من المسجد الأقصى لمنع تسلل اليهود إليه في الليل.

٣٩- في إبريل (نيسان) ١٩٨٦م، حاولت إحدى العصابات الصهيونية (منظمة أمناء جبل البيت) اقتحام المسجد الأقصى بقيادة (جرشون سلمون)، ولكن الحراس المسلمين والسكان العرب تصدوا لهم ومنعوهم من الدخول، فاكتفى أعضاء العصابة بأداء الشعائر اليهودية قرب حائط المبكى.

٤٠- في ٤ أغسطس (آب) ١٩٨٦م، مجموعة من الحاخامات تقرر بصورة نهائية السماح لليهود بتأدية طقوسهم في المسجد الأقصى، ويقررون حق اليهود في إنشاء كنيس يهودي في ساحات الأقصى.

٤١- في ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٦م، دخلت جماعات من حركتي (أمناء جبل البيت) و(حزب هتحيا) ساحة الأقصى، وأقاموا الطقوس اليهودية فيها تحت حراسة قوات الشرطة اليهودية، وكان ذلك خلال احتفال المسلمين بعيد الأضحى المبارك.

٤٢- في ٢ يوليو (تموز) ١٩٨٨م، وزارة الأديان الإسرائيلية، تعلن الانتهاء من حفر نفق بالقرب من باب الغوانمة.

٤٣- في ١٧ مارس (آذار) ١٩٨٩م، حراس المسجد الأقصى يكتشفون كميات كبيرة من المتفجرات بداخله وكانت إحدى الجماعات اليهودية قد وضعتها لأغراض

تخريبية.

٤٤- في ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٩م، الشرطة الإسرائيلية تسمح للمتدينين اليهود بشكل رسمي أن يقيموا صلواتهم عند أبواب المسجد الأقصى.

٤٥- في ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩م، قامت جماعة (أمناء الهيكل) اليهودية بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث قرب مدخل المسجد الأقصى، بزنة ٥.٣ طن، وقال (جرشون سلمون) الذي قاد عملية تدشين الهيكل: «إن وضع حجر الأساس يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة» «لقد انتهى الاحتلال الإسلامي، ونريد أن نبدأ عهدًا جديدًا من الخلاص للشعب اليهودي».

رابعًا في عقد التسعينيات:

٤٦- في ٨ أغسطس ١٩٩٠م، صدامات مع الشرطة الإسرائيلية في ساحة المسجد الأقصى، تسفر عن استشهاد ٢٢ مصليًا وإصابة أكثر من مائتي شخص بجراح.

٤٧- في ٧ يوليو (تموز) ١٩٩٦م، الإعلان عن حفريات خطيرة أدت إلى خلخة في الحائط الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى.

٤٨- في ٢٤ سبتمبر (أيلول) رئيس بلدية القدس يفتح رسميًا نفقًا تحت السور الغربي للأقصى، وهو نفق (الحشونئيم) مما أدى إلى اشتعال الموقف ووقوع اضطرابات خطيرة في القدس، أدت إلى وقف مفاوضات السلام وقتها.

٤٩- في ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٧م، ازدادت المخاوف على أساسات المسجد الأقصى بعد الكشف عن أن الحفريات الإسرائيلية في جنوب غرب المسجد قد تعمقت لتصل إلى ارتفاع ٦-٩ مترًا.

٥٠- في ٢٨ مايو (آيار) ١٩٩٧م، حاخامات المستوطنين يطالبون بتقسيم ساحات الأقصى بين المسلمين واليهود.

٥١- في ٣١ أغسطس (آب) ١٩٩٩م، السلطات الإسرائيلية تكشف عن خطط لهدم المباني الأموية المحاذية للمسجد من أجل توسيع ساحات ما يسميه

اليهود: حائط المبكى.

٥٢- في ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٩م، الحكومة الإسرائيلية تعلن عن تسلمها مهمة حراسة المسجد الأقصى بالبوابات الإلكترونية والسياج المكهرب.

٥٣- في ٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٩م، رئيس الوزراء الإسرائيلي (إيهود باراك) يفتح مدرجًا لليهود المتدينين في الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى لأداء الطقوس الدينية اليهودية فيه.

٥٤- في ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٩م، الشرطة الإسرائيلية تعتقل شرطيًا إسرائيليًا سابقًا خطط لعمل إرهابي ضد المسجد الأقصى.

٥٥- في ٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٩م، السلطات الإسرائيلية تقرر وقف أعمال الترميم في المسجد الأقصى.

٥٦- في ١٥ إبريل (نيسان) ١٩٩٩م، وزارة الأديان الإسرائيلية تعلن عن نيتها في افتتاح نفق أسفل حائط البراق، لتسهيل الوصول لحائط (المبكى).

خامسًا: الاعتداءات في عام ٢٠٠٠م، وبداية الألفية الثالثة:

تَمَيَّز ذلك العام كما كان متوقعًا بارتفاع وتيرة السعار اليهودي والنصراني أيضًا، من أجل فرض ما أطلق عليه منذ عدة سنوات (الحل النهائي) الذي تعد قضية القدس والأقصى من أعقد مسائله، وقد شهدت الأرض المقدسة وساحة المسجد الأقصى في بداية ذلك العام زيارة يغلب عليها الصمت والغموض من رأس الكاثوليكية الدولية بابا الفاتيكان (يوحنا بولس الثاني) ضمن جولة طاف خلالها بالبلدان التي قال: إن المسيح عليه السلام قد وطئها، وهي فلسطين والأردن ومصر، ومعروف أن الفاتيكان يرفض السيطرة الإسرائيلية أو الإسلامية على المدينة المقدسة ويطلب بتدويل القدس باعتبارها: مدينة المسيح!

وتقترن سنة ٢٠٠٠م بمعتقدات نصرانية ترتبط بعودة المسيح عليه السلام إلى الأرض وقدومه في أوائل ألفية جديدة؛ ولكن تلك العقيدة الألفية يتعلق بها بشكل أكثر النصارى البروتستانت الذين يشاركون اليهود في قسم كبير من معتقداتهم.

أما اليهود فلا يمثل عام ٢٠٠٠م بحد ذاته علامة فارقة عندهم؛ لأن التاريخ الميلادي غير معترف به دينيًا لدى اليهود الذي لا يؤمنون بنبوة عيسى عليه السلام ولكن مؤيديهم ومنظمي تحقيق أحلامهم من النصارى البروتستانت، يدفعون اليهود دفعًا إلى أن يكونوا أداة لتحقيق أحلامهم هم، تلك الأحلام التي يستثمرها اليهود لصالحهم، فما دامت تهدف إلى تمكينهم من كامل الأرض المقدسة بحدودها التوراتية، وما دامت تهدف إلى مساندتهم في المساعي الرامية إلى هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثالث، وما دامت تهدف إلى الوقوف معهم بكل قوة لإذلال العرب والمسلمين في أوطانهم، فما الذي يمنع اليهود من قبول هذه المزايا والعطايا التي يهديها أتباع المسيح لأعداء المسيح؟!

أما حصاد التعاون المشترك بين اليهود وأولئك النصارى في الشهور المنصرمة من عام ٢٠٠٠م فيما يتعلق بالمسجد الأقصى فهو على ما يأتي:

* في ٢٠ مايو (آيار) ٢٠٠٠م أعلنت السلطات الإسرائيلية أنها اكتشفت مدينة داود عليه السلام بعد ثلاثة أعوام من الحفريات قرب أحد الأسوار.

* في ١٣ يونيو (حزيران) ٢٠٠٠م، الشرطة الإسرائيلية تمنع أعمال الترميم في المصلى المرواني بدعوى أنه لا يدخل ضمن أرض المسجد الأقصى.

* في ٥ يوليو (تموز) ٢٠٠٠م، الحكومة الإسرائيلية تقرر مشروع قانون أساسي، يعد القدس الشرقية تدخل ضمن العاصمة الأبدية لـ(إسرائيل).

* في ١٦ يوليو (تموز) ٢٠٠٠م، رئيس بلدية القدس (يهود ألمرت) يدعو إلى السماح لليهود بتأدية الصلوات اليهودية في ساحات المسجد الأقصى بصورة رسمية.

* في شهر يوليو (تموز) ٢٠٠٠م، دائرة الآثار الإسرائيلية تزيل المباني الأموية جنوب المسجد الأقصى.

* في أغسطس (آب) ٢٠٠٠م، مجلس الحاخامية الكبرى بالدولة اليهودية وهو أكبر مرجع ديني يناقش اقتراحًا بإقامة كنيس يهودي مؤقت داخل ساحة المسجد الأقصى، وعدد كبير من الحاخامات يوافقون على الاقتراح، وقال صاحب الاقتراح

الحاخام (الياشيف هاكوهين) حاخام حيفا: «عما قريب؛ فإن الملايين من اليهود ستقر أعينهم عندما يكون بإمكانهم الصلاة داخل جبل المعبد، هذا المكان لنا، هنا قدس الأقداس.. لا مكان هنا للمسجد الأقصى بإمكان العرب التوجه إلى مكة بدلاً من الأقصى».

* في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٠م، مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي (إيهود باراك) يعلن أن حكومة باراك أو أي حكومة إسرائيلية لا يمكن أن تقبل بسيادة فلسطينية أو عربية أو إسلامية على (جبل الهيكل).

* في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٠م، الحكومة الإسرائيلية تقدم على إشعال فتيل الحرب الدينية في الشرق الأوسط، بالسماح لزعيم المعارضة الليكودي (أرئيل شارون) بزيارة المسجد الأقصى، وسط حراسة ٢٠٠٠ شرطي إسرائيلي، والمواجهات الدامية تنطلق من ساحة المسجد الأقصى في اليوم التالي للزيارة الذي وافق يوم جمعة، وتسفر عن مقتل وإصابة ما لا يقل عن مائة فلسطيني منهم ١٣ من فلسطيني الداخل إلى جانب ثلاثة آلاف جريح، بعد عشرة أيام فقط من بدء المواجهة، والعالم العربي والإسلامي يفور غليانًا احتجاجًا على هذه الاستباحة اليهودية لحرمة الإنسان والأديان.

* في ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٠م حاولت جماعة (أمناء الهيكل) اليهودية التي يغلب عليها الأمريكان، أن تضع (حجر الأساس) للهيكل الثالث، وذلك بعد أن حصلت كما أذيع وقتها على إذن من الحكومة الإسرائيلية.

* في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٠م، هددت إحدى الحركات الدينية المتشددة بالقيام بعملية انتحارية لتفجير طائرة محملة بالمتفجرات فوق المسجد الأقصى، وذكرت صحيفة (معاريف) الإسرائيلية الصادرة في ١٩/ ١١/ ٢٠٠٠م، أن قيادة اللواء الجنوبي في الشرطة الإسرائيلية تلقت رسالة بهذه التهديد موقعة من جماعة تطلق على نفسها اسم (السهم الجنوبي).

محاولات إحراق ونسف المسجد الأقصى على أيدي اليهود

في يوم٢١/٨/١٩٦٩م قام الإرهابي اليهودي الأسترالي (دينيس مايكل) وبدعم من العصابات اليهودية المغتصبة للقدس بإحراق المسجد الأقصى المبارك، في جريمة تعتبر من أكثر الجرائم إيلامًا بحق الأمة وبحق مقدساتها، حيث أتت ألسنة اللهب المتصاعدة على أثاث المسجد المبارك وجدرانه، ومنبر صلاح الدين الأيوبي.. ذلك المنبر التاريخي الذي أعدّه القائد صلاح الدين لإلقاء خطبة من فوقه لدى انتصاره وتحرير لبيت المقدس، كما أتت النيران الملتهبة في ذلك الوقت على مسجد عمر بن الخطاب، ومحراب زكريّا، ومقام الأربعين، وثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب شمالًا داخل المسجد الأقصى، وبلغت المساحة المحترقة من المسجد الأقصى أكثر من ثلث مساحته الإجمالية، حيث احترق ما يزيد عن ١٥٠٠م٢ من المساحة الأصلية البالغة (٤٤٠٠ م٢) وأحدثت النيران ضررًا كبيرًا في بناء المسجد الأقصى المبارك، وأعمدته، وأقواسه، وزخرفته القديمة وسقط سقف المسجد على الأرض نتيجة الاحتراق، وسقط عمودان رئيسان مع القوس الحامل للقبة، كما تضرّرت أجزاء من القبة الداخلية المزخرفة، والمحراب والجدران الجنوبية، وتحطّم ٤٨ شباكًا من شبابيك المسجد المصنوعة من الجبس والزجاج الملون، واحترق السجاد، وكثير من الزخارف، والآيات القرآنية. وقد كانت جريمة إحراق المسجد الأقصى من أبشع الاعتداءات بحقّ الحرم القدسي الشريف، كما كانت خطوة يهودية فعلية في طريق بناء الهيكل اليهودي المزعوم مكان المسجد الأقصى. وكانت الكارثة الحقيقية والصدّمة التي أعقبت هذا الاعتداء الآثم.. أن قامت محاكم الكيان الصهيوني بتبرئة ساحة المجرم الأسترالي، بحجة أنه (مجنون)!! ثمّ أطلقت سراحه دون أن ينال أيّ عقوبة أو حتى مجرد إدانة! وصرّح المجرم اليهودي (دينيس مايكل) لدى اعتقاله: **"أنّ ما قام به كان بموجب نبوءة في سفر زكريا مؤكدًا أنّ ما فعله هو واجب ديني كان ينبغي عليه فعله، وأعلن أنه قد نفذ ما فعله كمبعوث من الله"..**[1].

---

[1] من مقال للشيخ رائد صلاح، بعنوان «الأقصى في خطر»، انظر موقع مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية -١٤/٩/٢٠٠١م.

توالت المحاولات الإسرائيلية لنسف المسجد الأقصى والحرم القدسي الشريف، ومن أبرزها:- ما حدث في أيار- مايو ١٩٨٠م عندما عثرت قوات الأمن الإسرائيلية على مخزن للمتفجرات بالقرب من المسجد الأقصى كان قد أعدّه الإرهابي الحاخام **مائير كهانا** وعصابته. وفي١١ آذار-مارس ١٩٨٣م اكتشف الحراس العرب ستًا وأربعين رجلًا من المستوطنين اليهود يقفون بجوار الحائط الجنوبي للأقصى ويحملون معهم المتفجرات وأدوات الحفر وعندما حاصرهم الحراس أعلموا الشرطة، فألقت القبض عليهم واعتقلتهم ثم أطلقت سراحهم.. وفي ٣٠/ ١/ ١٩٨٤م اكتشفت ثلاثة قنابل يدوية من النوع الذي يستخدمه جيش الاحتلال الإسرائيلي أمام باب الأسود، وكانت هذه القنابل مخبأة في إحدى ثمار القرع. واكتشف الحراس العرب شحنة متفجرة أسفل بعض الأغصان، وكانت مجهزة للانفجار عند وصول المستشار الألماني (هوليموت كو ل) لزيارة الحرم الشريف عام ١٩٨٥م. وأيضًا ومنذ سنين حذر أحد ضباط الاحتياط مما يمكن أن يقوم به هؤلاء حيث **قال**: "أنا أعرف معرفة شخصية مقاتلين من نخبة وحدات الجيش، ومن خريجي أفضل اليشيفوت (المدارس الدينية) في أورشليم، قد أشربوا حماسة دينية مسيحانيّة[1]. عسى أن يعاد بناء الهيكل سريعًا في أيامنا". وهؤلاء الأشخاص غير المسئولين ربّما استولوا على طن من المتفجرات ومضوا تحت ستار من ضباب الفجر يقتربون من جبل الهيكل في بعض ناقلات الجند المدرعة ليزرعوا المتفجرات عند قبة الصخرة، وإذا توصلوا إلى زرع بضع مئات من الكيلو جرام، فسيكون في قدرتهم تسوية القبة بالصخرة ".

وجاء في اعتراف خطير **"لكرمي غيلون"** رئيس جهاز الأمن الداخلي الصهيوني «الشين بيت» السابق: «أنه عشية الانسحاب الأخير من سيناء عام ١٩٨٢ كانت خطة تفجير قبة الصخرة والمسجد الأقصى على أيدي مجموعة يمينية متطرفة جاهزة للتنفيذ غير أن تردّد أحد الذين أعدوا الخطة في اللحظة الأخيرة حال دون

---

(١) معناها: الإيمان بظهور المسيح اليهودي الذي سيحكمون العالم بقيادته.

تنفيذها. وأوضح **غيلون** في مقال له نشرته صحيفة (يديعوت أحرونوت) العبرية يوم ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٠ أن القائمين على خطّة تفجير قبة الصخرة كانوا ثلاثة أشخاص من المتزمتين أيديولوجيا، وهم **دان باري، ويوشاع بن شوشان، ويهودا عتصيون.** وانضم إليهم فيما بعد شخص رابع يدعى **مناحيم ليفني** الذي خدم في الجيش في وحدة الوسائل الخاصة لسلاح الهندسة. وقال **غيلون**: "إنّه عندما دخلت الفكرة مرحلة التخطيط أصبح هناك حاجة لدخول شخص يفهم قضية التفجيرات، وعندها دخل **مناحيم ليفني** وبدأ على الفور بالتخطيط العملي لنسف مسجد قبة الصخرة. وقال **غيلون**: إنّ المجموعة نجحت في تلك الفترة في تجنيد واحد وعشرين شخصًا، وباشروا في جمع معلومات استخبارية، وقاموا بجولات ميدانية في المسجد الأقصى، حتى أنّ أحدهم تخفى في إحدى الجولات بزي كاهن، وادعى أنّه كاهن فرنسي يقوم ببحث عن المسجد الأقصى، ويحتاج إلى دراسة المسافات بين الأعمدة التي تستند عليها قبة الصخرة، وقام حراس المسجد بمساعدته، واستقبلوه بحفاوة بالغة وساعدوه في مهمته. وتابع يقول: "وخلال عامين طور **ليفني** أجهزة خاصة من أجل نسف الأعمدة التي تستند عليها القبة.. ووصل إلى الاستنتاج بأنه من الأفضل استخدام مواد شديدة الانفجار". ولكنّ هذه المواد التي اختارها **ليفني** لم تكن موجودة إلا في وحدات الهندسة التابعة للجيش وكميتها تخضع للرقابة، وهنا اضطر ليفني إلى التفكير بوسيلة أخرى وكان الحلّ في (الثعبان المدرع)، وهي وسيلة قتالية كانت سريّة في ذلك الحين، وهو عبارة عن صاروخ يطلق إلى حقل ألغام مضاد للدبابات يحمل في ذيله كمية كبيرة من المادة الناسفة المختارة. وقال الكاتب: إن **ليفني** كان يعرف أن **(الثعبان المدرع)** موجود في وحدات المدرعات، وهكذا تسلّل مع عدد من أعضاء المجموعة إلى قاعدة مدرعات في هضبة الجولان، وحصلوا على المادة الناسفة. وبعدها قامت المجموعة بإعداد العبوات الناسفة، التي ستستخدم في العملية، حيث أعدّوا اسطوانات تفجير لتوجيه الصدى إلى الداخل نحو الأعمدة، وقال **غيلون**: "لقد عثرنا على هذه العبوات التي تم إخفاؤها في (كفار إبرهام)--في

بتاح تيكفا- بكاملها مغلقة بالبولياتيلين وجاهزة للانفجار". وتقرّر وفقًا **لغيلون** أن يكون مكان تنفيذ الخطة هو باب الرحمة، وهو الباب المغلق الذي يتجه للشرق ويقع فوق مقبرة إسلامية؛ لأنّ ارتفاع السور هناك هو الأقل؛ ولأنّه لا يوجد حرّاس في هذه المنطقة.

وفي نيسان عام ١٩٨٢ -عشية تنفيذ المرحلة الأخيرة من الانسحاب من سيناء- قال **غيلون**: "إنّ كل شيء كان جاهزًا للتنفيذ.. ولكن **مناحيم ليفني** تردّد في ذلك الحين. وتابع: "لما كان ليفني هو الشخصية الرئيسة في الخطّة تم التخلي عن الفكرة، وهكذا نجت قبة الصخرة، وتمّت الحيلولة دون نشوب حرب في المنطقة". وفي عام ١٩٨٤م اعتقلت الشرطة الصهيونية باقي المجموعة الذين كانوا في انتظار فرصة جديدة لتنفيذ العملية".

وبعد مفاوضات **كامب ديفيد** والتي ركّزت فيها الأطراف المتفاوضة كثيرًا على قضية القدس والأماكن المقدسة، أثارت مصادر عديدة احتمال حدوث اعتداء على المسجد الأقصى الشريف، وكان من بين أهم المعلومات بهذا الصدد، ما جاء في تقرير نشرته صحيفة "هآرتس" الصهيونية يوم ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٠:" أسس **إسحاق هكوهين كوك الحاخام الرئيس لأرض "إسرائيل"** قبل خمسين عامًا من إقامة "إسرائيل" المدرسة الدينية «**تورات كهنيم**» التي اعتبرت مدرسة جيدة بالمقارنة مع المدارس الدينية اليهودية الأخرى في تلك الفترة". وقد كتب صحافي إنجليزي مسيحي عام ١٩٢٢م زار بالصدفة المدرسة الدينية:" شاهدت يهودًا في القدس يستعدون لإقامة الهيكل المقدس، ولن يستغرب من ذلك من يعرف ما تحمله معها النبوءات".

وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان ١٤٢٢هـ حذرت الهيئة الإسلامية العليا في مذكرة عمّمتها على الدول الإسلامية مؤخرًا من أنّ المنظمات الصهيونية المتطرفة بصدد تنفيذ اعتداء إجرامي على المسجد الأقصى، مستغلة بذلك الظروف الدولية السائدة. وأشارت المذكرة بهذا الصدد إلى ما نشرته صحيفة (معاريف)

الصهيونية مؤخرًا حول قيام جهات يمينية متطرفة في الكيان الصهيوني بالتخطيط لشنّ هجوم ضد المسجد الأقصى عن طريق تفجير المسجد بطائرة محمّلة بالقنابل، حيث تلّقت الشرطة الصهيونية رسالة من متطرف صهيوني أوضح فيها أنه ينوي القيام بعملية تفجير طائرة محملة بالمتفجرات فوق المسجد الأقصى. ودعت الهيئة الدول العربية والإسلامية إلى أخذ التهديدات الصهيونية مأخذ الجد، والقيام بإحباط المخططات العدوانية الصهيونية المبيتة ضد المسجد الأقصى.



«الأوقاف الإسلامية» بالقدس تحذر من نوايا الاحتلال بفتح كنيس جديد بجوار «الأقصى»

القدس المحتلة وكالات:

حذر مجلس الأوقاف الإسلامية في مدينة القدس المحتلة من نوايا جدية لدى سلطات الاحتلال الصهيوني بفتح مزيد من الكنس اليهودية بجوار المسجد الأقصى المبارك في مدينة القدس، مطالبة سكان المدينة المحتلة وعرب الداخل بالوجود يوميًا في باحاته، للدفاع عنه.

وأوضح رئيس مجلس الأوقاف بالمدينة المحتلة الشيخ عبد العظيم سلهب – في حديث صحفي له، الأحد (٢٦/ ١٠) – أن هذه الكنس يتم بناؤها في حارة المغاربة، وساحة البراق الشريف، مشيرًا إلى أن هدف فتح هذه الكنس هو تغيير الطابع السكاني والجغرافي للمدينة، وجعلها مدينة يهودية بحتة.

وكانت سلطات الاحتلال قد افتتحت كنيسًا يهوديًا نهاية سبتمبر الماضي بوسط حي عربي إسلامي على مسافة لا تبعد أكثر من ٥٠ مترًا عن المسجد الأقصى المبارك، كما أقامت سليلة أنفاق تتجه نحو الشرق للمسجد الأقصى المبارك وأسواره.

وطالب سلهب المسلمين داخل المدينة وفي أراضي ٤٨ والضفة بالمواظبة أكثر على الذهاب إلى المسجد الأقصى، وعدم اقتصار ذلك في شهر رمضان أو المناسبات الدينية، أو حين يشعرون بوجود خطر حقيقي يتهدد المسجد، داعيًا إلى الوجود يوميًا بالصلاة، والاعتكاف فيه، وحضور دروس العلم التي تقام بداخله.

وبَيَّن سلهب أن سلطات الاحتلال تستمر في سياستها بطرد سكان المدينة، واتباع أساليب مختلفة في عملياته لتهويد القدس؛ بإقامة البؤر الاستعمارية المنتشر في البلدة القديمة، وفي الأحياء الإسلامية، ومضايقة أهلها، وإجبارهم على ترك مدينتهم.

وأضاف سلهب أن «الأحياء الاستعمارية أحاطت بالمدينة من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية، والجدار العنصري الذي قتل المدينة، وصادر معظم الأراضي الفارغة غير المبنية، ويحظر على المواطن الفلسطيني إقامة أبنية فيها؛ لزيادة العدد الطبيعي

للفلسطينيين الناتج عن التزاوج ونشوء أجيال جديدة، مؤكدًا أن هذه السياسة تهدف إلى عزل السكان الفلسطينيين عن العمق الفلسطيني بالضفة الغربية المحتلة.

ولفت الشيخ سلهب الانتباه إلى أن الحفريات الصهيونية تطال البلدة القديمة ومنطقة سلوان، والتي تجري تحت أسوار المسجد الأقصى المبارك، وتحت الأبنية الإسلامية التاريخية المحيطة بالأقصى من الجهة الشمالية، مضيفًا أنها «تهدف إلى زعزعة هذه الأبنية والأماكن والتأثير عليها».

وقال الشيخ سلهب: «إنه في الفترة الأخيرة زادت أعداد المتطرفين المقتحمين للمسجد الأقصى، حيث وصل عددهم الأسبوع الماضي إلى ما يزيد على ٦٠٠ عنصر»، معتبرًا أن هذه الاقتحامات تهدف إلى استفزاز مشاعر المسلمين جميعًا.

وأشار إلى أن «الحفريات الصهيونية موجودة في كل اتجاه بالمسجد الأقصى، وهي تمتد من منطقة سلوان نحو المسجد، ثم تتجه نحو الشرق، ولا أحد يعرف أين وصلت» - كما قال - محذرًا من أن أية هزة أرضية تصيب مدينة القدس ستتسبب بخلل كبير في كل الآثار العربية والإسلامية في المدينة، على رأسها المسجد الأقصى، معتبرًا في الوقت ذاته أن الجهود العربية لحماية المدينة والمسجد الأقصى لا تكفي، مطالبًا بتضافر جهود الأمتين العربية والإسلامية لنصرة الأقصى وقضية القدس [1].

قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٨م بافتتاح رسمي لكنيس يهودي كبير أقيم على أرض وقف إسلامي يسمى «حمام العين»، ثم الاستيلاء عليه من قبل منظمة «عطيرات كوهنيم» الاستيطانية التهويدية، يقع في أقصى شارع «الواد» في البلدة القديمة في القدس، وما يبعد إلى ٥٠ مترًا عن المسجد الأقصى المبارك من جهة الجدار الغربي [2].

---

(1) مجلة القدس ذو القعدة ١٤٢٩ – نوفمبر ٢٠٠٨م صـ١٠، ١١.

(2) للمزيد من التفاصيل: راجع موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا) ١٢/١٠/٢٠٠٨م، على الرابط:
.http://arabic.wafa.ps/arabic/942951021087.html

الجبهة الإسلامية المسيحية
تحذر من تفاقم اعتداءات الصهاينة على الأقصى

القدس المحتلة – وكالات/ نداء القدس:

عقدت الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات، يوم السبت ٢٥ من أكتوبر الماضي: مؤتمرًا صحافيًا في المركز الإعلامي بمقر وزارة الإعلام في رام الله، أوضحت فيه خلاصة التقرير التاسع عشر حول أوضاع القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية، خاصة المسجد الأقصى المبارك، في ظل استمرار منه سلطات الاحتلال المصلين من الوصول إلى القدس الاحتلال المصلين من الوصول إلى القدس والصلاة فيه، والاقتحامات المتكررة من قبل الجماعات اليهودية المتطرفة.

وأوضح تيسير التميمي – قاضي قضاة فلسطين – أنه منذ مطلع الشهر الماضي بدأت الجماعات اليهودية المتطرفة، وتحت حراسة شرطة وجيش الاحتلال باقتحام المسجد الأقصى المبارك بكثافة، إضافة إلى قيام عدد من أفراد شرطة الاحتلال بـ «ممارسة الفاحشة واحتساء الخمر» في ساحاته وباحاته في استفزاز واضح وخطير لمشاعر مليار ونصف المليار من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

واعتبر أن سلطات الاحتلال تسعى إلى تزييف التاريخ وطمس المعالم العربية والإسلامي للمدينة ومقدساتها الإسلامية والمسيحية، لا سيما المسجد الأقصى المبارك، منذ احتلالها عام ١٩٦٧م.

وشدد التميمي على أن مدينة القدس عربية إسلامية، وهي عاصمة الشعب الفلسطيني، وأن المسجد الأقصى المبارك جزء من عقيدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بقرار رباني.

وحول انتخابات بلدية الاحتلال في القدس، أكد التميمي الموقف الوطني والديني الذي يحرم الاشتراك في هذه الانتخابات سواء بالترشح أو التصويت، معتبرًا أن في ذلك اعترافًا صريحًا بالاحتلال.

واعتبر الأب المطران عكا الله حنا – رئيس أساقفة الروم الأرثوذكس – أن مدينة القدس عربية بكل مقدساتها ومؤسساتها، وأن جميع المحاولات التي تقوم بها سلطات الاحتلال والمتطرفين اليهود لتغيير طابعها العربي المجيد ستبوء بالفشل.

وتلا الدكتور حسن خاطر – رئيس الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس – التقرير التاسع عشر للجبهة الإسلامية المسيحية حول أوضاع القدس والمقدسات، وكشف التقرير عن تصاعد الاعتداءات على المسجد الأقصى المبارك من قبل المتطرفين اليهود، والازدياد في عدد الحواجز على الطرقات المؤدية إلى القدس والمباني والمنازل التي هدمتها جرافات الاحتلال تحت ذريعة عدم الترخيص، إضافة إلى إغلاق المدارس في مدينة القدس، وتفاقم معاناة ٩ آلاف طالب مقدسي لا يوجد لهم صفوف دراسية أو مدارس يلتحقون بها.



هل بدأ اليهود في بناء هيكلهم المزعوم؟!

على الرغم من أصوات التنديد المطالبة بوقف عمليات الحفر وما ادعوه من ترميم في تلة الطريق المؤدي إلى باب المغاربة ما زالت سلطات الاحتلال ماضية في إجراءاتها، تواصل حفرياتها وهدمها لذلك الطريق وغرفتين من المسجد الأقصى المبارك، ورفضت كل المناشدات والالتماسات لوقف عملية إزالة الطريق التاريخي العريق، وأكد إيهود أولمرت بعد أسبوع من بدء الحفريات في اجتماع مجلس وزرائه في ١١/ ٢/ ٢٠٠٧م: " أن الحفريات ستستمر وأنه ما من سبب يدعو إلى وقفها لأنها تجري في منطقة "إسرائيلية" !!

فما السر في هذا الإصرار والتحدي لكل المعاهدات الاتفاقات والأعراف الدولية؟! وماذا وراء ترميم ذلك الطريق؟! وهل يريد اليهود حقًا مجرد إعادة بنائه؟ ولماذا اختاروا هذا التوقيت بالذات؟! وما علاقة تلك البقعة بالهيكل المزعوم؟! ولماذا بث هذا الحدث بالخصوص على شاشات التلفزة بثًا مباشرًا؟! بل لماذا أمر إيهود أولمرت بتركيب كاميرات للبث على مدار الساعة؟!! ولماذا لم تسلط الأضواء على العديد من الإنشاءات التي لا تقل خطورة عن هدم طريق المغاربة حين أقاموا في الآونة الأخيرة داخل أسوار المسجد الأقصى وأسفله المعابد والكنس والمتاحف لتاريخ الهيكل المزعوم؟!! ولماذا ستهدم مبان داخل المسجد الأقصى بحجة ترميم طريق المغاربة؟! وهل فعلا بدأت الخطوة الأولى في بناء الهيكل المزعوم؟!

أسئلة تدور في ذهن كل متابع لتلك التطورات والممارسات اليهودية، ألخص أجوبتها بالآتي لعلها تكشف وتوضح لنا حقيقة ما جرى وما يجري في منطقة باب المغاربة:

١. طريق المغاربة الموجود في ساحة البراق والتي حولها اليهود إلى ساحة لإقامة عبادتهم فيها وأسموها "حارة المبكى" بعد أن احتلوها في عام ١٩٦٧م، طريق يسيطر عليه اليهود ١٠٠ ٪، ويصل اليهود من خلاله مباشرة من ساحة البراق إلى باب المغاربة المفضي إلى رحاب المسجد الأقصى المبارك، وتلك البوابة الوحيدة

التي يحتفظ اليهود بمفاتيحها، ويدخل منها السياح واليهود وقوات الأمن إلى باحة المسجد الأقصى، ومن تلك البوابة اقتحم المجرم شارون محاطا بآلافٍ من جنود الاحتلال وقوات حرس الحدود المسجد الأقصى عام ٢٠٠٠م، واندلعت بعدها المواجهات وانتفاضة الأقصى مما استفز المسلمين وأثار مشاعرهم، وتبعتها أحداث جسام خلفت المزيد من الضحايا والجرحى في أنحاء فلسطين كافة.

٢. لخص الكاتب اليهودي "نداف شرغاي" أهمية هذا المشروع في جريدة هارتس بمقال تحت عنوان "باب اليهود" كشف السر الذي لا يعرفه -حسب قوله- إلا عدد قليل من الناس وهو: «أن هناك بوابة أخرى موجودة تحت باب المغاربة وهي بوابة "بيركلي" التي لا تنوي سلطة الآثار الكشف عنها في إطار الحفريات الحالية، وهي إحدى بوابات جبل الهيكل الأصلية»!!. لهذا حفروا بداية بالآليات الثقيلة ثم في المرحلة الثانية استعملت آليات أصغر ويدوية أحيانًا على أمل أن يجدوا لهم أثرًا من بوابة الهيكل المزعوم !!! وهيهات لهم ذلك.

٣. وظهرت بعض مخططات ذلك البناء الذي سيتسع ليكون ممرًا للمركبات والشاحنات للوصول إلى ساحة المسجد الأقصى متى احتاجوا لذلك!! وإن كان الأمر كما يدعون مجرد ترميم فلماذا هذا الحفر العميق ووضع قواعد خرسانية لمشروع أكبر من أن يكون درجًا أو ممرًا للمشاة؟!! لذا تعالت الأصوات من المؤسسات الإسلامية في القدس، ومنهم الشيخ رائد صلاح للتحذير من أن الهدف الحقيقي لهذا الهدم بناء كنيس يهودي مكان مسجد البراق، وهو الملاصق لباب المغاربة ويعد جزءًا من المسجد الأقصى، والجسر الضخم هدفه إتاحة إدخال آليات عسكرية وشاحنات كمقدمة للاعتداء على المسجد الأقصى المبارك وزعزعة أساساته وبناء كنيس كبير داخل المسجد الأقصى!!

٤. الوقت مناسب لليهود للبدء بتلك الإجراءات، فحال أمتنا مهيأ لذلك، وردود الأفعال لا تعدو أكثر من الشجب والاستنكار ولا حراك بعده، وإمعانًا في التضليل سمحوا وقبل أيام من تركيب منبر جديد لمصلى المسجد الأقصى شحن من

الأردن يشابه ويحاكي المنبر الذي تم حرقه حينما أحرقوا المسجد الأقصى في ٢١/٨/١٩٦٩م. ولا أدري ما الذي ينقص المسجد الأقصى المنبر أم المصلين؟!! أليس أولى من المنبر أن يهدم الجدار الذي أحاط بشرقي القدس ومنع أهلها من الوصول إليها، ونصرة المسجد الأقصى من الهدم والتدمير؟! ووقف تلك المشاريع التي سلبت منا كل ما تحت المسجد الأقصى من أنفاق وتسويات وسمحت لليهود بالعبث بهذا المكان الطاهر؟!

٥. والمتابع للتصريحات هذه الأيام يرى أن وتيرة التحدي فيها زادت أضعاف ما كانت عليه في السابق، حيث بدأ المسؤولون اليهود يستهجنون علنًا ذكر اسم المسجد الأقصى ويحرفون الألفاظ ويقولون: إن اسمه الحقيقي "جبل الهيكل"، ويستغربون على شاشات التلفزة إدعاء المسلمين بأن القدس لهم، ويؤكدون أن ليس للعرب والمسلمين حقًا في المسجد الأقصى، ويؤكدون أن المشكلة مع العرب ليست في الحفريات ولكن في ادعائهم بأن لهم حقًا في تلك البقعة !! وتوافق بذلك العلمانيون من قادة اليهود مع حاخامات وأفراد الجماعات اليهودية العاملة لإقامة المعبد المزعوم على أنقاض الأقصى.

٦. نعم بدأ اليهود ببناء الهيكل المزعوم، ومهما كانت الحقيقة مرة فلا بد أن تكشف، فإعادة بناء طريق المغاربة هو خطوة أولى لبدء العمل في تنفيذ مشروع إقامة الهيكل المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى، وبناء أجزاء جديدة تحاكي المجسم المزعوم للهيكل الذي رسموه في مخيلتهم وأوجدوه واقعا في مجسماتهم التي بنوها للزائرين والمتحمسين لمشروع هدم المسجد الأقصى، وإقامة المعبد المزعوم على أنقاضه، فالطريق جزء أساسي من بناء الهيكل المزعوم، فهو المعبر الرئيس للهيكل حسب تخليهم للصورة التي كان عليها قبل أن يهدم !!

٧. وفي هذا البناء إرضاء للجماعات اليهودية المتطرفة العاملة لهدم المسجد الأقصى حيث حددوا عام ٢٠٠٧م لبدء البناء وإلا سيحل بهم غضب الله تعالى!! والحكومة اليهودية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقناعات تلك الجماعات والتي تدعمها

أحزاب سياسية تحت قبة البرلمان اليهودي، والتي تؤمن بضرورة بناء الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى المبارك. وهذا المشروع سيسارع أيضًا في جمع الأموال وحشد الهمم والتأييد والتبرعات لصالح اليهود لإكمال مشروع بناء الهيكل المزعوم.

٨. طريق باب المغاربة هو جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك، ولا سيادة قانونية لسلطات الاحتلال على المسجد الأقصى، وإزالة أي جزء من المسجد الأقصى المبارك جريمة جديدة، وهدم باب المغاربة والغرف المجاورة له هو هدم لجزء من المسجد الأقصى، وهو خلاف ما يروج له اليهود في وسائل الإعلام المحلية والإعلامية، فطريق باب المغاربة المؤدي إلى المسجد الأقصى المبارك وقف إسلامي على مر التاريخ، وجزء لا يتجزأ منه، وأي ترميم في المسجد الأقصى والمرافق المجاورة له هو من اختصاص دائرة الأوقاف الإسلامية، وقد أعلنت دائرة الأوقاف تكرارًا ومرارًا أنها تريد ترميم ما هو بحاجة إلى ترميم، لكنّ سلطات الاحتلال رفضت ذلك !!

٩. هذا الطريق إن كان الهدف من حفريات اليهود الحالية مجرد الترميم فقط -ونؤكد أن الترميم ليس من حقهم- فلماذا يسعون لتوسيع باب المغاربة وهدم الغرف المجاورة له ليتسع لدخول الشاحنات إن دعت الحاجة؟!! فاليهود وفق القرارات الدولية كيان محتل، والقدس لا سلطة لهم عليها فكيف ترممون في مسجد للمسلمين وليس كأي مسجد فمكانته في قلوب المسلمين أكبر من أن يدلل عليها.

١٠. أرادوا بذلك أن يهيئوا العالم أجمع إلى أن التغيير قادم لا محالة، والمشروع قد بدأ، وسينقل للعالم عبر الفضائيات بثًا حيًّا!! وإن تقسيم المسجد الأقصى قد بدأ فعليًا، فقد ملكوا ما تحته وما حوله، ويعملون الآن لسلب جزءًا منه، قال أحدهم إنه بعد أن يتكشف مسجد البراق فإنهم سيحوّلونه إلى كنيس يهودي !!

فتلك عدة نقاط هي الدافع الأساس لإكمال هذا المشروع مهما بلغت التضحيات من المسلمين... مخطط يهودي قديم لم يأتِ بقرار ليل نفذ في الصباح!! بل هو إجماعٌ عندهم على إقامة الهيكل اليهودي المزعوم على أنقاض مسرى النبي

محمد ﷺ، وما تلك التصريحات المتضاربة والتطمينات الخادعة إلا من قبيل ذر الرماد في العيون، فلن يهدأ لهم بال حتى يقيموا هيكلهم الثالث، وما ممارساتهم وإجراءاتهم في المسجد وما حوله إلا لتشويه التاريخ وطمس الحقائق، وتأكيد سلطتهم على المسجد الأقصى والقدس. ولا نملك إلا أن نرفع أكف الدعاء أن يحفظ الله تعالى المسجد الأقصى من كيد الكائدين، ونطالب المسلمين في كل مكان النصرة لأولى القبلتين، وأهلها الصامدين في وجه اليهود، والرد على خداعهم وأكاذيبهم، وكشف افتراءاتهم.



العبث بمقابر الصحابة لبناء معبدهم المزعوم

حذرت مؤسسات وشخصيات فلسطينية بارزة، من استمرار الاستهداف الإسرائيلي المبرمج للمقابر الإسلامية داخل الخط الأخضر، واستمرار نبش قبور الأموات بذرائع مختلفة. مؤكدة أن المقابر الإسلامية تتعرض كل يوم إلى نكبة متجددة.

وأكدت مؤسسة الأقصى لرعاية وإعمار المقدسات الإسلامية داخل الخط الأخضر أن سياسة الاستهداف الإسرائيلية للمقابر الإسلامية -التي يعود تاريخ بعضها لمئات السنين- تتم بواسطة مؤسسات وشركات خاصة ورسمية بشكل مبرمج.

وتعبيرا عن رفضها للإجراءات والانتهاكات الإسرائيلية بحق المقابر، نفذت المؤسسة سلسلة فعاليات احتجاجية، فقد نظمت اعتصاما أمام مكاتب شركة الكهرباء الإسرائيلية احتجاجا على مخططها لمد خط للغاز في مقبرة قمبازة قرب مدينة حيفا، وهو ما سيؤدي إلى نبش عدد من القبور واستخراج رفات الأموات.

وشارك في الاعتصام العشرات من أهل الداخل، ورفعوا شعارات منددة بانتهاك مقبرة قمبازة ومقابر المسلمين، الأمر الذي قابلته الشرطة الإسرائيلية بمحاولة إفشال الاعتصام.

وحسب مؤسسة الأقصى فإن محكمة إسرائيلية ستنظر في ملف المقبرة، وذلك بعد استصدار أمر احترازي قبل أسابيع يوقف أعمال الانتهاك الذي تعرضت له إلى حين صدور قرار آخر.

وقد خطب الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الجمعة وأم المصلين بجانب المقبرة الأيوبية في مدينة الرملة احتجاجا على إصرار شركات إسرائيلية على شق شارع عريض داخل المقبرة.

أموات الفلسطينيين لا يسلمون من الاعتداءات الإسرائيلية (الجزيرة نت- أرشيف):

وأكد أن "المؤسسة الإسرائيلية قامت منذ بداية نكبة فلسطين بتدمير آلاف المقابر الإسلامية وحتى الآن تواصل هذه الجريمة الدينية بحق مقابرنا" مشيرا إلى السعي المتواصل هذه الأيام لتدمير المقبرة الأيوبية قرب مدينة الرملة ومقبرة أخرى قرب حيفا وغيرهما.

وأوضح أن المقبرة الأيوبية في الرملة مقبرة تاريخية إسلامية يعود تاريخها إلى العهد الأيوبي، موضحا أن مساحتها تصل إلى عدة دونمات، وتحتضن مئات القبور الإسلامية لقادة ومواطنين فلسطينيين.

وقال إن الفلسطينيين في الداخل يمتلكون إمكانيات شعبية سيقومون من خلالها بمواجهة المخططات الإسرائيلية والعمل على وقف جريمة استهداف المقابر ونبش القبور.

من جهته قال رئيس مؤسسة الأقصى علي أبو شيخة، إن المؤسسة تتحرك في أكثر من اتجاه في محاولة منها لوقف الانتهاكات المتواصلة بحق المقابر والمقدسات الإسلامية داخل الخط الأخضر.

وأوضح في حديث للجزيرة نت أن من هذه التحركات الجانب القضائي، والجانب الجماهيري وتنظيم المظاهرات وإقامة صلوات الجمعة، قرب الأماكن المستهدفة، إضافة إلى تنظيم حملات التنظيف والصيانة لها.

وأضاف أن المؤسسة نجحت في العديد من الفعاليات في إيقاف انتهاك حرمة المقابر كما حدث في مقبرة وادي الملح قبل شهرين، حيث تمكنت المؤسسة من استصدار أمر قضائي بوقف أعمال الحفريات التي قامت بها شركة الكهرباء داخل المقبرة.

ومع ذلك أكد أنه لا يمكن التعويل كثيرا على المحاكم الإسرائيلية فقط دون حضور الجانب الجماهيري والفعاليات الاحتجاجية، مؤكدا أن مؤسسة الأقصى

تسعى لإبقاء التواصل بين السكان الفلسطينيين وهذه المقابر من خلال ربط المواطنين بقبور أقاربهم الذين دفنوا في هذه المقابر مما يساعد على إنجاح الدعاوى القضائية.

أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية قرارا بالسماح الفورى لمؤسسة "فيزنطال" الأمريكية المدعومة إسرائيليا ببناء ما يسمى بـ"متحف التسامح" على مقبرة مأمن الله الإسلامية التاريخية بالقدس المحتلة.

وعقدت مؤسسة الأقصى للوقف والتراث فى فلسطين مؤتمرا صحفيا طارئا الخميس الماضى فى أحد أحياء القدس فور إصدار الحكم بعنوان "أغيثوا مقبرة مأمن الله"، لبحث سبل مواجهة تداعيات القرار القضائى الإسرائيلى، ومطالبة العالمين العربى والإسلامى بالتدخل لوقف هذه الخطوة الإسرائيلية الخطيرة.

ووصف رئيس الحركة الإسلامية فى الداخل الفلسطينى الشيخ رائد صلاح لـجريدة «العربي» قرار المؤسسة الإسرائيلية استئناف العمل فى مقبرة «مأمن الله» بأنه «إعلان حرب دينية عالمية» على الأمة الإسلامية والعالم العربى.

وأشار صلاح إلى أن تاريخ المقبرة الموثق كشف عن "دفن عشرات من صحابة الرسول فيها، وأن بعضهم شارك سيدنا عمر بن الخطاب فى فتح بيت المقدس، وتوالى الدفن على مدار التاريخ الإسلامى العربى وبقى حتى عام ١٩٤٨، مشيرا إلى أن مساحتها تصل لأكثر من ٢٠٠ دونم وحسب المؤسسة الإسرائيلية فإن عدد مقابرها حتى عام ١٩٤٨ بلغ سبعين ألف قبر وتفضى الخطة الإسرائيلية إلى بناء فندق ضخم على جزء من المقبرة ومد شبكة صرف صحى داخلها، بالإضافة إلى شق شوارع وإقامة مواقف للسيارات بها، ومفتوح طوال اليوم وعلى ساحتها تترك زجاجات الخمر وبقايا المخدرات.

وعبر الشيخ صلاح عن رفضه القاطع لكل المبررات التى استساغتها المحكمة العليا الإسرائيلية كتبرير لقرارها، وتساءل من الذى هدم المجلس الإسلامى الأعلى بعد النكبة وهو الذى كان يرعى هذه المقبرة؟ وتساءل عن مصير الرسائل التى

وجهتها الحكومتين الأردنية والتركية ودائرة الأوقاف الإسلامية والهيئة الإسلامية العليا ومؤسسة الأقصى مطالبة المؤسسة الإسرائيلية بصيانة مقبرة مأمن الله؟

وحذر الشيخ رائد من أن فى ثنايا القرار الإسرائيلى قراراً يشير إلى التعاون بين الشركة المنفذة للمشروع وبين المسئولين المسلمين لنقل القبور من المقبرة أو بناء طبقة أسمنتية لصيانتها، مؤكداً أن الشعوب العربية والإسلامية لن تغفر لمن تواطأ مع هذا القرار ولو وضعوا لهم كل مغريات الدنيا.

وسخر الشيخ رائد من أن يحمل المشروع الترفيهى الإسرائيلى شعار التسامح بينما هو يهين مقدسات المسلمين، منبهاً إلى أن الدور الأمريكى، وإلى أن المشروع ممول من رئيس ولاية كاليفورنيا الأمريكية بقيمة ٢٠٠ مليون دولار والمنفذ للمشروع شركة فيزنطال الأمريكية.

وناشد الشيخ صلاح الحكومات والشعوب العربية، خاصة حكومة وشعب مصر والسلطة الفلسطينية بالتدخل سريعا لنصرة المقدسات الإسلامية التى تدمر على مرأى من العرب والمسلمين.

أسفل النموذج

شارك نحو ١٥٠٠ فلسطيني في تظاهرة سلمية من القدس الشرقية إلى القدس الغربية منددين بقرار المحكمة "الإسرائيلية" العليا بدء أعمال بناء متحف على أرض مقبرة إسلامية تاريخية في القدس الغربية.

وحمل المتظاهرون لافتات كتب عليها "انقذوا مقبرة مأمن الله من الهدم" و"لا إله إلا الله" ورددوا هتافات من بينها "يا ابن صهيون ارفع أيديك عن قبر جدي المدفون" و"الذي يصادر القبور مجرم وظالم ومأجور".

وانتشرت الشرطة بكثافة في دوريات بسيارات ومشاة وفرق خيالة في المكان بينما حلقت مروحية للشرطة طوال المسيرة في الأجواء.

وجابت التظاهرة شارع صلاح الدين وسارت باتجاه الباب الجديد قبل أن تصل إلى القدس الغربية وفقا لفرانس برس.

مطالبة بوقف العدوان

وقال مفتي القدس الشيخ محمد حسين في كلمة في المقبرة: "نطالب الأمم المتحدة واليونسكو بالتدخل لوقف العدوان على كرامة أمواتنا المسلمين وعدم بعثرة عظامهم".

وأضاف المفتي: "من حقنا كمقدسيين وفلسطينين أن نحافظ على كرامة أمواتنا والعبث بقبورنا هي جريمة بحق الإنسانية كلها".

وقال الشيخ كمال الخطيب نائب رئيس الحركة الإسلامية في "إسرائيل": "من أرض فلسطين التي احتلت عام ٤٨ نقول للذين يريدون بناء متحف للتسامح لن نسامحكم.. لن نسامحكم على العبث بقبور أجدادنا وأمهاتنا ولن نغفر لكم".

وتابع: إن مقبرة مأمن الله "كانت هنا قبل دولة إسرائيل كذلك سيبقى أجدادنا فيها بعد دولة إسرائيل".

وقال الناطق باسم طائفة الروم الأرثوذوكس رجل الدين عيسى مصلح "إن ما تقوم به إسرائيل من تغيير معالم البلد يهدف إلى تهويدها أقف هنا لأعلن تضامني باسم رجال الدين المسيحيين ضد ما تقوم به المؤسسة الصهيونية".

وشدد على أن "القدس شريان بلدنا ووطننا الذي لن نفرط بشبر واحد منه".

ولم يتمكن حاتم عبد القادر مستشار رئيس الوزراء الفلسطيني ولا محافظ القدس عدنان الحسيني من إلقاء كلمات في المقبرة بسبب حظر من الشرطة الإسرائيلية.

وقال مدير أوقاف القدس عزام الخطيب الذي شارك في المسيرة إن "هذه التظاهرة سلمية الهدف منها الاحتجاج على تصرف السلطات الإسرائيلية لأن المقابر كافة المقابر لا تدنس وهذا احتجاج صارخ في هذه المدينة احتجاجا على تهويدها".

وكسرت أسماء وشواهد العديد من القبور وكتب باللغة العبرية على بعض القبور"الموت للعرب"

وكانت المحكمة العليا الإسرائيلية أصدرت الأسبوع الماضي قرارا يسمح

بمباشرة أعمال بناء "متحف التسامح". بعدما أمرت في ٢٠٠٦ بتجميد أعمال البناء في المقبرة إثر مراجعة تقدمت بها هيئات إسلامية.

ورأت المحكمة العليا في قرارها أن "المحكمة الشرعية الإسلامية ليست لها صلاحية إصدار الفتاوى بحجة أن المقبرة أملاك غائبين والحديث يجري عن أربعة آلاف قبر يريدون نقلها أو صب الباطون عليها".

وتضم مقبرة مأمن الله قبورا تعود إلى قرون.

وكانت السلطات الإسرائيلية حولت مساحات كبيرة من المقبرة إلى حديقة عامة تسمى حديقة الاستقلال بينما بقي جزء منها على حاله وهو الجزء المنوي بناء المتحف عليه.

وحتى حرب عام ١٩٤٨ كانت القدس موحدة يرأس بلديتها عربي. وبعد الحرب بُني فاصل أسمنتي بين الشطرين وأصبح القسم الغربي تحت سيطرة إسرائيل فيما أصبح القسم الشرقي تحت السيادة الأردنية.

وعندما احتلت إسرائيل القدس الشرقية عام ١٩٦٧ هدمت الفاصل الأسمنتي ووحدت مدينة القدس تحت سيادتها ومنحت المقدسيين هوية مقيم في إسرائيل تسمح لهم بالتنقل والعمل في إسرائيل.

وكانت دائرة الآثار الإسرائيلية أجرت قبل سنوات أعمال تنقيب في المقبرة عمدت خلالها إلى نبش أكثر من مائتي رفات أعادت دفنها في أماكن أخرى.

ويعارض محامو مطوري المتحف مدعومين من بلدية القدس أجراء أي تعديل على مخطط المشروع ولكنهم أبدوا استعدادهم للموافقة على نقل الرفات إلى جزء من المقبرة لن تشمله أعمال البناء.

لكن الهيئات الإسلامية ترفض رفضا قاطعا هذا الخيار.

ومن المقرر أن تمتد مساحة المتحف الضخم على ٢١٦٠٠ متر مربع وسوف يبنى بحجارة القدس والزجاج ومعدن التيتانيوم الأزرق وسيطلق عليه رسميا اسم "مركز الكرامة الإنسانية-متحف التسامح".

وتبلغ كلفة المشروع ١٥٠ مليون دولار وهو ممول من مركز سايمون فيستال الذي بنى متحفا يحمل اسمه في لوس أنجليس.

ويقول الشيخ عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى بتاريخ ٢٥/١/١٤٢٥

أيها المسلمون، يا أبناء أرض الإسراء والمعراج، لقد وصلتني عريضة من أهالي سلوان الكرام يحذرون فيها من تصرفات وأعمال السماسرة المجرمين، ومثل ذلك وصلتني عريضة أخرى من أهالي الطور جبل الزيتون الكرام، هؤلاء السماسرة الذين لا يتقون الله، وفي هذه الأيام يصولون ويجولون، وبخاصة في البلدة القديمة من مدينة القدس وفي سلوان وفي الطور أيضًا، إنهم قاموا بتسريب عدد من البيوت، لقد انكشفت صفقات البيع، وعرف السماسرة كما عرف البائعون، فأرضنا فلسطين هي أرض طاهرة مقدسة مباركة تنبذ النجس وتنبذ السماسرة وتكشف جرائمهم، ولا مجال لأن يستتروا طويلاً.

وقد سبق لعلماء فلسطين أن أصدروا عدة فتاوى تحرم بيع الأراضي والبيوت لليهود، وذلك منذ الثلاثينات من القرن الماضي، وقد أكدنا على هذه الفتاوى مرارا، وأكدنا أن السماسرة والبائعين للأراضي والبيوت هم مفارقون لجماعة المسلمين، وأنهم تاركون للدين، وأن الذي يموت منهم لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وقد حصل أن عددًا من هؤلاء السماسرة والشواذ لم يصلَ عليهم في المسجد الأقصى المبارك، ولم يدفنوا في مقابر المسلمين، فالسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من كان عظة لغيره.

هذا وعلى جميع المواطنين أن يكونوا حذرين من الأساليب الملتوية الشيطانية التي يتبعها سماسرة السوق في تسريب البيوت، بل يتوجب على المسلمين كما ورد في الفتوى أن يقاطعوهم، لأنهم خارجون عن جماعة المسلمين.

أيها المسلمون، يا أبناء بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، أما ما يتعلق بمقبرة باب الرحمة المحاذية لسور المسجد الأقصى المبارك من الجهة الشرقية، فهي مقبرة

الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ويعود تاريخها إلى الفتح العمري، وقد جرى خلال هذا الأسبوع العبث بقبورها من قبل ما تسمى بسلطة حماية الطبيعة الإسرائيلية، وتناثرت عظام الأموات، كما حصلت اعتداءات على مقابر أخرى للمسلمين، ورسولنا الأكرم ﷺ يقول: «**كسر عظم الميت ككسره حيًّا**».

هذا وقد أصدرنا فتوى شرعية تتعلق بالاعتداء على المقابر بشكل عام وعلى مقبرة باب الرحمة بشكل خاص، وأوضحنا في الفتوى بأن المقابر لها حرمتها، ويتوجب المحافظة عليها وعدم المساس بها، ويحرم العبث فيها ونبشها، وعلى المسلمين أن يتكاتفوا للحفاظ على قبور آبائهم وأجدادهم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [1]

انتهى كلامه

وقد: طالب نائب رئيس لجنة إعمار المسجد الأقصى/ وزير الأوقاف الأردني الأسبق م. «رائف نجم» الدول العربية والإسلامية دعوة مجلس الأمن للتحرك لإنقاذ القدس المحتلة من التهويد الإسرائيلي المتسارع الذي طال كافة المناحي.

وقال أيضاً إن إسرائيل قامت وقبل ثلاث سنوات بمنع المسلمين من دفن موتاهم في مقبرة باب الرحمة الواقعة بالقرب من الجدار الشرقي للمسجد الأقصى وطولها نصف كيلو متر وهي مقبرة إسلامية رئيسية.



---

(1) استمع إلى الخطبة على موقع المنبر رابط:

http://www.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp?mediaURL=٦٩٧٣

سرقة اليهود لمخطوطات بيت المقدس

لا تزال الحملة الصهيونية تصب غضبها على كل إرث إسلامي في القدس الشريف، فتارة تهدم بنيانه وتارة تقوض معالمه وتارة تزيف تاريخه بأنه إرث لهم، إلى غير ذلك من الاعتداءات المتتالية التي تضرب تراثنا الفلسطيني في مقتله.

وفي هذه السطور أبين صفحة مظلمة من صفحات الاعتداءات اليهودية على تراثنا السليب التي لا يزال أثرها على تراثنا إلى يومنا هذا، وتُعدُّ القدس منذ أزمنة عديدة قبلة للوافدين إليها وكانت لقداستها هيبة ومحبة في النفوس جعلت أفئدة الناس تهوى إليها من كل فج عميق وييمم شطرها الناس والملوك رجالاً وركباناً، فرادى وجماعات على شتى دياناتهم ومآربهم كلٌ يرنو إلى زيارة أو سكنى أو مجاورة في هذا البلد المقدس المبارك، واعتبرت مدينة القدس بلا نزاع – مدينة العلم الأولى في فلسطين سواءً بعلمائها أو دور العلم فيها أو مكتباتها المتوافرة فيها.

فلقد كانت مكتبات وخزائن الكتب في القدس من الوفرة بمكان حيث تجاوزت أكثر من ستين خزانة ما بين عامة وخاصة، حوت في طواياها الكتب ونوادر المؤلفات التي عزّ وجود نظير بعضها في بلد آخر.

وأذكر في هذه العجالة بعضها:

مكتبة المسجد الأقصى – المكتبة الخالدية – مكتبة الشيخ محمد صنع الله الخالدي – مكتبة العلامة خليل الخالدي – مكتبة أحمد سامح الخالدي – مكتبة حسن الترجمان – مكتبة البديري – مكتبة أبي السعود (محمد طاهر) – مكتبة المحكمة الشرعية (دائرة قاضي القضاة) – مكتبة آل الخطيب – مكتبة الفُتياني – مكتبة آل اللحام – مكتبة حسن عبد اللطيف الحسيني – مكتبة إسحاق موسي الحسيني – مكتبة النشاشيبي – مكتبة خليل بيدس – دار الكتب الفخرية – المكتبة الخليلية – مكتبة آل الموقت – ومكتبة آل قطينة – مكتبة عبد الله مخلص – مكتبة آل جارالله – مكتبة المدرسة الصلاحية – مكتبة الكلية العربية – مكتبة الزاوية البخارية (النقشبندية) – مكتبة المدرسة الأشرفية السلطانية – مكتبة المدرسة الأمينية – مكتبة

الزاوية النصرية.... إلى غير ذلك من المكتبات والخزائن التي كانت تحفل بها القدس في ذلك الوقت.

وعندما احتلت القوات الإسرائيلية مدينة القدس عام ١٩٦٧م كانت مكتبات القدس الخاصة والعامة تضم أكثر من ١٠٠ ألف كتاب وأكثر من نصف مليون وثيقة ومخطوط وسجل، ومنذ ذلك الاحتلال الغاصب لهذه المدينة وهي تتعرض إلى إجراءات بالغة الخطورة غاية هدفها الرئيس تهويد القدس من جهة والقضاء على هذا الإرث من جهة أخرى.

ويلخص لنا الأستاذ إسحاق البديري مجمل مظاهر هذه الانتهاكات في مجال الكتب والمكتبات[1]، وهناك ما رصده:

١. مصادرة مكتبة القدس العامة حيث قامت السلطات الإسرائيلية مباشرة بعد الاحتلال بمصادرة هذه المكتبة بكل محتوياتها من الكتب والدوريات ونقلت ملكيتها وإدارتها من بلدية القدس العربية إلى ما يسمى بلدية القدس الموحدة، كما قامت في الوقت نفسه بمصادرة عدد من الكتب والدوريات الموجودة في المكتبة واعتبرتها ممنوعة ونقلتها إلى مكان مجهول، كما حددت نوعية الكتب والدوريات المسموح بإدخالها إلى هذه المكتبة.

٢. حظرت سلطات الاحتلال استيراد العديد من الكتب وتوزيعها ومنعت تداولها في أسواق ومكتبات القدس، ولم يقتصر الحظر على الكتب السياسية والكتب الخاصة بفلسطين والقضية الفلسطينية، بل امتد ليشمل بعض كتب التاريخ والتراجم والأدب وخاصة الشعر.

٣. فرضت سلطات الاحتلال رقابة صارمة على طباعة الكتب العربية ونشرها في القدس حيث أصدرت أوامر عسكرية بضرورة مرور أي مطبوع على دائرة الرقيب العسكري الإسرائيلي للاطلاع واتخاذ قرار بشأن السماح بالنشر وقد

---

(1) إسحاق البديري (القدس بين التاريخ والسياسة والثقافة) ورقة بحث قدمت في المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات –القاهرة ١٢-١٦/٨/٢٠٠٠م صـ٨.

أدى ذلك إلى انخفاض كبير وملموس في حركة التأليف والنشر في مدينة القدس التي تراجعت إلى الوراء.

٤. منع المكتبات في القدس الشرقية (العربية) من اقتناء كل ما تقتنيه المكتبات في القدس الغربية وتداوله، على سبيل المثال: كانت الكتب الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الأبحاث الفلسطيني موجودة في مكتبات الجامعات والمعاهد الإسرائيلية ولكنها منعت في مكتبات القدس العربية.

٥. قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بإغلاق العديد من المؤسسات الثقافية في القدس العربية فقد قامت بإغلاق جمعية الدراسات العربية لمدة (٤) سنوات ومصادرة العديد من الكتب والوثائق مما أدى إلى إلحاق أضرار بالغة في مكتبة الجمعية وأرشيفها، كما تم إغلاق إتحاد الكتاب وغيره من المؤسسات الثقافية.

٦. فرض الرقابة الصارمة على الصحف والدوريات الصادرة في القدس بدعوى الحفاظ على أمن الدولة حيث ألزمت سلطات الاحتلال جميع الصحف و المجلات بضرورة إرسال كافة موادها إلى الرقيب العسكري وقد عانت صحف القدس من هذه الإجراءات كثيراً فقد كانت عملية الشطب والحذف تصل أحياناً إلى نصف حجم الصحيفة.

٧. الاستيلاء على وثائق وأوراق ومستندات وسجلات المحكمة الشرعية بالقدس وتحتوي هذه المحكمة على وثائق ومعلومات على جانب كبير من الأهمية لأنها تخص حياة المسلمين في القدس منذ علم ١٥١٧م.

٨. إتباع سياسة الاعتقال والإبعاد وفرض الإقامة الجبرية ومنع السفر بحق العشرات من الكتّاب والباحثين والأدباء والمثقفين من أبناء القدس وخاصة الذين نشطوا في الدفاع عن عروبة القدس.

٩. إغلاق القدس ومنع الدخول إليها وعزلها عن الضفة الغربية وقطاع غزة مما أدى إلى حرمان أساتذة الجامعات والباحثين والدارسين والطلبة من الوصول إلى مراكز الأبحاث والمكتبات في المدينة للاستفادة من الكتب والمراجع

الموجودة فيها[١].

ويقول الأستاذ كامل العسلي منوهاً للانتهاكات الإسرائيلية للكتب والمكتبات في مدينة القدس:

١. هناك مكتبات دمرت جزئياً أو كلياً من جراء العمليات العسكرية ومن تلك المكتبات مكتبة عبد الله مخلص التي خبّأها في دير القربان في القدس فدمرت عندما نسف الإسرائيليون الدير وضاعت تحت الأنقاض، ويقال أن اليهود سرقوها ونهبوها قبل النسف.

٢. منع استيراد الكتب ومنع تداولها في المكتبات ونشرها وقد شمل هذا الإجراء (٥٤١٠) كتاب منع تداولها منذ عام ١٩٦٧م وحتى مطلع١٩٨٥م وتأتي في مقدمة هذه الكتب تلك التي تتحدث عن الإسلام والقضايا العربية والقضية الفلسطينية، وتهدف سلطات الاحتلال من وراء ذلك إلى محاربة الوعي القومي وقطع الصلة بين المواطن العربي الفلسطيني وتراثه وتاريخه.

٣. إحراق محتويات مخازن شركة التوزيع الأردنية في القدس عام ١٩٨٣هـ.

٤. بسبب القيود الشديدة المفروضة على النشر فقد تقلص عدد دور النشر في الضفة الغربية من ٢٣ داراً إلى ٤ دور ثلاثة منها في مدينة القدس.

٥. منع اليهود ولم يسمحوا بإنشاء مكتبات عامة جديدة في القدس[٢].

وفي بحث حول الانتهاكات الإسرائيلية للكتاب والمكتبات في فلسطين من واقع الأوامر العسكرية اليهودية يقول طوقان: (مدير مكتبة بلدية نابلس العامة ورئيس جمعية المكتبات والمعلومات الفلسطينية) دأبت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م على فرض قيود صارمة على

---

(١) إسحاق البديري (القدس بين التاريخ والسياسة والثقافة) ورقة بحث قدمت في المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات –القاهرة ١٢-١٦/ ٨/ ٢٠٠٠م صـ٨.

(٢) كامل العسلي (المكتبات في فلسطين) (الموسوعة الفلسطينية – القسم الثاني) مجلد ٣ صـ ٢٩٦- ٢٩٧.

الحياة الثقافية والفكرية في فلسطين، حيث شددت في مراقبة حاجيات القادمين والمغادرين الشخصية وخاصة الكتب التي كانوا يحملونها حيث كانت تصادر العديد من هذه الكتب بذريعة الأمن.

وقد لعبت هذه القيود دوراً مركزياً في إعاقة نمو المكتبات العامة والمدرسية التي ألزمت بالقوة على سحب الكتب الممنوعة من على رفوفها وتسليمها إلى الإدارة العسكرية، كل ذلك أوجد فراغاً كبيراً في الحياة الثقافية وأسهم في عزلها عن العالم الخارجي، وقد بلغت الكتب التي تم مصادرتها من المواطنين بين عامي (١٩٦٧-١٩٩٠م) وتعود ملكيتها إلى مكتبة بلدية نابلس العامة (٦٥٠٠) كتاباً، وقد حاول الباحث استعراض بعض النماذج من الكتب الممنوعة ليجد أن الأسباب واهية مثل استخدام كلمة فلسطين على الخارطة بدل (إسرائيل) أو ورود كلمة الكيان الصهيوني في الكتاب أو عبارة في ديوان شعر أو رواية تشير إلى ممارسات تجاه الشعب الفلسطيني[1].



(١) جل هذه المادة مستفادة من بحث د.ربحي مصطفي عليان المعنون بـ (المكتبات في مدينة القدس) المنشور في مجلة عالم الكتب مج ٢٣ (١٤/٢) رجب شعبان ١٤٢٢هـ) (٢٠٠٢م) صـ٢٧-٢٩.

ما يسمى بالمكتبة الوطنية الإسرائيلية

أكبر مكتبة في إسرائيل وموجودة في الجامعة العبرية في القدس. وبداية إقامة هذه المكتبة يعود إلى العام ١٨٨٤ عندما تم جمع مجموعة صغيرة من الكتب على يد مجموعة من المثقفين اليهود في القدس، ثم سُلمت هذه المكتبة الصغيرة إلى مؤسسة (بني بريت) العام ١٨٩٢ في القدس أيضاً. والمبادر إلى إقامة المكتبة الوطنية بشكل فعلي وواسع النطاق كان الدكتور يوسف حزنزفيتش الذي قام بنقل أكثر من ثمانية آلاف كتاب من بلدة بياليستوك العام ١٨٩٥ إلى القدس، ونقلت كل المجموعات التي تم جمعها في العام ١٩٠٢ إلى بناية أُعدّت خصيصاً لهذا الغرض في القدس. استلمت المنظمة الصهيونية إدارة المكتبة في العام ١٩٢٠ ثم نقلتها في العام ١٩٢٥ إلى إدارة الجامعة العبرية وما زالت تحت إدارتها وإشرافها. ولما أُنجز المبنى الدائم على اسم ديفيد ولفسون في العام ١٩٢٩ نقلت المكتبة إليه. وتحوي المكتبة الوطنية أكثر من أربعة ملايين كتاب ومصنف، إضافة إلى مجموعة نادرة من المخطوطات التي وصلت إلى المكتبة أو تم شراؤها أو جرت السيطرة عليها خلال معارك العام ١٩٤٨ أو حزيران ١٩٦٧ في القدس. وواقع الأمر أن مكتبات القدس العربية فقدت مئات من المخطوطات النادرة وهي موجودة في المكتبة الوطنية الإسرائيلية في الجامعة العبرية في القدس. وتحوي المكتبة أيضاً ميكروفيلمات لعدد كبير من الدوريات القديمة في مختلف اللغات بما فيها العربية، وكذلك صوراً ورسوماً نادرة. تجدر الإشارة إلى أن قانون المطبوعات الإسرائيلي يفرض على كل دورية أو جريدة أن ترسل نسخاً من كل عدد تصدره إلى هذه المكتبة.

نقلاً عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية

http://www.madarcenter.org/databank/TopicView.asp?TopicID=١٣٠٦&SubID=٤٠

أوقاف القدس

والبحث عن أوقاف القدس، وتناولها يقتضي الرجوع إلى مرجعيات رسمية، وكتب موثقة، وقد عثرت على كتاب قيم للدكتور مصطفى عبد الغني تناول هذا الموضوع فقال:

كما كان للمسلمين أوقاف معروفة كذلك كان لأهل الذمة أوقاف، فالصهاينة الذين يحاولون الآن الاستحواذ على كل شيء والانقضاض على ما تبقى من الأراضي والأوقاف لا يهمهم من أهل الذمة غير ما يملكون.

فشهوة الاستحواذ الآن لا تبقى على أية ممتلكات تاريخية أو على أصحاب حقوق تاريخية في القدس وجوارها بأية حال ..

والعود للتاريخ يرينا أنه كان لأهل الذمة أوقاف كما كان للمسلمين في القدس ومع أنها كانت قليلة، فإنها كانت قائمة تشهد على الحقوق التي أراد الصهاينة الاستحواذ عليها.

والتاريخ يذكر لنا أن لأهل الذمة أديرة كثيرة منها:

- وقف المسيحيين (الروم الكاثوليك).
- وقف المسيحيين الأرثوذكس.
- وقف بعض اليهود العرب وإن كان قليلاً.

فالمسيحيون الكاثوليك كان لهم وقف في أكثر من مكان في القدس وعلى سبيل المثال:

- دار بمزرعة الزراعنة.
- مقبرة في بيت لحم.
- أرض زراعية بالقرب من دير مار إلياس.

أيضًا كان للمسيحيين الأقباط أوقاف في القدس منها على سبيل المثال أيضًا:

- وقف المعلم يعقوب ترجمان الإفرنج.
- وقف منصور الإفرنجي وحاكورة في بيت لحم.

ويورد لنا د. زياد المنى أمثلة لا يمكن إغفالها في رصد أوقاف أهل الذمة.

بيد أننا لا يجب إغفال بعض الأوقاف أيضًا - وإن كانت قليلة جداً - لليهود، أولئك اليهود الذين كانوا يعيشون بيننا - نحن العرب - في أراض لم يعرفوا غيرها، ومن ثم، فإن كانت ديانتهم هي اليهودية فيصبحون من أهل الكتاب العرب، فإن ثقافتهم كانت تنتمي دون شك إلى المنطقة الإسلامية.

كما أنهم - وهو ما يجب التنبيه إليه - لم يكن ليمتلكوا هذه النزعة العدوانية التي جاء بها غيرهم من الغرب مدعين أنهم يهود في حين يجب التفرقة هنا بشدة ووعي بين أولئك اليهود الذين كانوا يعيشون بيننا في كل البلاد العربية ومن بينها فلسطين والقدس وبين أولئك الصهاينة الذين جاءوا مع المد الاستعماري ليس بقصد العيش جنبًا إلى جنب في سلام وإنما للإسهام في تنفيذ مخطط دبر بليل ضد أهل البلاد الأصليين ومنهم أهل الذمة أنفسهم. وسوف نتمهل - فيما بعد - عند أوقاف أهل الذمة .

عن الحدود ..

وقد يكون من المهم قبل أن نقترب من العصر العثماني - خاصة السنوات الأخيرة المهمة منه في تطور وقف القدس - أن نتمهل أكثر عند أهم المعالم الإسلامية وحدودها وتطورها في القدس وأكنافها موثقين أكثر لهذه الفترة المهمة من تاريخنا؛ وهو ما بذل فيه جهدًا كبيرًا د. أمين أبو بكر.

آثار الحرم الشريف :

مباشرة بعد الفتح الإسلامي، أخذت مدينة القدس تلبس حلة جديدة، جاء ذلك على شكل إعمار لمنطقة المسجد الأقصى بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-، بعد فتحها عام ١٥ هـ (٦٣٦م).

هذا وبرز بشكل ملفت للنظر خلال الحكم الأموي، ببناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة على يد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك، واستمر إعمار الحرم القدسي خلال مراحل التاريخ الإسلامي، سواءً أيام العباسيين أو الفاطميين أو المماليك، ثم جاء دور العثمانيين فواصلوا ذلك أيضًا.

الإعمار المذكور جاء على شكل إجراء أعمال بناء وتوسيع لمساجد الحرم أو ترميمها وأحيانًا أخرى وقف مبان وسبل لزائري القدس للصلاة والزيارة.

هذا ويبلغ طول الحرم المقدسي:

- من الجهة الغربية (٤٩٠) مترًا.
- من الجهة الشرقية (٤٧٤) مترًا.
- من الجهة الشمالية (٣٢١) مترًا.
- من الجهة الجنوبية (٢٨٣) مترًا.

أما محيطة فهو كالتالي:

- الحائط الشمالي (١٠٤٢) قدمًا.
- الحائط الشرقي (١٥٣٠) قدمًا.
- الحائط الجنوبي (٩٢٢) قدمًا.
- الحائط الغربي (١٦٠١) قدم.

الصخرة المشرَّفة :

- الطول (١٧.٧٠) متر.
- العرض (١٣.٥٠) متر.
- الارتفاع (١.٢٥) متر.

قبة الصخرة:

- طول الجانب (٦٧) قدمًا.
- ارتفاع القبة (١٧٠) قدمًا.

مبنية على (٤) دعائم و(١٢) عامودًا ولها (٤) أبواب.

المسجد (الجامع) الأقصى:

- الطول (٨٠) مترًا.
- العرض (٥٥) مترًا.
- الأبواب (١٠)، وقبة من الخشب المغطى بالرصاص.

قباب المسجد الأقصى:

- قبة السلسلة، بُنيت في عهد عبد الملك بن مروان، وتقع شرقي قبة الصخرة.
- قبة المعراج، بُنيت عام (٥٩٧ هـ، ١٢٠٠م).
- قبة محراب النبي، بُنيت عام (٩٤٥ هـ، ١٥٣٨م).
- قبة يوسف، بُنيت عام (٥٨٧ هـ، ١١٩١م).
- قبة الشيخ خليلي، حديثة بُنيت في القرن التاسع عشر.
- قبة موسى، بُنيت عام (٦٤٩ هـ، ١٢٥١م).
- القبة النحوية، بُنيت عام (٦٤٠ هـ، ١٢٠٧م).
- قبة الخضر.
- قبة سليمان.

مآذن المسجد الأقصى:

- مئذنة باب المغاربة، أو المئذنة الفخرية، بُنيت عام (٦٧٧ هـ، ١٢٧٨ م) ورُممت عام (١٣٤١ هـ، ١٩٢٢ م).
- مئذنة باب السلسلة، بُنيت عام (٧٣٠ هـ، ١٣٢٩ م).
- مئذنة باب الغوانمة، بُنيت عام (٦٩٧ هـ، ١٢٩٧ م).
- مئذنة باب الأسباط، بُنيت عام (٨٦٩ هـ، ١٣٦٧ م) ورممت عام ١٩٣٧م.

أروقة المسجد الأقصى:

- الرواق الممتد من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء (باب فيصل) / يقع في المنطقة الوسطى لسور الحرم الشمالي.
- الرواق المحاذي لشرف الأنبياء.
- الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب، ورواقان فوقهما مستجدان.
- الأروقة الغربية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة / المنطقة الغربية للحرم.

- الرواق الممتد من باب الناظر إلى باب القطانين / امتداد الرواق السابق جنوبًا.
- الرواق الممتد من باب القطانين إلى باب السلسلة / امتداد الرواق السابق جنوبًا.
- الرواق الممتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة / امتداد الرواق السابق جنوبًا.

سُبُل الحرم:

- سبيل قايتباي، أنشئ عام (٨٦١ هـ) وجدده قايتباي عام ٨٧٠ هـ، ١٤٤٥م، وأعيد ترميمه في عهد عبد الحميد الثاني عام ١٨٤٢م.
- سبيل شعلان، أنشأه الملك عيسى وجدده الملك برسباي عام (٨٣٢م)، كما جدد عمارته السلطان مراد الرابع العثماني عام (١٦٣٧م) بعد أن بقى خرابًا حوالي القرنين.
- سبيل باب الحبس، سبيل علاء الدين البصيري.
- سبيل البديري، طوله متران وعرضه وارتفاعه أربعة أمتار، والمعتقد أنه تم في زمن السلطان محمد الأول العثماني عام (١١٥٣هـ)، وتسميته أتت من منشئيه آل البديري.
- سبيل قاسم باشا، دعي بذلك نسبة إلى قاسم باشا متولي القدس في عهد السلطان سليمان القانوني.
- سبيل السلطان السليمان.
- آبار الحرم: بئر الشيخ الخليلي، بئر الأمانة، بئر أبي السعود، بئر باب الجنة، بئر العصافير، بئر الخلود، بئر آل المقدسي.
- باب الأسباط.
- باب حطة.
- باب شرف الأنبياء / أو باب العتم أو باب فيصل.

- باب الغوانمة / باب الخليل أو باب الوليد.
- باب الناظر / باب علاء الدين أو باب الحبس أو باب المجلس.
- باب الحديد.
- باب القطانين.
- باب المتوضأ.
- باب السلسلة.
- باب المغاربة / باب النبي أو باب البراق.
- باب السكينة / مغلق .
- باب الرحمة / مغلق.
- باب التوبة / مغلق.
- باب البراق / مغلق.

العقارات المقدسية الموقوفة على الحرم:

- دار الأيتام الإسلامية.
- تكيّة خاصكي سلطان.
- خان السلطان.
- دار المحكمة الشرعية عند باب السلسلة.
- دار الشيخ الحنبلي.
- كلية روضة المعارف.
- المدرسة البكرية.
- حمام الشفا.
- دكاكين على مقربة منه في سوق القطانين.
- دار حبس الرباط.
- دار حبس الدم.

- المصلى المرواني:

يقع المسجد المرواني في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى المبارك، وكان يطلق عليه قديمًا التسوية الشرقية من المسجد الأقصى.

يتكون من (١٦) رواقًا، تبلغ مساحتها (٢٧٧٥) مترًا مربعًا، أي ما يقارب (٤) دونمات.

استعمل زمن الرسول ﷺ مصلى الأنبياء جميعًا ضمن المسجد الأقصى المبارك.

للتسوية مداخل عديدة منها مدخلان من الجهة الجنوبية وخمسة مداخل من الجهة الشمالية، استخدمه معاوية كمصلى ومكان للتدريس.

خصص زمن عبد الملك بن مروان كمدرسة فقهية متكاملة، ومن هنا أطلق عليه اسم المصلى المرواني.

عند احتلال الصليبيين للمسجد الأقصى استخدم المكان مربطًا لخيولهم ودوابهم، ومخازن ذخيرة، وأطلقوا عليه «اسطبلات سليمان».

عند عودة القدس على يد صلاح الدين الأيوبي في (٢٧ رجب ٥٨٣هـ) أغلقت البوابات الجنوبية للمصلى وعددها بابان (المفرد والثلاثي).

سُقف أيام العثمانيين / سليمان القانوني وهو السقف الحالي.

الأعمدة والأقواس في المصلى تعود لفترة عبد الملك بن مروان.

تم افتتاحه مجددًا لجمهور المصلين في (١٢/ ١٢/ ١٩٩٦م) بالتعاون بين هيئة الأوقاف الإسلامية وجمعية الأقصى، (الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر) ولجنة التراث.] إ.هـ[1]

التعليق

ولا أعتقد أن هذه فقط أوقاف القدس وإنما هنالك أوقاف أخرى في دول إسلامية وعربية لابد من توثيقها ورصدها بالتفصيل في كتاب آخر بإذن الله.

---

(1) الأوقاف على القدس، ص(٣٠-٣٨).

التراث الفلسطيني بين تفريط الأبناء وسندانة الأعداء

بات من مكرور القول ومعاد الكلام أن التراث هو قلب الأمة النابض وعقلها الذي تحكم به ومنهاجها الذي تمشي به على وجه هذه البسيطة، وأي أمة فرّطت بهذا الإرث المبارك فهي على شفا جرف هار تودي بنفسها في شباك المصائب وشراك المهالك.

ولقد أتى على هذا التراث حينٌ من الدهر تعرّض فيه لمصائب عظيمة وكوارث جسيمة وحوادث أليمة سببها الرئيس فيها تمركز في: تفريط أبنائه من جهة وانتهاز العدو الفرصة لضرب هذا التراث ضربةً قاضية من جهةٍ أخرى.

ولقد شهدت خزائن فلسطين - التي كانت حافلة بنوادر الكتب والمصنفات ونفائس المخطوطات - صراعاً فريداً من نوعه في مطلع القرن العشرين حيث شهدت حلباتها صراعات من نوع آخر استخدمت فيها الوسائل الشيطانية والطرائق الثعلبية وذلك لضرب العرب والمسلمين ضربةً قاضية في قلبه النابض فاستُهدف التراث استهدافاً لا نظير له حيث جيشت له العساكر ونصبت له الدساكر ووضعت خطط الجرائم الأثيمة محاولة الاستيلاء عليه بأي صورة كانت، وإن عجزت قامت بتدميره بأبشع صورة وأقبح منظر دأبها دأب الخصم المفلس.

وإن المتأمل في تاريخ خزائن القدس وباقي مدن فلسطين وينظر كيف كانت في يوم من الأيام منارات علم ونور وهداية، حافلة بنوادر تُشد لها الرحال ومخطوطات تضرب لها أكباد الإبل، ثم ينظر كيف أصبحت هذه الخزائن خراباً، وأضحت نوادرها ومخطوطاتها يباباً، لتأخذه الحسرة والألم على ضياع هذا الكنز الذي لا يقدر بثمن.

وإذا تأملت في السبب الرئيس في هذا وجدته يتمحور حول نقطتين مهمتين أحلاهما مرٌّ هما (تفريط الأبناء)!!! و(سندانة الأعداء)!!!.

فمن جهة تفريط الأبناء أقول:

لقد أُتي هذا التراث على حين غفلة من أهله، ففي الوقت الذي هوَت فيه

أعلام التراث ونجومه الذين كانت تهتدي بهم خزائن فلسطين، وكانوا حراساً لها ذائدين عن حياضها يرعونها حق رعايتها، كان الأعداء يخططون لوسيلة أخرى هي أخطر من التدمير والتخريب، ألا وهي إنشاء جيل عارٍ عن هذه الحقائق جاهلٍ بهذا التراث، ضعيف الهمة بالقيام بمسئولية الحفاظ عليه.

ثم مما يُزيد الطين بِلّة هو ابتلاء هذا التراث بثلة حمقى لم تقدر هذا التراث قدره، فتجد بعضهم عند وفاة العالم فيهم يبادر إلى بيع خزانة مخطوطاته وأعلاقه النفيسة التي كان طيلة حياته – بجوع بطنه وتشقق قدميه وتمزق ثيابه وسهر عينيه وتعب جسده – يحاول جمعها فضلاً عن نسخها وتدوينها، وكم كان الواحد منهم يدفع الغالي والنفيس من أجل شراء مخطوطة أو كتاب لا يتجاوز صفحات معدودة، ثم يأتي هذا الوارث العاق الجاهل قدر هذه الأوراق المجنون بالانفاق ليفرّط بتراث هذه الخزانة ويضيق صدره – لجهله – بها فيبيعها بثمن بخسٍ دراهم معدودة وكان فيها من الزاهدين..!!

أما الحديث عن وقوع هذا التراث تحت سندانة أعدائه ووطأة الهمجية الصهيونية فإجمالاً أقول:

لقد تسلّط على هذه الخزائن العربية والإسلامية أقوام طغاة استباحوا محارمها وقوضوا معالمها ولا يزال هذا التراث يتعرض لموجة قاسية من الهجوم المخطط له بعناية واتفق على أن يكون التراث العربي والإسلامي هو العدو المعلن والذي ينبغي أن يتوحد العالم ضده وأن ينفر أبناؤه منه بأي صورة من الصور..!!

ثم إني أزيد فأقول: لقد تميز المخطوط الفلسطيني بميزات لفتت أنظار الأعداء إليه فحاولوا القضاء عليه مستخدمين أشرس الأفعال التي لا تُستبعد من أمثالهم – وهم قتلة الأنبياء ومحرفو الكتب السماوية – فالله حسيبهم وهو يحاسبهم.

ومن هذه الميزات:

١. نفاسة هذه المخطوطات وندرتها وبخاصة مخطوطات مكتبات القدس والمسجد الأقصى، فقداسة المكان وبخاصة المسجد الأقصى ومكانتها العظيمة في

قلوب المسلمين الأمر الذي حداهم سلاطين وعلماء وأمراء ودهماء إلى أن يهتموا بإحياء مثل هذه المكتبات والخزائن وإهدائها ووقفها على المسجد الأقصى والمدارس الشرعية التي فيها فأهدى المؤلفون والنساخ نوادر ما ملكوا ونفائس ما ألفوا ونسخوا حتى غدت هذه الخزائن محلاةً بأعلاق نفيسة ومؤلفات قيمة ثرية عزّ وجود نظائرها في أي مكان آخر.

٢. وجود مثل هذه الأعلاق النفيسة والمخطوطات النادرة فضلاً عن باقي المؤلفات التي ألفها علماء هذه البلاد إنما هي ترجمان واضح وجلي لهذه النهضة العلمية التي تحفل بها هذه البلاد وأن وجود مثل هذا الخزائن والمكتبات والتي بلغت المائة مكتبة وخزانة منها الخاصة ومنها العامة – وذلك في خلال قرن واحد هو مطلع القرن العشرين – هو الذي يحكي لنا تاريخ هذه الحضارة العلمية ويبرهن على أن طلائع هذه النهضة كانت على أيدي علماء كانوا من الكثرة بمكان فيعكس صورة حسنة تمحق تلك الكذبة الصلعاء التي تذكر هذه الحقب المتأخرة وتنعتها بزمن مُلىء بالجهل والتخلف الحضاري.

٣. وجود الحقائق التاريخية والوثائق العلمية التي تثبت عروبة القدس وحقها الشرعي للمسلمين على مرّ الأزمان وأن وجود مثل هذا التراث العربي الإسلامي ليمحق مثل هذه الأكذوبات الواضح كذبها وضوح الشمس والتي يختلقها بنو يهود وتدحض شبههم القائمة على أساس هشٍ وهرِم فضلاً عن صحتها وصحة محتوياتها.

هذه الأمور -وغيرها الكثير- هي التي أقضت مضاجع بني صهيون وأعداء هذا التراث فبدءوا يخططون له ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، مسخرين جميع الجهود والطاقات للقضاء على الإرث المبارك وطمس هذه الحقائق التاريخية، إذ بوجود مثل هذه الوثائق والسجلات والمؤلفات والمخطوطات لا يستطيعون ترويج أكاذيبهم وخرافاتهم الباطلة، وعليه فلا يستطيعون إنشاء جيل جاهل بهذا التاريخ غافلٍ عن هذه الحقائق الأمر الذي يجعله تنطلي عليه مثل هذه الخرافات والأكذوبات التي

يستطيع عامة الناس دحضها فضلاً عن الشيوخ والعلماء.

وبمجرد نظرة عجلى وعامة لتلك الخزائن التي استهدفت من قبل بني يهود يرى الشخص تلك المأساة التي حلت بهذه الخزائن فيبكي على ذهاب هذا الإرث واندراس هذا الأثر المبارك.

ولا أودّ أن يفوتني ولو على وجه السرعة أن أتحف القارئ الفطن ببعض صور هذه الهجمة الصهيونية على مثل هذه الخزائن سارقةً لنفائس وأهم مخطوطاتها ومدمرةً ومخربةً لبنيانها فمن هذه الخزائن:

١. خزانة أديب فلسطين الكبير محمد إسعاف النشاشيبي في القدس التي كانت عامرة بالنوادر والنفائس والتي وصفها الأديب خليل السكاكيني بقوله "ومكتبته لا تشبهها مكتبة" فقد أصابتها رصاصات الغدر الغاشمة ودمرتها، يقول الأديب الفاضل عجاج نويهض في كتابه "رجال من فلسطين ص١٧" (وفي شهر آبار – أي بعد وفاته – ١٩٤٨م نُهب بيته ومكتبته وبيعت كتبه الثمينة بالأرطال بيع غنائم باردة) ويوضح لنا الصورة أكثر فأكثر يعقوب العودات الشهير بالبدوي الملثم فيقول "ولكن هذه المكتبة القيمة أطبق عليها من لا أخلاق لهم في نكبة سنة ١٩٤٨م عندما اجتاح بعض المرتزقة أحياء القدس الغربية زعماً منهم أنها (أحياء يهودية) فنهبوا مكتبة إسعاف وحملوها إلى مدينة الزرقاء بالأردن وباعوها على مشهد مني بالرطل... لأصحاب الأفران فذهبت طعمة للنيران" (أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص٦٢٧).

٢. الخزانة الخليلية في القدس:

التي أنشأها العلامة مفتي القدس الشيخ محمد بن محمد الخليلي (١١٤٧هـ) وأوقفها على طلاب العلم التي قال عنها إسحاق موسى الحسيني رحمه الله (ومكتبة الشيخ – حسْب علمنا – أول مكتبة عامة يوقفها أحد سكان القدس على طلبة العلم... ويذكر عارف العارف عدد كتبها بـ ٧٠٠٠ كتاب) ثم قال رحمه الله (ويحزننا أن نذكر أنه عندما تطوع السيدان فهمي الأنصاري ويوسف المظفر وأنا في فهرست هذه المخطوطات في العام الماضي روّعنا بأن معظم المخطوطات الثمينة

مفقودة وأن عدداً كبيراً منها تالف ولا بصير ولا نصير).

فأصبحت هذه الخزانة لقمة وطعمة على مائدة اليهود تلاقي الألاقي منهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا أريد الإطالة في ذكر الأمثلة وإن كان هناك الكثير الكثير من هذه النماذج التي تبكي العيون دماً وتفتت الأفئدة ألماً ولعل الوقت يسمح وأفرد هذا الموضوع بمقال واسع يبين الهجمة الصهيونية اليهودية التترية المغولية على خزائن فلسطين ولعله يكون قريباً ولكن مما يطيب القلب ويجبر كسره هو ما رأيناه وحكاه لنا التاريخ وسمعناه من أفواه الشهود من أخبار تلك البيوت والشخصيات التي ضربت الأمثلة الرائعة والتضحيات الماتعة التي تنمّ عن تضحية غالية وبذلٍ رائعٍ من أجل الدفاع عن هذا الإرث ذي المجد الأثيل، ومن هذه المُثل الرائعة..

أولاً/ المكتبة الخالدية في القدس الشريف:

هي غير مكتبة الشيخ الخالدي. تأسست هذه المكتبة سنة ١٩٠٠م بالقدس الشريف، وبلغ عدد كتبها ١٢ ألف كتاب، كما ذكر عارف العارف نقلا عن نشرة مدير الآثار بحكومة فلسطين سنة ١٩٤٥م، وذلك عن طريق تجميع كتب العائلة الخالدية التي أنجبت الكثير من العلماء. وكان من بين هذه الكتب ما يقارب ٤٠٠٠ مخطوطة. وفي الكشف الذي أعد سنة ١٩٧٣م تبين أن عدد كتبها ٦٠٠٠ كتاب مطبوع ومخطوط، منها ١٥٠٠ مخطوطة، والباقي هو ٤٥٠٠ قد فقد.

فقد ذكر الدكتور الفاضل وليد أحمد سامح الخالدي في مبحثه التاريخي الماتع الفريد في بابه الكامل في استيعابه لتاريخ هذه المكتبة القيمة والمعنون بـ(المكتبة الخالدية في القدس)- الذي جعله مقدمة للفهرس الكامل الذي وُضع لمخطوطات هذه المكتبة – ذكر موقفاً مشرفاً لهذه العائلة (ص ٣٣) وذلك أثناء قيام فرقة يهودية استيطانية باحتلال الطابق العلوي للمكتبة ذلك لتخريبها وإفسادها، وبذلت العائلة الغالي والنفيس في الدفاع عن هذه المكتبة حتى استطاعت أن تخلص هذه المكتبة من هذا الغزو الاستيطاني الخطير والذي كاد يدمر هذه الخزانة ولكن الله سلم.

المكتبة منذ ١٩٦٧م

مرت المكتبة منذ عام ١٩٦٧م في ثلاثة أطوار:

الأول: من ١٩٦٧ وإلى عام ١٩٨٢م وفيه جابهت المكتبة محاولات إسرائيلية متكررة لمصادرتها أو الاستيلاء عليها.

والثاني: من ١٩٨٢ إلى ١٩٩٠م وفيه خاضت الخالدية معارك قضائية في المحاكم الإسرائيلية دفاعاً عن حقوقها ووجودها.

والثالث: من ١٩٩٠ إلى يوم الحاضر، وقد شهد بروز جمعية أصدقاء المكتبة وتبنيها لبرامج طموحة للحفاظ عليها وتنميتها.

الطور الأول: من ١٩٦٧إلى ١٩٨٢م :

كان هذا أقسى الأطوار وأخطرها، ذلك أن إسرائيل فور احتلالها للقدس الشرقية أخذت في مصادرة الأحياء الإسلامية الواقعة في الجنوب الشرقي من البلدة القديمة مقابل حائط البراق الذي يعده اليهود حائط مبكاهم. وكان طريق باب السلسلة حيث تقع المكتبة على جانبه القبلي يحد هذه الأحياء المصادرة من الشمال، وشرعت إسرائيل لتوها في هدم وجرف أحد هذه الأحياء بكامله وطرد سكانه منه وهو حي المغاربة، وهو الأقرب لما من الخالدية وحائط البراق، وكان الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي قد وَقَف بعضه لجهة البر سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وَوُقِف معظمه لاحقاً سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠مـ على الحجاج المغاربة المجاورين للمسجد الأقصى أحد حفدة أبي مدين شعيب بن حسين المغربي، الغوث، القطب التلمساني(ت٥٩٤هـ ١١٩٨مـ)، وكانت زاوية أبي مدين التى أزيلت مع الحي على بعد أمتار من الخالدية.

وكانت معظم الأحياء المصادرة تابعة لأوقاف العوائل المقدسية الإسلامية. وكانت "حصة " آل الخالدي من الخسارة الجماعية ما ينيف على ٤٠ عقاراً من منازل وشقق ودكاكين استولت إسرائيل عليها، بما في ذلك منزل القاضي موسى بن محمد بن خليل بن صنع الله الكبير والد السيدة طرفندة خاتون الذي سبق ذكرهما وشمل

قرار المصادر مبنى المكتبة ذاته، واحتل الجنود الإسرائيليون الطابق العلوي الشرقي المطل على ساحتها التابع لأوقاف العائلة أيضاً، وألصق على بابها بيان مصادرة باعتبارها من أملاك الغائبين ولم يكن متولي الأوقاف العائلية المهندس عادل بن حسين فخري حينذاك في القدس، فقام مقامه حيدر بن كامل بن عبد الرحمن بن محمد علي الخالدي، وكامل هذا هو أخو نظيف السالف الذكر وتمكن حيدر بمفرده وبما منّ الله عليه من قوة الإيمان والعزيمة وبما لديه من وثائق، من التصدي لقرار المصادرة وإثبات بطلان الادعاء بكون المكتبة من أملاك الغائبين، فأنقذ بذلك المكتبة من ضياع محتوم.

ولم تنته المحاولات الإسرائيلية للاستيلاء على المكتبة بالطعن الموفّق في الادعاء بكونها من أملاك الغائبين. فمنذ أواخر السبعينات أخذ مدنيون من اليهود يحلون تدريجياً مكان الجنود الإسرائيليين المحتلين للطابق العلوي الشرقي المشرف على ساحة المكتبة، وتبين بعد قليل أن هؤلاء هم طليعة مدرسة تلمودية (ياشيفا بالعبرية) تابعة لحركة دينية من غلاة الغلاة على رأسها الحاخام غورين كبير حاخامي الجيش الإسرائيلي سابقاً. وماهي إلا بضعة أشهر حتى بوشر في أعمال بناء أخذت بتشييد طابق ثالث فوق الطابق العلوي الشرقي المحتل، ثم بالالتفاف من حول ساحة المكتبة من الناحية القبلية وبناء جناح ثان للمدرسة التلمودية أخذ يعلو شيئاً فشيئاً فوق حائط الساحة من هذه الناحية، وإذ بنوافذ تفتح فتطل على الساحة، وبشمعدان ضخم ذي سبعة أعمدة يرتفع فجأة على سطح هذا الجناح وعلى رأس كل من الأعمدة مشعل كهربائي كبير، أخبرنا العاملون أن إضاءتها مقابل حائط البراق إنما ترمز إلى برنامج حركة الحاخام الدينية وطموحها لإعادة بناء الهيكل في ساحة حرم المسجد الأقصى. ورافق حركة البناء هذه قذف متراكم على ساحة المكتبة للردم الناتج عن البناء وقاذوراته، وكانت الساحة تضم قبور ثلاثة من أمراء الخوارزميين الذين وفدوا إلى المشرق للمشاركة في قتال الإفرنج وكانت وفاتهم بين عامي ٦٤٤و٦٧٨هـ/ ١٢٤٦و١٢٧٩م

الطور الثاني: ١٩٨٢ - ١٩٩٠مـ

لم يعد في أوائل الثمانينات أي مجال للشك في أن الحاخام غورين عقد النية على الاستيلاء على المكتبة بهذه الأساليب، بعد إخفاق محاولة المصادرة، وأن جُل ما يقف دون ذلك هو حيدر وأعضاء لجنته المعدومو الإمكانات بسبب ما حل بأوقاف العائلة من خسائر جسيمة. فتم الاتصال بكاتب هذه المقدمة وليد بن أحمد سامح بن الحاج راغب، واتفق على إنشاء صندوق خاص لجمع التبرعات، وعلى خطة عمل ينفق عليها من أموال الصندوق، وتضمنت خطة العمل التحرك على خطين متوازين:

أولهما: اللجوء إلى المحاكم المحلية في محاولـه لإيقاف الحاخام عند حده إن أمكن.

والثاني: مباشرة العمل على ترميم المكتبة ومحتوياتها إثباتاً للوجود واستباقاً لمشروعات الحاخام.

وتألفت لجنة عائلية مصغرة لهذا الغرض ضمّت كلاً من حيدر بن كامل من الداخل، ووليد بن أحمد سامح والمهندس منذر بن ثابت بن نظيف والدكتور رشيد ابن إسماعيل بن الحاج راغب من المقيمين في الشتات.

وتلقى الصندوق الخاص تبرعات جاءت على التوالي من الحاجة فاطمة بنت الحاج راغب عن طريق ابنها هاني بن محمد سلام البيروتي، ومن منذر وأخيه الأكبر نظيف الخالدي، ومن الصديق المحسن ورجل الأعمال الفلسطيني حسيب الصبّاغ، ومن سمو الأمير الحسن بن طلال ومن موسى شفيق بن جميل بن موسي شفيق الخالدي، وموسى شفيق الجد هذا كان من مؤسسي المكتبة في أواخر القرن الماضي كما أسلفنا.

وتنفيذًا للخطة المتفق عليها قدّمت الشكوى ضد الحاخام بشأن إلقائه الردم على الساحة وفتحه النوافذ في الحائط القبلي. وبعد طول تدبّر وتداول من قبل المحكمة وزيارة أعضاء المجلس البلدي الإسرائيلي بأسره بمن فيهم رئيس البلدية

والقاضية رئيسة المحكمة بنفسها لموقع المكتبة، لم يسع المحكمة إلا أن تحكم في صالح المكتبة وتأمر الحاخام بسد النوافذ وإزالة الردم والإقلاع عن إلقائه مجدداً.

بيد أنه عندما حاولت اللجنة العائلية تنفيذ خطة الترميم لأبنية المكتبة اعترض الحاخام ومؤسسات استيطانية بتحريض منه على ذلك، تارة بحجة أن الترميم يهدد سلامة الطوابق التى بناها الحاخام، وتارة بحجة أن المكتبة في حال فتحها تشكل خطراً أمنياً على مدرسته التلمودية وتارة بحجة أحقية المكتبة التلمودية تملك المكتبة!.

وطالت المقاضاة سنوات عدة في كرّ وفرّ دائمين، ولكن كانت النتيجة أن المحكمة لم يسعها أخيراً إلا أن تحكم ثانية لصالح المكتبة وتدحض ادعاءات الحاخام وحلفائه.

وما إن انتهت المعركة مع الحاخام حتى بدأت المعركة مع البلدية ذاتها ولجانها المتخصصة العديدة للحصول على الإذن بالبدء بأعمال الترميم، وماطلت البلدية ولجانها ما استطاعت لسنوات عدة، وبذرائع وأسباب مختلفة بعضها جمالي الادعاء وبعضها فني وبيروقراطي مختلق قبل منح الإذن أخيراً، بحيث لم يتسن البدء في أعمال ترميم أبنية المكتبة إلا في أواخر الثمانينات.

وفي هذه الأثناء تقدم حيدر في السن وضعف بصره واضطر ابنه كامل إلى الانتقال إلى عمّان لممارسة عمله هناك. وفي عام ١٩٨٠م توفي حازم الخالدي مساعد حيدر الأيمن، ذلك أن حازماً رحمه الله كان صلب العود انضم ضابطاً إلى الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية بنصيحة والدي أحمد سامح وبحضوري، وارتقى في الرتب حتى وصل إلى رتبة عميد (ميجور) بنهاية الحرب، وكلف من قبل الجامعة العربية خلال حرب ١٩٤٨م برئاسة مدرسة حربية في سوريا لتدريب الضباط الفلسطينيين، وهي المدرسة التى تخرّج فيها العديد من ضباط جيش التحرير الفلسطينيين فيما بعد، وبوفاة حازم لم يبق من أفراد العائلة القادرين بالقدس لمساعدة حيدر سوى ابنته الآنسة هيفاء، وقامت هيفاء ولا تزال

تقوم بالواجب خير قيام، وحافظت بذلك على تقاليد سيدات العائلة بالإسهام في رعاية المكتبة.

ولم تكن مهمة هيفاء سهلة، ذلك أنه تخللت سني المقاضاة والسعي للحصول من البلدية على إذن بالترميم، مضايقات من المستوطنين المسلحين اليهود بتحريض من الحاخام غورين ومن غيره، واتخذت هذه المضايقات مرات عديدة شكل زيارات في أواخر الليل وأوائل الفجر لمنزل حيدر المجاور للمكتبة، يطرق خلالها الباب بأعقاب البنادق ويعلو فيها صوت التهديد والشتم، حتى إنه في أحدي الزيارات رافق أفراد من الشرطة الإسرائيلية المستوطنين وأصروا على استلام مفتاح المكتبة ثم أعادوه بعد مرور أيام.

وكانت هيفاء التى تتصدى لهذه الزيارات والمناورات وتتلقاها نيابة عن أبيها المريض المسن بشجاعة ورباطة جأش اشتهرت بها.

ولا بد أن نذكر في هذا الصدد أن المكتبة تلقت عوناً في محنتها مع الحاخام غورين ومع بلدية القدس من عالِمين إسرائيليين فاضلين، هما الدكتور أمنون كوهين والدكتور داني باهات اللذان أسهما في إقناع المحكمة ولجان البلدية بما أدليا به من معلومات وشهادات بصحة موقف القائمين على المكتبة، فاستحقا منا كل شكر وتقدير، كما ساعدت في هذا الاتجاه أيضاً الاتصالات التى قامت بها اللجنة العائلية مع وزارة الخارجية الأمريكية وقنصل أمريكا العام بالقدس، وقرر خلال هذه الفترة تسمية اللجنة العائلية بـ "جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية" وإضافة أعضاء آخرين إليها ومن خارجها ودعمها بمجلس استشاري أكاديمي رفيع المستوى مؤلف من كبار المستشرقين المتعاطفين في الجامعات الأوروبية والأمريكية.

وتقرر هذه الفترة أيضاً عدم انتظار نتيجة المقاضاة في المحاكم أو إصدار إذن من البلدية بالبدء في الترميم، والمضي في عمليتين لا تحتاج إلى موافقة السلطات الإسرائيلية، وهما دراسة إعداد فهرس عصري لمخطوطات المكتبة، ومباشرة ترميم المخطوطات وصيانته وفق أحدث الأساليب العلمية. وهكذا تمّ الاتفاق عام

١٩٨٥م مع المستشرق الأمريكي الدكتور لورنس كونراد لدراسة مشروع الفهرس، ومع توني بيش الخبير البريطاني في ترميم المخطوطات عام ١٩٨٦م، وأنفقت "جمعية أصدقاء المكتبة" من صندوقها على زيارات سنوية للمكتبة قام بها كل من كونراد وبيش خلال الأعوام ١٩٨٥-١٩٨٦م، وكانا يمكثان في القدس فترات تتراوح كل منها الأسبوعين والشهر الواحد، وكان في بعض الأحيان يرافقهما بعض المساعدين.

وتمكن كونراد خلال هذه الزيارات من تكوين نظرة إجمالية عن عدد لا بأس به من المخطوطات، وبوضع قائمة أولية Shelf List بها. ثم إنه أثناء التمهيد لأعمال الترميم اكتشف عام ١٩٨٧م تحت السقف القرميدي للمكتبة مجموعة ضخمة من الأوراق من مختلف الأحجام ينوف عددها على ١٠,٠٠٠ ورقة هي خليط من الدَّشت والأوراق الشخصية والوثائق الرسمية وصفحات المخطوطات المبعثرة فقام كونراد بتصنيفها وجمعها، وعثر من خلال ذلك على مخطوطات قيمة كاملة وأجزاء مكملة لغيرها.

أما توني بيش فقد أشرف على تبخير مجموعة مخطوطات بكاملها وعلى فتح وتنظيف كل مخطوطة منها على حدة ووضعها في صندوق خاص مادته عازلة تصون المخطوط عن الرطوبة والحموضة.

وفي ١٩٨٩م تمّ تشكيل مجلس أمناء جمعية أصدقاء المكتبة من وليد أحمد سامح الخالدي، وكامل حيدر الخالدي، ومنذر بن ثابت الخالدي، والدكتور رشيد إسماعيل الخالدي، والدكتور بنيامين بروان الأمريكي، والسيدة بربارا إكّ الأمريكية أيضاً، وسجلت كمؤسسة معفاة من الضرائب بموجب قوانين ولاية مساتشوستس في الولايات المتحدة، وانضمت إليها في الوقت الحق سمو الأميرة غيدا طلال حفيد الحاجة فاطمة ابنة الحاج راغب الخالدي. وفي الوقت نفسه تألف مجلس استشاري أكاديمي دولي لمجلس الأمناء أعضاؤه الآن هم: السفير المستشرق الدكتور نيكولاس بيخمان (سفير هولندا لدى الحلف الأطلسي)، والدكتور نظمي الجعبة (الأستاذ في جامعة بيرزيت في فلسطين)، والدكتور رشيد إسماعيل الخالدي

(الأستاذ في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة)، والدكتور طريف أحمد سامح الخالدي (الأستاذ بجامعة كمبريدج في بريطانيا)، الدكتور فرد دونر (الأستاذ في جامعة شيكاغو)، والدكتور غيرنوت روتر (الأستاذ في جامعة هامبورغ في ألمانيا)، والدكتور أدريه ريمون (الأستاذ في جامعة أيكس أون بروفنس في فرنسا)، والدكتور جوزيف فان ايسّ (الأستاذ في جامعة توبينغن في ألمانيا، والأب توماس ميشيل (من الفاتيكان).

وفي صيف عام ١٩٩١م حصل الدكتور رشيد إسماعيل الخالدي على إحدى زمالات فولبرايت الأمريكية مكّنته من أن يقضي عطلته بالقدس لثلاث سنوات متعاقبة، حيث أقام في الشقة للزائرين ملحقة بالمكتبة، وانكبّ على دراسة مجوداتها من الأوراق والوثائق العائلية. وشكلت هذه مصدراً أساسياً للكتاب المرجعي الذي وضعه بالإنكليزية عن الهوية الوطنية الفلسطينية الذي نشرته له جامعة كولومبيا بنيويورك عام ١٩٩٧م.

ثانياً / خزانة آل النحوي في صفد تلك المكتبة العامرة المليئة بالكتب المهمة والنادرة:

ولقد سجل أهل هذه المكتبة صورةً رائعةً في الحفاظ على هذا الإرث الثمين والعلق النفيس، فقد كتب الأديب الفاضل عدنان بن علي رضا النحوي ما نصه (يروي لي ابن عمي حامد ابن الشيخ القاضي أحمد النحوي أنه زار المكتبة أحد رجال الصحافة من مصر ووجد فيها مخطوطاً طلب شراءه ودفع مبلغاً عالياً ثم أخذ يزيد في المبلغ ولكن العائلة رفضت بيعه مهما ارتفع الثمن)

ثالثاً: المكتبة البديرية: تقع بالقرب من باب الناظر، أحد أبواب المسجد الأقصى. ويرجع الفضل في تأسيسها إلى الشيخ محمد البديري المقدسي، أحد علماء بيت المقدس. وقد سلم من مخطوطاتها ما يبلغ عدده اليوم نحو ألف مخطوطة.

رابعاً: مكتبة الشيخ على بدر الدين الخطيب: تحتوي هذه المكتبة على مائة مخطوطة.

خامساً: مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس: تحتوي هذه المكتبة على ١٨ مخطوطة.

أما مكتبات المدن الأخرى فهي:

- مكتبة المسجد الإبراهيمي الشريف - في مدينة الخليل: وتحتوي هذه المكتبة على ٨٦ مخطوطة.

- مكتبة يافا الإسلامية: كانت تحتوي هذه المكتبة على أكثر من ألف مخطوطة، واليوم لا يوجد لها أثر، فقد استولت الجامعة العبرية ووزارة الأديان الإسرائيلية على محتوياتها.

- مكتبة الجزار - عكا: تحتوي الآن على حوالي ١٠٠ مخطوطة.

- مكتبة جامع الحاج نمر النابلسي - نابلس: تحتوي على حوالي ٧٥ مخطوطة.

- مكتبة مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية: تحتوي هذه المكتبة على ٦٠٠ مخطوطة أصلية بالإضافة إلى نحو ٣٥٠٠ مخطوطة مصورة.

مكتبة الشيخ خليل الخالدي، المتوفى عام ١٩٤١م. وهو من الرجال القلائل الذين اهتموا بالمخطوطات وجمعها. طاف الوطن العربي بحثا عن المخطوطات القديمة للاطلاع عليها واقتناء ما استطاع اقتناءه. وقد تبعثرت مكتبته بعد وفاته، وما سلم منها لم يتجاوز ١٥٠ مخطوطة أضيفت سنة ١٩٧٨م إلى مكتبة المسجد الأقصى.

وبعد ضم هذه المكتبة يفترض أن تحتوي مكتبة الأقصى على ما يقارب ٦٠٠٠ مخطوطة، غير أنها لا تحتوي الآن إلا على ما يزيد على ألف مخطوطة، وسأفصل لاحقا وضع هذه المخطوطات وكيف تسربت وضاعت.

أسباب ضياع المخطوطات:

هذه هي معظم المكتبات الموجودة في فلسطين والتي اهتمت بتجميع المخطوطات وحفظها، ولكنها لم تستطع حفظ أكثر من نسبة بسيطة منها، فمن بين ما يربو على ٥٠ ألف مخطوطة لم يبق منها الآن إلا ما يقارب ٨٠٠٠، ويعود السبب إلى:

١- أن الحروب التي مرت بها فلسطين بدءًا بالانتداب البريطاني وانتهاءً بالاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين أتت على كثير من مخطوطاتها، فكان يرافق القوات العسكرية مجموعة من الخبراء هدفها الاستيلاء على المخطوطات والسجلات والوثائق من المكتبات العامة والخاصة ومن المؤسسات، مثل ما تعرضت له مكتبة يافا الإسلامية سنة ١٩٤٨ حيث نهبت معظم مخطوطاتها وحولت إلى الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب وغيرهما، كذلك مخطوطات مكتبة الشيخ محمد خليل بالقدس التي وجدت أبوابها مكسورة بعد حرب ١٩٦٧ وبعد جرد محتوياتها تبين أن الكثير من مخطوطاتها قد نهب من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي.

٢- يضاف إلى ذلك نشاط السماسرة والمستعربين من الأوربيين واليهود الذين نشطوا في شراء المخطوطات. ولم تقم مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية سنة ١٩٨٣، في ساحة الحرم القدسي الشريف، ما بين باب حطة وفيصل، إلا لحماية هذا التراث، فقامت بتصوير ما يقارب ٣٥٠٠ مخطوطة على أشرطة ميكروفيلمية وفوتوكوبي لحفظها للأجيال القادمة، وكذلك باشرت تجميع المخطوطات الأصلية، وكانت حصيلتها في هذا المجال محدودة لضيق الإمكانات المادية.

حالة المخطوطات:

يمكن القول أن هذه المخطوطات مصابة بمرض العث والأرضة والرطوبة بسبب سوء أوضاع التخزين، والجهل بطرق عناية المخطوطات فبعضها محفوظ في مخازن أشبه بالسراديب في الرطوبة ولا تصل لأماكن حفظها الشمس أو الهواء. مع الإشارة إلى أنه لا توجد صيانة أو ترميم لهذه المخطوطات باستثناء مكتبة الخالدي التي تجري صيانة مخطوطاتها في لندن، فضلا عن فقدان سبل التبخير والتعقيم تماما.

ولا شك أن قلة الفهارس المطبوعة لهذه المخطوطات تساعد على انتهابها. مع ملاحظة أن معظم مخطوطات فلسطين موجودة في بيت المقدس التي تتعرض في الوقت الحاضر إلى الاحتلال الإسرائيلي.

محاولة التهويد بتغيير أسماء الأماكن وغيرها إلى أسماء عبرية

غداة قيام الدولة، أثير موضوع أسماء المعالم عندما تقرر أن يُعهد إلى بلدية تل أبيب بالمسئولية البلدية عن مدينة يافا. آنذاك جرى نقاش بشأن الاسم الذي يطلق عليهما، فاقترح البعض اسم يافو، وزعموا أن هذا هو الاسم التوراتي، وكان ابن غوريون بينهم. واقترح آخرون اسم تل أبيب بصفته الاسم الصهيوني. وبعد نقاش عكس الارتباك، انتصر الصهيونيون في النهاية وصار الاسم تل أبيب - يافا.

لم تحدث عملية تهويد أسماء المعالم الفلسطينية دفعة واحدة، حتى أنه في السنوات الأولى لقيام إسرائيل كانت بعض المؤسسات والوزارات الإسرائيلية تستخدم التسميات الفلسطينية/ العربية. فمثلًا، تضمن الكتاب السنوي الهيدرولوجي الصادر عن وزارة الزراعة أسماء غير مهوّدة لأنهار ووديان (مثل: الزرقاء - العوجا - الحاصباني - بانياس - القرن - الحلزون - إسكندرونة - الخنداج- وقاص.. إلخ) وينابيع (مثل: عين المشرفة - عين التينة - عين الفوار- عين عسل..الخ). لكن هذه المرحلة لم تدم طويلًا، إذ سرعان ما شنَّت إسرائيل حملة تهويدية استهدفت طمس الأسماء الفلسطينية/ العربية للمناطق والمواقع والمعالم الجغرافية في البلاد، وإحلال أسماء عبرية/ تهويدية مكانها.

اعتمدت المؤسسة الحاكمة في الكيان الصهيوني - في حملتها التهويدية تلك - عملية متشعبة الأداء ومتعددة الميادين، داخليًا وخارجيًا. وكانت هذه العملية تخضع إلى منظومة إيديولوجية/ سياسية ذات طبيعة دعائية موظّفة في خدمة تهويد فلسطين والمشروع الصهيوني برمّته. وقد مرّت عملية تهويد الأسماء بالمحطات الرئيسة التالية:

١) تم تشكيل لجنة خاصة عام ١٩٤٨ باسم " اللجنة الحكومية للأسماء " من شخصيات رسمية وأكاديمية (ضمت متخصصين في الموضوعات التاريخية والدينية والجغرافية) فضلًا عن مسئولين في ميادين التخطيط والتنظيم. وكان بعض أعضائها مستشرقين أو مهتمين بالشئون العربية.

كانت مهمة اللجنة دراسة أسماء الأماكن والمعالم والمواقع الجغرافية، ووضع

بدائل للأسماء العربية. وأخذت اللجنة - التي لا تزال مهمتها قائمة حتى الآن بصرف النظر عن تبديل الأشخاص - تنظم قوائم بين حين وآخر تصدرها في " نشرة الوقائع الإسرائيلية " باللغتين العبرية والعربية، منها مثلًا: مجالس السلطات المحلية - القرى والمستوطنات - المواقع التاريخية والخرب - المناطق الطبيعية - المعالم الجغرافية الخاصة - الأنهار - العيون والآبار - السهول - الجبال والتلال - المغارات - الطرق - المناطق المحتلة حديثًا... إلخ.

ظلت «اللجنة الحكومية للأسماء» تستقي توجهاتها من الاستراتيجية العليا للكيان الصهيوني، وتسخيرها في المجال الثقافي -الاجتماعي- السياسي الخاص بالتسمية. ومن خلال عملها التهويدي لا تزال هذه اللجنة تؤدي مهمتها العدوانية إزاء الشخصية العربية الفلسطينية وهوية البلاد، سواء من خلال جهودها الذاتية، أو عبر محصلة تعاونها مع مختلف الجهات والهيئات المحلية والدولية التي تعنى بشؤون الجغرافيا والتاريخ والآثار والتراث وغير ذلك من الميادين التي تستخدم فيها تسميات المعالم الفلسطينية.

٢) أوردت إسرائيل في الكتب والمقررات الدراسية الأسماء العبرية للمعالم الفلسطينية، وطالبت التلاميذ والمعلمين، حتى العرب منهم، بعدم استخدام الأسماء العربية لتلك المعالم. وأصرت على تقديم العهد الإسرائيلي الراهن بكل وقائعه ومفرزاته ومزاعمه دون اكتراث بالهوية العربية للمكان.

... بهذه الطريقة، وسواها، كان تهويد أسماء المعالم الفلسطينية يترافق مع انتزاع الماضي العربي من الأذهان. واستنادًا إلى حقيقة استمرارية التنشئة الاجتماعية/ السياسية في نفوس المتلقين، وتمثلهم المفاهيم والآراء التي تشبَّعوا بها، يصبح من الممكن تفسير بعض الاعتبارات التي حكمت الاهتمام الإسرائيلي بتهويد الأسماء في الكتب والمقررات لمختلف المراحل المدرسية.

٣) أنجزت إسرائيل خارطة معدلة للخارطة التي وضعتها حكومة الانتداب البريطاني عام ١٩٤٤ بمقياس ١ : ١٠٠.٠٠٠، وبلغ عدد أجزائها ١٦ جزءًا، لكنها لم

تدرس منطقة النقب. فلجأت إدارة المساحة الإسرائيلية إلى زيادة ٨ أجزاء على هذه الخارطة لتلافي النقص في خارطة الانتداب، ثم أجرت تعديلات على أطوال الأجزاء، فصدرت الخارطة الكلية بمجموعة من ٢٦ جزءًا وبمقياس الرسم ذاته، شاملة جميع المناطق من أقصى الشمال حتى إيلات على البحر الأحمر. وكانت الطبعات الإسرائيلية المتعاقبة لهذه الخارطة تحمل الأسماء العبرية التي تم إطلاقها على الأماكن الفلسطينية. وفي العام ١٩٩٦ صدر في إسرائيل" أطلس الطرق "بمقياس رسم ١:١٠٠.٠٠٠على شكل كراس مكون من نحو ١٠٠ صفحة متضمنًا بالمثل الأسماء العبرية للطرق والمعالم المذكورة في هذا الأطلس.

٤) تقدمت إسرائيل إلى " المؤتمر الدولي لتوحيد المصطلحات الجغرافية " - المنعقد في جنيف (٤-٢٢/ ٩/ ١٩٦٧)- بمذكرة تضمنت محاولاتها لإحلال أسماء عبرية محل الأسماء العربية الأصلية للمواقع العربية في فلسطين. وتعاونت إسرائيل مع الهيئات الدولية ودور نشر الأطالس والكتب الجغرافية في العديد من المؤسسات المنتشرة في دول العالم لتكريس ذلك الإحلال.

٥) أولت المؤسسة الصهيونية الحاكمة اهتمامًا كبيرًا للتعامل العام مع مسألة التسميات، واعتبرت عملية تهويد الأسماء " مهمة قومية "، لا فرق في ذلك بين أسماء المعالم وأسماء الأشخاص الذين وجهت الدعوة إليهم لاستبدال أسمائهم، وفي بعض الحالات اشترط ابن غوريون للتطوع في الجيش وفي الترقية تغيير الاسم.

وانسجامًا مع ذلك، جرى إعداد أطالس وموسوعات إسرائيلية تضمنت تسميات عبرية لغالبية معالم البلاد، منها مثلًا: أطلس إسرائيل - الموسوعة اليهودية - موسوعة الصهيونية وإسرائيل - كل البلاد / المعجم الجغرافي لإسرائيل - الدليل السياحي / بمختلف اللغات، وغير ذلك من الكتب والمؤلفات والأعمال الدعائية التي نشرت في فلسطين المحتلة وخارجها.

٦) ركز المسئولون في وسائل الدعاية الصهيونية المقروءة والمسموعة والمرئية على استخدام الأسماء العبرية الجديدة للمواقع والأماكن في البلاد وفي الضفة

والقطاع وعدم استخدام الأسماء العربية. وتم تجديد الأوامر بين حين وآخر، ومنها مثلًا التعليمات التي أصدرها مدير عام هيئة البث أرييه ماكل بهذا الخصوص في أيلول / سبتمبر ١٩٩٠، وعلى سبيل المثال يجب أن يقال: قرية هشيلوح وليس قرية سلوان. ويومها أثارت المسألة انتقادات لدى بعض الأوساط الإسرائيلية، منها قول داني روبنشتاين (المتخصص بالشؤون الفلسطينية): إن تنفيذ هذه التعليمات سيعني دعوة للحرب ونوعًا من الرغبة في الانتقام ومحاولة لطمس أو نفي الوجود الشرعي للأماكن العربية. كذلك فإن توقيت صدور تلك التعليمات لم يكن اعتباطيًّا، بل كان مفاده أنه إذا لم يكن بالإمكان إبعاد العرب من هنا (الآن) فعلى الأقل لنبعد أسماء قراهم عن لغتنا.

وتكررت المسألة ذاتها عام ١٩٩٧، حين لجأت وزارة الداخلية إلى إطلاق أسماء عبرية على مجالس محلية لقرى عربية. واعتبر المستشرق يوسف جينات هذا الإطلاق من الأمور التي تبعث على الدهشة، وتساءل: هل الاسم العبري لقرية عربية يساهم في أمن إسرائيل؟! وسخر من اسم المجلس المحلي "زيمر" الذي أصرت وزارة الداخلية على إطلاقه ليشمل أربع قرى عربية في المنطقة الوسطى من البلاد.

٧) زعم الصهيونيون أن العديد من الأسماء العربية هي تحريف للأسماء العبرية القديمة، وأن ما قاموا به خلال عملية تهويد الأسماء هو بمثابة إعادة الأسماء الأصلية إلى المواقع. وحول ذلك خصص الباحث ميرون بنفنستي في كتابه " المقذوف والعصا " فصلًا كاملًا للموضوع، فأكد أن رسم خارطة وتحديد أسماء يعنيان عملًا لامتلاك شيء، وككل مجتمع مكوّن من المهاجرين، حاولنا أن نمسح من خارطة البلاد الأسماء الغريبة (لاحظ !!) ونثبت ملكيتنا بواسطة أسماء جديدة حملناها في قلوبنا طوال مئات السنين المهجرية. ثم يبلغ بنفنستي ذروة الاستهتار بالعقول قائلًا: " لقد صنع سكان البلاد العرب معروفا معنا وحافظوا على الأسماء القديمة. فكيف كنا سنعرف أين هي عنوت لولا عناتا، وكيف كنا سنجد شيلوح

لولا خربة سلوان ". وعلى المنوال ذاته، كرر الكثيرون انتحال الأسماء الكنعانية للمواقع والأماكن، وتقديمها كأسماء عبرية قديمة.

أنماط التسميات اليهودية / الصهيونية

في ظل الإدراك الإسرائيلي التام لأهمية التسمية ودلالتها الخاصة بمعالم البلاد، حرصت اللجنة الحكومية للأسماء على إشراك العديد من المؤسسات والهيئات والفعاليات الإسرائيلية في عملية التسمية. وأرادت هذه اللجنة ومشاركوها توفير عوامل الاقتناع الإسرائيلي العام بالأسماء الجديدة. لهذا روعيت في عملية التسمية اعتبارات كثيرة، تتعلق بالتاريخ المزعوم أو المتصوّر وبالقراءة المقولَبة أو التحريفية لمعطيات علم الآثار والتنقيبات (القديمة والجديدة)، كما تتعلق بدواع اجتماعية وسياسية وجغرافية، بطريقة تتضح فيها عملية استبعاد الأسماء العربية شكلًا ومضمونًا.

توزّعت التسميات الصهيونية للمعالم الفلسطينية وفق عشرة أنماط رئيسة - استطعنا رصدها - تنتمي إلى كل منها مئات الأسماء الموضوعة. وإذا كان من المتعذر، في هذا المقام، إيراد جميع الأمثلة المنتمية إلى تلك الأنماط، فإن انتقاء بعض العيّنات يفي بغرض التعريف الذي يتوخاه هذا العرض.

١- أسماء تناخية:

قسمت المؤلفات اليهودية الدينية والتاريخية أرض فلسطين إلى مناطق جغرافية/ إدارية، بالطريقة التي تحدث عنها التناخ (= العهد القديم) في سفر يشوع، أي: بين أسباط بني إسرائيل. وبهذا أقدمت تلك المؤلفات على إجراء مطابقة قسرية ومصطنعة بين الرواية التناخية وبين الأرض الفلسطينية، في وقت لم تُحسم فيه بعد مسألة " الجغرافية التاريخية للتناخ "، بل وتزداد باطّراد المسافة بين هذه الجغرافية المتصورة ومعطيات علم الآثار والتنقيبات العلمية المحايدة. وحسب ذلك التقسيم جرت تسمية المناطق الفلسطينية على النحو التالي:

المناطق الراهنة (بصورة تقريبية)	التسميات اليهودية
منطقتا حيفا وعكا، حتى الليطاني.	أشير
الجليل الشرقي بمحاذاة المنطقة السابقة	نفتالي
منطقة الناصرة وقسم من منطقة عكا.	زبولون
منطقتا طبرية وبيسان.	يساكر
مناطق جنين ونابلس وطولكرم.	منسي
منطقة رام الله.	أفرايم
منطقة القدس وشمالها.	بنيامين
منطقة اللد والرملة ويافا.	دان
منطقة جنوب القدس - الخليل.	يهودا
منطقة النقب الشمالي.	شمعون

وفي الخرائط والأطالس وشتى الكتب الإسرائيلية، أعطي العديد من أسماء الأماكن والمعالم الجغرافية الفلسطينية أسماء تناخية، إما بسبب ورود هذه الأسماء في "العهد القديم" أو بفعل التقدير أن الأماكن المسماة كانت مسرحًا لحدث معيّن حسب الرواية التناخية، وفيما يلي بعض النماذج:

الأسماء العربية	التسميات اليهودية الإسرائيلية
سهل حيفا / عكا	عيمق زبولون
وادي الحوارث	عيمق حيفر
مرج ابن عامر	عيمق يزرعيل
البحر الميت	يم هميلح (يم لوط)
بحيرة طبرية	يم كنيرت (يم هجليل)
بركة عطا (بين حيفا و حيفا)	بركة ياعار
نهر العوجا (يصب شمال يافا)	ناحل يركون

نهر المقطع (يصب شمال حيفا)	ناحل كيشون
وادي الحنداج (الجليل الأعلى)	ناحل ديشون
وادي غزة	ناحل بسور
عين تل القاضي (أقصى الجليل الشرقي)	عين ليشم
عين الحياة (الجليل الأسفل)	عين لبيدوت
عين الدفلة (شمال قيسارية)	عين طيفت
جبل الجرمق (منطقة صفد)	هار ميرون
جبل فقوعة (شرق العفولة)	هار جلبوع
جبل الدحي (قرب العفولة)	جفعات هموريه
هضبة الروحة (غرب مرج ابن عامر)	جفعات منشيه
تل الأسمر (بين الخضيرة و العفولة)	جفعات يوآتشياهو
جبل الرياحية (أقصى الجنوب)	هار يهو شفاط
جبال الخليل و نابلس	هاريم يهودا وشومرون
مدينة القدس	عير يروشلايم
مدينة الخليل	عير حبرون
مدينة نابلس	عير شكيم
مدينة جنين	عير جنيم

تجدر الإشارة هنا إلى أن الغالبية العظمى لأسماء الأماكن التي تزعم المصادر اليهودية أنها عبرية، هي أسماء كنعانية انتحلتها إسرائيل، كما في الأسماء السابقة، وغيرها مثل: يردن = الأردن، عكو = عكا، يافو = يافا، نصريت أونتسريت = الناصرة، عراد، عربة، نهلال، عدولام، الجليل.. إلخ.

٢- تسميات تلمودية:

أطلقت هذه التسميات على أماكن ورد ذكرها في المشنأ (والتلمود عمومًا) وكانت مستعملة في العهدين البيزنطي والروماني، ومنها مثلًا:

خربة نبرتين (في الجليل الأعلى):	خربة نبورياه
خربة المنارة (في الجليل الأسفل):	خربة منوريم
خربة المسكنة (في الجليل الأسفل):	خربة مشكنة
خربة اللجون (في مرج ابن عامر):	خربة عوتناي
خربة البيس (بين الخليل و بيت جرين):	خربة كفاربيش

وفي حالات أخرى أطلقت تسميات يهودية على أماكن فلسطينية (تخليدًا) لأسماء شخصيات ورد ذكرها في الرواية اليهودية لتاريخ البلاد. فمثلًا سمي جبل الشيخ مرزوق(جنوب غرب القدس): هار غيورا على اسم شمعون بارغيورا (أحد قادة التمرد اليهودي !! ضد الرومان). وسمي جبل العريمة (في منطقة الخليل) باسم هار هكنائيم (لذكرى المتعصبين اليهود الذين تمردوا ضد الرومان و تحصنوا في قلعة متسادا = مساده).

٣ - تسميات نسبة إلى حاخامات وأدباء:

من أمثلة ذلك:

- تسمية جبل حيدر (في الجليل الأعلى) باسم هار هآري / لذكرى رئيس حاخامات الكابالاه في صفد.

- تسمية عين الحمرة (جنوب صفد) عين همبيط / لذكرى الحاخام موشي مطراني الذي قيل: إنه عاش في صفد في القرن السادس عشر.

- تسمية عين التينة (في الجليل الأعلى) باسم عين يكيم / لذكرى حارس الكهنة الذي كان مقيمًا في صفد.

- تسمية عقبة أبو مدين (قرب حائط المبكى) باسم عقبة الشاعر يهودا هليفي.

٤- تسميات لرموز صهيونية:

من العينات التي تندرج تحت هذا النمط، ما يلي:

- جبل شرفة (غرب القدس): هار هرتسل، لدى نقل عظام مؤسس الصهيونية الأول إليه عام ١٩٤٩.

- تل عين الصابون (منطقة الحولة): تل روعيم، لذكرى مجموعة الرعاة الصهاينة الذين أسسوا مستعمرة تل حاي.

- هضبة أبو خنزير (منطقة الحولة): جفعات هائيم، لذكرى هنريتا زولد التي يلقبونها " أم هجرة الشبيبة ".

- عين رواحنة (منطقة الحولة):عين هشومير، على اسم منظمة الحراس تساوي هشومير الصهيونية.

- عين عبده (منطقة الحولة): عين هليل، لذكرى طبيب صهيوني من المهاجرين الأوائل.

- عين الرصيف (منطقة الحولة): عين هاروفيه، لذكرى طبيب صهيوني عمل في مجال البيئة و الصحة بالمنطقة.

٥- تسميات لمحاربين صهاينة:

- من الأمثلة على ذلك، ما يلي:

- جبل قليلة (جنوب مرج ابن عامر): هار جيبوريم تساوي (الأبطال) لذكرى المحاربين الصهاينة الذين سقطوا هناك عام ١٩٤٨.

- تل أوقية (في الجليل الغربي) جفعات همشوريان، لذكرى معركة خاضها محاربون صهاينة في حرب ١٩٤٨.

- جبل رأس أبو رديحة (شرقي النقب): هار أرنون على اسم أحد المحاربين الذين سقطوا خلال احتلال المنطقة عام ١٩٤٨.

- في جبال القدس: هار هاغناه؛ لأنه كان مكان تدريب سري لعصابات الهاغناه أيام الانتداب، وتل هطياسيم (الطيارين) لذكرى سقوط ٦ طيارين صهاينة قُتلوا خلال حرب ١٩٤٨.

- عين السمن (الجليل الشرقي): عين شمونه، لذكرى قتلى مستعمرة تل

حاي الثمانية.

- عين البيضا (الجليل الغربي): عين كو فشيم، لذكرى الصهاينة الذين احتلوا قرية حانوتا العربية وهجّروا سكانها العرب أيام الانتداب البريطاني.

٦ - تسميات منسوبة لمستعمرات صهيونية:

أطلقت إسرائيل على المستعمرات التي أنشأتها أسماء خاصة بنفس الطريقة التي انتهجتها في تسمية المعالم الفلسطينية، ومحت من الخرائط غالبية أسماء القرى العربية التي أقيمت تلك المستعمرات على أراضيها. وعمدت إلى نسبة معالم أو مواقع فلسطينية إلى المستعمرات الصهيونية، وهنا بعض الأمثلة:

- تل رخمة (النقب): جفعات يروحام، نسبة إلى مستعمرة في المنطقة.

- في منطقة الحولة، عين أبو جال: عين مرجليوت، عين ديبة: عين لهفوت، عين مأمون: عين جونين، وذلك نسبة إلى مستعمرات في المنطقة

٧ - تسميات محرّفة عن العربية:

حسب هذا النمط، جرى تحريف الأسماء العربية لمعالم، واستخدمت عوضًا عنها ألفاظ عبرية، مع إبقاء بعض الحروف الأصلية في هذه الألفاظ.. أمثلة:

جبل أباريك	(النقب الجنوبي):	هار برك
جبل الدرج	(النقب الجنوبي):	هار درجا
جبل الرحمة	(النقب الأوسط):	هار رحاماه
جبل طوال النفخ	(النقب الأوسط):	هار نفحاه
تل أبو هريرة	(منطقة غزة):	هارور
تل الشريعة	(منطقة غزة):	سيرع
تل سيحان	(منطقة غزة):	شيحان
تل المالحة	(منطقة بيسان):	ملحاه

٨ - تسميات مترجمة إلى العبرية:

تم حسب هذا النمط الحفاظ على التسميات العربية، لكن ترجمت معانيها إلى

العبرية، وأطلقت الأسماء المترجمة بلفظها العبري (وأحيانًا مع تحريف بسيط) على المعالم الفلسطينية. أمثلة:

جبل جرادة (النقب):	هار جوفاي	(=جرادة)
جبل رجم القناصية (النقب):	هار تسياد	(=قناص)
جبل الراكب (النقب):	هار ريخف	(=مركبة)
جبل السويدي (النقب):	هار شحوروت	(=أسود)
جبل رجم الضبعة (النقب):	هار تسافواع	(=ضبعة)
وادي التبان (النقب):	تيفن	(=تبن)
تل رحيب (الجليل الأعلى):	هار راحيف	(=واسع)
تل القنيطرة (منطقة غزة):	تل كيشت	(=قنطرة)
عين غزال (سهل الكرمل):	عين إيالاه	(=غزاله)

٩- تسميات حسب طبيعة المكان:

أخذت التسميات المنتمية إلى هذا النمط من واقع الأماكن و أبرز سماتها الخاصة. ويتمثل عنصر التهويد في هذه الحالة بإطلاق ألفاظ عبرية على موجودات الأماكن... أمثلة:

- منطقة السهول المتاخمة من جهة الغرب لجبال الخليل، سميت هشفيلا تساوي (المنخفضة).

- جبل رأس الرب (منطقة القدس): هار أوراه (على اسم نبات الجرجير المنتشر في المنطقة).

- عين العنكليت (الجليل الغربي): عين يراك (على اسم نبات حول النبع).

- عين أم عامر (منطقة الحولة): عين أجمون (على اسم نبات موجود في المنطقة).

- وادي مكلك (يصب في البحر الميت): أوج (على اسم نبات السماق الشائك الذي ينمو بين صخور المنطقة).

١٠- تسميات لزعماء إسرائيليين أو أجانب:

ارتبطت هذه الحالة بموت زعماء إسرائيليين أو أصدقاء لإسرائيل، فمثلًا أطلق اسم الوزير موشي حاييم شابيرا على تل المشارف في القدس، وأطلق على منطقة مجاورة لباب الأسباط -أحد أبواب المدينة القديمة- اسم شارع مردخاي غور. كما سميت مستوطنات وغابات وشوارع ومواقع مختلفة على هذا النحو، و من الشخصيات التي استخدمت أسماؤها: وإيزمن، ابن غوريون، إشكول، بلفور، ترومان... إلخ.

لدى استعراض قوائم التسميات الإسرائيلية، يلاحظ المدقق وجود حالات تسمية غامضة يصعب التكهن بالمغزى أو السبب الكامن وراء إطلاقها. لكن الأمر بالنسبة للجنة الحكومية للأسماء معلَّل، ويمكن الجزم بأنه جاء نتيجة اقتراحات مدروسة و حيثيات ونقاشات أسفرت في النهاية عن تبلور تلك الحالات.

على أي حال، مهما تعددت أنماط التسميات المعتمدة في تهويد أسماء الأماكن الفلسطينية، يجدر التأكيد على أن الاسم العربي يثبت الوجود العربي والهوية العربية للمكان، و أن التهويد عمل عدواني يتوخى طمس الوجود و الهوية في إطار السعي إلى تهويد البلاد برمّتها. هذا بالإضافة إلى أن التسميات الإسرائيلية، عبر أخذها بالأساطير والترّهات و التلاعب بالعقول، قامت بعمليات مسخ و تزييف للواقع، و انتزعت من البلاد روحها الحضارية و تألقها التاريخي الحقيقي.



التسميات والتراث الوطني الفلسطيني/ صراعيًّا

لقد أوجدت الصهيونية وكيانها في فلسطين المحتلة، خارطة للبلاد انطوت على بنى وسمات مغايرة لهويتها القومية، وتحولت عبرها العلاقة بين المكان ومحيطه العربي من وضعية التوافق والتآلف إلى حالة التضاد والتنافر. وشكل هذا الأمر تحديًا بالغ الخطورة، ليس فقط للوجود العربي الفلسطيني في البلاد، وإنما أيضًا لطبيعتها الحضارية وذاكرتها التاريخية.

ولم يعد خافيًا كيف يطبق الصهيونيون قانون التغييب السكاني والحضاري على التراث الوطني الفلسطيني، وكيف ينتحلون هذا التراث بما يناسب ادعاءاتهم وتوجهاتهم. فيما يطمسون منه ما لا يستطيعون تزييفه ونسبته إليهم، بهدف تفكيك الشخصية الفلسطينية وإلغاء خصوصيتها. لماذا؟! لأن هذه الشخصية راسخة بمكوناتها وخصائصها واستمراريتها. ناهيك عن كونها أصيلة وصدامية مارست جميع أشكال الصراع مع الصهيونية، ووطنية تجسدت بالدفاع عن الهوية وبالموقف الموحد من قبل المسلمين والمسيحيين في مواجهة العدو، وتوحيدية: -على مستوى فلسطين ومحيطها المباشر والوحدة العربية ككل-.

إزاء التحدي الصهيوني، يغدو من المهم التركيز على التراث الشعبي الفلسطيني، باعتباره أحد مكونات الشخصية الوطنية الفلسطينية الحية، خاصة وأن هذا التحدي يتضافر مع الآثار السلبية للعولمة الثقافية التي تحاول الهيمنة على الخصوصيات الوطنية والقومية، وتقزيم التمايزات وتغطية الملامح والسمات المعبرة عن أي هوية مستقلة. يضاف إلى هذا أن التركيز على قيمة المسألة التراثية بالنسبة لشعب فلسطين وقضيته، يأتي موضوعيًا من واقع ديمومة ارتباط هذا الشعب بوطنه، وضرورة تغذية الحقيقة القائلة إن التراث الفلسطيني لم يكن له أن يتكوّن لولا الصلة الوثيقة للإنسان الفلسطيني بأرضه وتاريخه وحضارته. وبهذا المعنى، إن الحفاظ على هذا التراث هو حفاظ على أحد المقومات الرئيسية لخصائص الوطن الفلسطيني وهويته القومية/ الإنسانية. ذلك أن التنصل من الماضي، في الموضوعات

المتعلقة بفلسطين، واقعًا وحضارةً، يُعدُّ جريمة تتكامل نتائجها مع العمليات لاغتصاب البلاد وتهويدها.

من المهم الإشارة هنا إلى أن وضع التراث على قائمة أولويات العمل الوطني/ القومي، لا ينبع من رغبة رومانسية مجرّدة بإحياء الماضي أو إعادته من حيث هو ماضٍ، وإنما المسألة هنا تتعلق بفعل وطني - إنساني يشكل جسرًا لتقرير المستقبل وفق عملية التطور التاريخي، وفي ضوء هذا التحديد لدور التراث، ثمة ما يدعو إلى تقريب الماضي من الحاضر في سبيل المستقبل، بعيدًا عن الإغراق في سحر الماضي وجاذبيته، وبعيدًا عن رفض الماضي بذريعة المعاصرة، لهذا فالبحث عن التراث بأبعاده المختلفة من أجل إعادة اكتشافه هو - كما يقول د. سامي مرعي - ضروري لتجديد الشخصية الحضارية والوطنية؛ لأن هذا التراث نما على أرض، على وطن. ولكن هذا شرط غير كاف مع أنه ضروري، فإذا توقفنا عند بحث التراث وتدوينه نقع في شبكة العقم الفكري التاريخي المتحفي، بينما المطلوب أن يكون هذا البحث خطوة تقود إلى خطوات أخرى، في سبيل ربط التراث بالواقع، وفق دينامية التطور العلمي المدروس، في سبيل مستقبل يعكس وجودًا فكريًا وماديًا غير مشوه وغير مبعثر.

ضمن التراث الوطني الفلسطيني، ثمة حضور لأسماء المعالم الفلسطينية يعكس جانبًا مهمًا من هوية البلاد، ذلك أن هذه الأسماء ليست إشارات عابرة تتعلق بالمكان، بل هي تعبير عن الارتباط الموغل في القدم بهذا المكان. إنها تحمل نبض المكان وتاريخه، لاسيما أنها صدرت بالأصل عن صورة جماعية للواقع. وفي وضعية كهذه، تؤدي الأسماء عدة وظائف دفعة واحدة: اجتماعية - نفسية - عاطفية، قيمية، معرفية، تربوية، نفعية... إلخ. وعلى هذه الوظائف تدور المعركة مع الكيان الصهيوني بشأن عملية تغيير أسماء المعالم الفلسطينية، لتؤدي الأسماء الجديدة الوظائف ذاتها، لكن في الدائرة اليهودية.

إن أحد المنطلقات المنهجية لعملنا هنا، هو أن الكيان الصهيوني قوة محتلة،

وبالتالي لا يحق لهذه القوة إجراء تغييرات تستهدف طمس التراث الثقافي للشعب الواقع تحت الاحتلال أو الذي طرد من بلاده بسبب هذا الاحتلال، وعند هذه النقطة تعود المسألة بطبيعة الحال إلى صراع بين المطلق والمطلق، بين النافي والمنفي، بين نقيضين لا سبيل لتآلفها، تمامًا كما يتعذر الانسجام بين الظلم والعدالة. لقد بنوا مستعمرات على الأرض العربية واستحدثوا بنى واصطنعوا هيئات ومعالم جديدة، ثم قاموا بتسميتها، هذا شأنهم طالما أن يتم تناول المسألة من زاوية اغتصاب الأرض برمَّتها، لكن تهويد الأسماء الثابتة على الخرائط وفي الذاكرة أمر يمثل بحد ذاته اعتداءً على الشخصية الفلسطينية وعلى الهوية العربية للبلاد. وأمام اعتداء كهذا نحن جميعاً مدعوون إلى حماية أسماء معالم البلاد من الضياع والاندثار، مدعوون إلى إحيائها في سبيل توثيق الصلة بين الأرض وشعبها، وتعزيز الترابط بين ماضي هذا الشعب وحاضره ومستقبله. هذه هي كلمة السر في إعادة الاعتبار إلى الأسماء العربية، ورفض عمليات التهويد الصهيونية.



التحذير من المصطلحات اليهودية (١)

عمد اليهود الملاعين إلى محاولات تهويد بعض المصطلحات عن طريق إيجاد مصطلح آخر بعيد كل البعد عن الإسلام محاولين صبغ الدولة بالعبرية والشرعية فاحذروا هذه المصطلحات وحذروا منها أولادكم وأهليكم واعملوا على التحذير منها:

الشرق الأوسط

مصطلح يهودي أطلق على: «المشرق الإسلامي» الذي حاول اليهود تبديله وحذف كلمة «الإسلامي» لإفساح مكان للكيان اليهودي في المنطقة العربية، فهم يأملون أن تتحقق دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، فأرادوا أن يفسحوا مكانا لهم بهذه الطريقة، وتكييف المواطن العربي على تقبل العدوان اليهودي، وأصبحت تبث ذلك في الإعلام، وتطور الأمر حتى وصل إلى «التراث العربي» وأصبح: «تراث شرق أوسطي»، حتى استخدمته مراكز الدراسات العربية والإسلامية.

دولة إسرائيل

مصطلح يهودي أطلق على: «الكيان اليهودي»، وحوّل هذا إلى «دولة إسرائيل» للاعتراف بدولتهم وأحقيتها في الوجود في تلك الأرض المغتصبة، وتطبيع المواطن العربي المسلم على تقبل هذا من خلال إعلامهم الفاسد أو الشرعية الدولية، بل والقانون الدولي الذي أصبح دارسوه معترفين بالكيان اليهودي، وقد نجحوا في جعل كثير من الدول تعترف بهم كدولة لا كمحتل مغتصب.

التطبيع

مصطلح يهودي أطلق على: «الاستسلام»، والتطبيع هو تحويل الأمر الطارئ أو الجديد إلى أمر طبيعي ملزم في حياة الإنسان، وساعدهم في ذلك إعلامهم الذي جعل التعايش معهم هو مفتاح الأمن والاستقرار والسلام والرخاء «السلام العادل والشامل»، تلك العبارة التي سئمنا من سماعها من كل جبان، والتاريخ يبين لنا أن

---

(١) من عدة مقالات وأبحاث لمركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

اليهود لا يعرفون العهود ولا المواثيق وقد قال الله تعالى: ﴿ **أفكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم** ﴾، ولم ينتصر المسلمون مرة في التاريخ بالتطبيع هذا، وما ينادي به بعض القادة إنما سببه ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ينزع الله المهابة من قلوب أعدائكم ويلقي في قلوبكم الوهن».

المطالب الفلسطينية

مصطلح يهودي أطلق على: «الحقوق الفلسطينية» فجعلوها مطالب، يريد جعل المسلمات محل نقاش، والحقوق محل نظر؛ لأن الحق ثابت لا يتغير أما المطلب فهو مجرد رغبة مشروعة أو غير مشروعة أي ليس حقًّا.

عرب إسرائيل

مصطلح يهودي أطلق على: «فلسطينيو مناطق الـ ٤٨» أطلقت اليهود كلمة عرب إسرائيل على من بقى من العرب في المناطق التي احتلتها اليهود سنة ١٩٤٨م، وجعلهم أقلية غير منسجمة بلا قومية ولا انتماء لهم ولا هدف، كما أطلقوا على فلسطين «أرض بلا شعب»، وبذلك طبقوا المثل القائل: "فرق تَسُد"

أرض المعاد

مصطلح يهودي أطلق على: «أرض فلسطين» وأطلقوا عليها أيضًا: «الأرض الموعودة لجلب العنصر اليهودي إلى أرض فلسطين، أو أرض إسرائيل ولم يضعوا لها حدودًا، أو أرض المعَاد التي سيعودون إليها»، وحرفوا التوراة لخدمة هذا الكذب مثل ما جاء في سفر التكوين (١٥/ ١٨) أن الإله قد قطع مع إبراهيم عهدًا قائلا: «لنَسْلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».

حائط المبكي

مصطلح يهودي أطلق على: «حائط البراق» ويقع في الجزء الجنوبي الغربي من جدار المسجد الأقصى المبارك، زعم اليهود أنه الجزء المتبقي من الهيكل المزعوم، وتأخذ طقوسهم وصلواتهم عنده طابع النواح والعويل على الأمجاد المزعومة. وقد أقرت الأمم المتحدة عام ١٩٢٩م: على أحقيقة المسلمين للحائط الغربي، وأنه جزء لا

يتجزأ من ساحة المسجد الأقصى المبارك. والآثار التي تحته آثار إسلامية لا صلة لليهود بها.

يهودا والسامرة والجليل

مصطلح يهودي أطلق على: «فلسطين المحتلة»، أطلقوا عليها: «يهودا والسامرة والجليل» لتسويغ عملية الضم، ولإيجاد تاريخ وثقافة وحضارة لهم على أرض فلسطين، كما قاموا أيضًا إلى تقسيم فلسطين إلى ثلاثة مناطق متقطعة «الضفة الغربية والقطاع ومناطق ٤٨» ليسهل عليهم التعامل مع تلك المناطق وتطبيق سياسة التهويد والاستيلاء.

المهاجرون اليهود

مصطلح يهودي أطلق على: «المحتلون اليهود» وفي الحقيقة ما هو هجرة بل استعمار إحلالي بمعنى: انتقال كتلة بشرية من مكانها إلى مكان آخر، وطرد السكان والمواطنين الأصليين. ويريدون إبعاد صفة الاغتصاب والاحتلال لأرض فلسطين، والعيش، وإقامة المستعمرات، وغصب الأراضي، وساعدهم في ذلك بريطانيا وأوربا ليتخلصوا من مشاكلهم.

الإسرائيليون

مصطلح يهودي أطلق على: «اليهود» حول إلى إسرائيل بعد إعلان اليهود قيام دولتهم في ١٤ مايو ١٩٨٤م، وأصبح اليهودي يأخذ مُسَمَّى «إسرائيلي» وجنسيته «إسرائيلية» ومجموع شتاتهم على أرض فلسطين المغتصبة «إسرائيليون». وأخذوا كلمة إسرائيل المكونة (إسر+ إيل) ومعناها: عبد الله، وهي اسم لنبي الله يعقوب عليه السلام، وأنهم من سلالته كما يدعون، فانتسبوا إليه.

الإرهاب والعنف الفلسطيني

مصطلح يهودي أطلق على: «الجهاد ومقاومة الاحتلال» فقد وصف الإعلام اليهودي الجهاد ومقاومة المحتل بالإرهاب والعنف لنزع صفة الشرعية عن تلك المقاومة، وتهييج الإعلام العالمي على كل من يُقاوم الكيان اليهودي المغتصب لأرض

فلسطين ليعطوا لأنفسهم الحرية لوقف هذا الاعتداء عليهم بشتى وسائل الظلم والعدوان على الفلسطينيين. وأصبحت المقاومة عنفًا وإرهابًا، واستعانوا بالحماية والشرعية الدولية في محاربة ما يدعون أنه إرهاب، وللأسف تساعدهم كثير من وسائل الإعلام العربية.

النزاع الفلسطيني الإسرائيلي

مصطلح يهودي أطلق على: «الصراع مع اليهود» أطلق عليه اليهود النزاع الفلسطيني الإسرائيلي لتخفيف حدة الصراع والحرب القائمة على أرض فلسطين، مما يوحي للعالم أن المشكلة ضئيلة يمكن حلها على طاولة المفاوضات!! فبعد أن كانت حرباً وجهاداً وصراعاً بين المسلمين واليهود، أصبحتْ صراعًا بين العرب وإسرائيل.

معتقل فلسطيني

مصطلح يهودي أطلق على: «أسير فلسطيني» لتحويل الأمر من كونه أسر بيد الأعداء إلى خروج عن القانون، واستحقاق العقوبة لهذا الجرم، والأصح أنه أسرٌ لا اعتقال ما دام الاحتلال قائماً والحرب مستمرة.

الأرض مقابل السلام

مصطلح يهودي أطلق على: «الاستسلام مقابل السلام» وهو يعني الاستسلام وهو قبول العرب والمسلمين الكيان اليهودي كدولة مستقلة ذات حدود آمنة، ويعني الاعتراف بحقوق اليهود في فلسطين والاعتراف بالمحتل وإعطائه الأمن والأمان.

العمليات الانتحارية

مصطلح يهودي أطلق على: «العمليات الجهادية»، وهي امتداد لتحريف «الجهاد ومقاومة الاحتلال» إلى «الإرهاب والعنف الفلسطيني» فبدلوا العمليات الجهادية [وهي محل قبول أو رفض بين علمائنا وفقهائنا] بالعمليات الانتحارية أي أنها بلا فائدة، ويحاولون أخذ صفة الدولة التي تحافظ على الأمن والأمان، بل

وينشرون فتاوى إسلامية تمنع تلك العمليات.

جيش الدفاع الإسرائيلي

مصطلح يهودي أطلق على: «قوات الاحتلال اليهودي»: يطلق اليهود كلمة الدفاع أي أنه يدافع عن حقوقه وأرضه وشعبه وتاريخه ومقدساته يحاول بذلك إلغاء صفة الحرب والاغتصاب، وأخذ الأحقية في الدفاع عن نفسه. والحقيقة هو جيش اعتداء واغتصاب وقتل وتشريد وإرهاب، والواقع يشهد بذلك فهم ما زالوا يعتدون على المقدسات وعلى الآمنين من الشيوخ والأطفال، بل حتى على المقابر، وما ذلك إلا بسبب الحقد اليهودي على كل ما هو إسلامي.

المستوطنون اليهود

مصطلح يهودي أطلق على: «المغتصبون اليهود» يحاولون تلطيف وتحريف ما يقومون بفعله من اغتصاب فيسمونه «استيطان» على الرغم من قهرهم وظلمهم، فالحقيقة أنهم جاءوا إلى فلسطين محاربين مغتصبين، فطردوا أهل فلسطين بالعنف والقهر وسموا أنفسهم مستوطنين أصحاب سلم وعدل، ولا أدري أي عدل هذا الذي ينبني على جثث وأشلاء الفلسطينيين؟!

المستوطنات الإسرائيلية

مصطلح يهودي أطلق على: «المستعمرات اليهودية» وهو امتداد للمصطلح السابق فالمستعمرة تعني الاستيلاء على الأرض، وطرد أهلها والتمتع بخيراتها، وإحلال المغتصب مكان أصحاب الأرض، اضطروا إلى تحريفها لارتباطها بحركة الهجرة اليهودية، فاعتبروا الاستيطان جزءًا من المخطط اليهودي الصهيوني الاستراتيجي العسكري.

جبل الهيكل

مصطلح يهودي أطلق على: «جبل بيت المقدس» فهو هضبة الحرم المقام عليه المسجد الأقصى ومسجد قُبة الصخرة والأوقاف الإسلامية، فزعموا أن تلك البقعة قد شيد عليها الهيكلان الأول والثاني ليتجنبوا تسميته بجبل بيت المقدس ويدعون

القداسة الخاصة. وهي امتداد لنزع الصفة الإسلامية عن أرض فلسطين.

هيكل سليمان

مصطلح يهودي أطلق على: «المسجد الأقصى» امتداداً للمصطلح السابق، فيزعمون أن المسجد الأقصى هو مكان المعبد الذي بناه سليمان عليه السلام، فيطلقون عليه وعلى مسجد قبة الصخرة: «هيكل سليمان» للتهيئة والعمل لهدم المسجد الأقصى، وهو مخالف لما جاء في مصادرنا الإسلامية أن ما قام به سليمان عليه السلام هو تجديد المسجد الأقصى وليس بناء الهيكل.

مدينة داود

مصطلح يهودي أطلق على: «القدس الشريف» فأطلقوا عليه مدينة داود لترسخ في الأذهان أنه مدينة يهودية بناها الملك داود -لاعتقادهم أن داود عليه السلام ملكٌ وليس نبيًّا- وأنه لم يعرف القدس إلا بعد داود عليه السلام، وهذا افتراء وكذب.

اسطبلات سليمان

مصطلح يهودي أطلق على: «المصلى المرواني» في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى المبارك، خصصه عبد الملك بن مروان مدرسةً فقهية متكاملة، وعند احتلال الصليبيين للمسجد الأقصى استخدموه مربطًا لخيولهم ودوابهم وأطلقوا عليه: «اسطبلات سليمان».

قدس الأقداس

مصطلح يهودي أطلق على: «صخرة بيت المقدس» بهدف ربط تلك الصخرة الموجودة داخل أسوار المسجد الأقصى بالهيكل المزعوم، وأنه أقدس بقعة في المعبد المزعوم، ويزعمون أن تلك البقعة هي وسط الدنيا تمامًا، وأن الإله (يهوه) تكلم وأعطى المشورة والوحي لليهود في تلك البقعة!!.

الحوض المقدس

مصطلح يهودي أطلق على: «البلدة القديمة» وهو مصطلح حديث يقصد به

المنطقة التي تقع داخل أسوار مدينة القدس القديمة وأنه ضمن المقدسات اليهودية في البلدة القديمة وجبل بيت المقدس.

القدس الكبرى

مصطلح يهودي أطلق على: «القدس المحتلة» لتوسيع القدس بفضل تخطيطهم الاستعماري وحدوده الغربية (تل أبيب)، والجنوبية باتجاه حلحول والخليل، والشمالية إلى ما وراء رام الله، والشرقية أريحا، وذلك لتطويق الأحياء العربية في المدينة القديمة وفصلها خارج السور لدفعهم إلى الهجرة خارج المدينة.

حارة اليهود

مصطلح يهودي أطلق على: «حارة المغاربة وحارة الشرف» قام اليهود بعد احتلال مدينة القدس بالاستيلاء على حائط البراق ودمروا حارة المغاربة وتم تسويتها بالأرض وشردوا سكانها، ثم طردوا سكان حارة الشرف وأسكنوا فيها اليهود.

الكنيست الإسرائيلي

مصطلح يهودي أطلق على: «المجلس النيابي للكيان اليهودي».

فكلمت «كنيست» لها مرجعية دينية يهودية مأخوذة من «هكنيست هغدولا» أي المجلس الأكبر، الذي يزعمون أنه كان بمثابة الهيئة التشريعية لليهود في بداية عصر الهيكل الثاني. فيحاولون ربط البرلمان اليهودي كهيئة تشريعية بالهيكل المزعوم لربط اليهود بتلك الأرض، ونزع الصفة الدينية عنها.

حرب الأيام الستة

مصطلح يهودي أطلق على: «حرب عام ١٩٦٧م» احتل فيها اليهود: الجولان وقطاع غزة والضفة الغربية وسيناء، يحاولون تشبيه فعلهم بفعل نبي الله يوشع عليه السلام عندما شن حرب الستة أيام على أعدائه، وظل يحاربهم حتى حل مساء الجمعة، فأطلقوا على تلك الحرب ١٩٦٧م حرب الأيام الستة ليربطوا معاركهم بأسماء دينية.

نجمة داود

مصطلح يهودي أطلق على: «النجمة السداسية»، والنجمة السداسية ليس لها جذور يهودية أو عبرية ولكنها وجدت على جدران المعابد القديمة مع عدد من النجوم الخماسية والصلبان المعقوفة وغير ذلك من النقوش، وهناك العديد من الكتابات والأصوات اليهودية تقلل من أهمية هذا الرمز، بل تدعو للتخلي عنه واستبداله برمز آخر لعدم وجود جذور ودلالات يهودية لهذا الرمز، فحاول بعض اليهود إضفاء الصبغة التوراتية على النجمة السداسية لأنها كانت محفورة على درع الملك داود، وهذا ليس له أصل في المصادر التاريخية، ولا حتى اليهودية..



ماذا عن المواجهة؟!

إن تحديًا خطيرًا بحجم الإجراءات الإسرائيلية المتخذة لطمس عروبة فلسطين وتزييف هويتها الحقيقية، يستدعي مواجهته على المستويين: الجماعي، والفردي. وإذا كانت عملية المواجهة لم تحدث بالقدر المطلوب، إلاّ أن ما ظهر من أنشطة يعدُّ نواة مناسبة لبناء قلعة تحمي التراث الفلسطيني والأسماء الفلسطينية من التهويد والانتحال. وننوه هنا بالأفكار والمشاريع والأعمال التالية:

١ - اجتماع حلقة الخبراء العرب في بيروت (٢٣-٣١/ ٨/ ١٩٧١) لتوحيد أسماء المواقع الجغرافية في الوطن العربي بإشراف الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. ويومها شكلت ثلاث لجان، إحداها " لجنة فلسطين " التي كانت مهمتها مناقشة ما تقوم به إسرائيل من تغيير لأسماء المواقع الجغرافية في الأرض المحتلة. وقد شارك مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في أعمال هذه الحلقة، وقدَّم مذكرة تتضمن قائمة شاملة للمواقع الفلسطينية التي غيرت السلطات الإسرائيلية أسماءها إلى أسماء عبرية، مع ذكر الاسم العربي الأصلي لهذه المواقع. كما قدم المركز مجموعة من الدراسات والكتب والخرائط التي صدرت عنه بهذا الخصوص. وثمة حاجة للتوقف عند توصيات هذه اللجنة لأهميتها، وهي:

١- تحقيق بالأسماء العربية الدقيقة للأعلام الجغرافية في فلسطين حتى منتصف أيار ١٩٤٨ وبالأسماء الحالية المحرَّفة.

٢- تشكيل لجنة تضم خبراء في الجغرافيا والخرائط واللغويات وشؤون فلسطين تتولى هذه المهمة، وتحال نتائج عملها إلى م. ت. ف لإبداء الرأي، ثم تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بنشر هذه النتائج على الصعيدين العربي والدولي.

٣- تسجيل الأعلام الجغرافية المحققة على خارطة مليونية، ثم على خارطة بمقياس ١: ٢٥٠٠٠٠، ثم على ثالثة منفصلة بمقياس ١: ١٠٠٠٠٠ بحيث تصبح هذه الخرائط مرجعًا علميًا وتراثيًا وجغرافيًا لفلسطين العربية.

٤- تقوم الإدارة الثقافية بتعميم قوائم الخارطة المليونية التي راجعتها لجنة فلسطين وصححتها على البلاد العربية، وإرسال نسخ منها إلى " المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة " وإلى منظمة اليونسكو لتثبيت الأسماء العربية الأصلية وما يقابلها بالحروف اللاتينية.

تتصف هذه التوصيات بأهمية بالغة، وتمتلك من الشمولية والوضوح ما يجعل أي زيادة عليها (حتى بعد مرور عقود على اتخاذها) أمرًا يدخل في عداد التكرار. ومع ذلك ثمة حاجة للتذكير بضرورة إنجاز أو استكمال ما تحدثت عنه التوصيات. ونقتبس عن الكاتب والأديب الفلسطيني (علي الخليلي) تأكيد الحاجة إلى قاموس وطني شامل لكل الأسماء التي تكاد أن تموت وتندثر فعلًا، تحت ضغط الأسماء التي ابتدعتها إسرائيل.. قاموس يشرف عليه خبراء مختصون ويطبع بأداء متقن ويجري توزيعه إلى كل مكان في الوطن، و تلتزم به وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة.

٥- قيام مركز الأبحاث الفلسطيني بإصدار " بلدانية فلسطين المحتلة " من إعداد د. أنيس صايغ(عام ١٩٦٨) متضمنة العديد من الأسماء الفلسطينية / العربية للمواقع. وإصدار " موسوعة فلسطين الجغرافية " عام ١٩٦٩ للأستاذ قسطنطين خمّار الذي صدر له أيضًا (عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت عام ١٩٨٠) كتاب يتضمن أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨.

٦- التدقيق الذي قدمه الباحث فرج الله صالح ديب في كتابه " معجم معاني وأصول وأسماء المدن والقرى الفلسطينية " (الصادر عن دار الحمراء في بيروت / ١٩٩١). وفيه أكد أن تاريخ فلسطين أخضع للتزوير المتعمَّد، وغُرِّب الفلسطينيون واعتبروا غزاة من بحر إيجة، لحظة مارست الصهيونية سلاح الاقتلاع والنفي ومحو الذاكرة عبر تزوير الآثار وعبرنة أسماء الأماكن. وقد رصد المؤلف أسماء القرى والمدن والخرب / مع جذورها ومعانيها في القاموس العربي وما يماثلها من أسماء

قرى ومدن وعشائر في المحيط العربي واليمن خاصة. وخلص الباحث إلى النتائج التالية:

- أسماء القرى والمدن والخرب الفلسطينية، هي أسماء عشائر عربية.
- لا وجود لأسماء عبرية في فلسطين.
- غالبية أسماء القرى والمدن الفلسطينية تتردد في اليمن ولبنان.
- غالبية الخرب الفلسطينية، تحول أصحابها إلى عائلات في المدن والمناطق اللبنانية، أو شكلوا قرى بالاسم نفسه أحيانًا.

وأكد الباحث أن هذه العروبة الواضحة للأسماء الفلسطينية تكشف مدى الكذب والإسفاف في ما كتبه الغربيون عن تاريخ فلسطين، ومدى التزوير في إسقاط جغرافية التوراة على مناطق فلسطين وبلاد الشام عمومًا.

٧- تنظيم عدد من الندوات والمؤتمرات التي تناولت القضايا الثقافية والتراثية والتاريخية الخاصة بفلسطين، ومنها على سبيل الذكر:

- الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (في جامعة حلب)، أيلول / سبتمبر ١٩٨١.

- المؤتمر الأول للجمعية العالمية للحفاظ على التراث الثقافي الفلسطيني / تونس، أواخر العام ١٩٨٢.

- الندوة العالمية لدعم وحماية الثقافة العربية الفلسطينية في الأرض المحتلة بمبادرة من المجلس القومي للثقافة العربية بالرباط والحركة الثقافية لعموم اليونان / أثينا ٣/٣٩ - ١/ ١٩٨٦/٤. ويومها تحدث الأديب محمد علي طه -المقيم في فلسطين المحتلة- عن مسألة التهويد قائلًا: منذ السنوات الأولى أيقنًا نحن الذين بقينا منغرسين في وطننا أن حكومة إسرائيل - بعد أن أفشلنا بأجسادنا محاولاتها لاقتلاعنا من وطننا - أخذت تعمل جاهدة وبدهاء لخنق لغتنا العربية ومحو حضارة شعبنا العربي الفلسطيني وتراثه. وأضاف: نحن نعيش معركة ثقافية، ومن أجل بقائنا وبقاء أطفالنا، ومن أجل مستقبل شعبنا، وجدنا أنه ممنوع علينا أن نيأس، وممنوع

علينا أن نرتاح، وممنوع علينا أن نضعف. نحن نعيش ظروفًا خاصة،ظروف المواجهة طوال الأربع وعشرين ساعة في اليوم. عندما نرى أنهم بعد أن سلبوا شعبنا وطنه، أخذوا يسلبون تراثه ويمحون حضارته، كيف نيأس أو نضعف؟! أحيانًا كثيرة تخوض صحافتنا معارك من أجل اسم أو كلمة، نرى بها قضية وطنية من الدرجة الأولى. كيف لا عندما نسمع أو نقرأ أنهم يحولون اسم صفد إلى تسفات، واسم مرج ابن عامر إلى عيمق يزرعيل، واسم الخليل إلى حفرون.

٥ - العمل المتميز والرائد الذي أنجزه الباحث الجغرافي د. شكري عرّاف (المقيم في فلسطين المحتلة) وأصدره (عن دار الشفق في كفر قرع / ١٩٩٢) بعنوان: "المواقع الفلسطينية بين عهدين - خريطتين " وفيه أحصى المؤلف نحو ٢٧٨٠ موقعًا تم تغيير أسمائها، هي: ٣٤٠ قرية ومدينة، ١٠٠٠ خربة - ٣٨٠ عين ماء - ٥٦٠ واديًا ونهرًا - ١٤ بركة وبحيرة - ٥٠ مغارة - ٢٨ قلعة وحصنًا، وقصرًا - ١٩٨ جبلًا - ٢١٠ تلال. ويعد هذا المرجع - على حد علمنا - الأشمل بين كل ما كتب إحصائيًا وعينيًا عن تهويد أسماء المعالم الفلسطينية.

٦ - المبادرة القومية المسئولة التي صدرت عن مجمع اللغة العربية في القاهرة، بالإعلان (في نيسان/ إبريل ١٩٩٧) عن عزمه على مواجهة إجراءات التهويد الإسرائيلي لأسماء المواقع والأماكن التاريخية في القدس. حيث يعتبر هذا الإعلان مثالًا على الوعي العربي لمسألة الأسماء الفلسطينية.

... تشكل هذه المساهمات وسواها مكونات مهمة في مواجهة عمليات تهويد الأسماء الفلسطينية. بيد أن هناك حاجة لأنشطة على نطاق أوسع تنطلق بوقائع المواجهة إلى مختلف الأمكنة التي يصل إليها الخطاب التهويدي الإسرائيلي، وتسعى إلى سد جميع الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها إنها معركة حول الهوية والذاكرة، وفي معركة كهذه لا تملك الأمة أي خيار غير نشدان الانتصار.

عام ٢٠٠٦ هو الأخطر على القدس

الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى في عام ٢٠٠٦م هي الأخطر منذ عام ١٩٦٧م، فقد استغلت الحكومة اليهودية وبلدية القدس والجماعات اليهودية المتطرفة انشغال الساحة الفلسطينية حكومة ورئاسة وشعباً بأكمله بأنفسهم، وعمل بكل قوته لمسح كافة المعالم الإسلامية في القدس، ونفذ الكثير من الإنشاءات خلال عام ٢٠٠٦م لفرض الأمر الواقع على الأرض، فافتتح كنيس لصلاة اليهود أسفل وجوار المسجد الأقصى، ودشن المتاحف ليجعل له تاريخ من لا شيء، ووسع ساحة البراق التي جعلوها ساحة للمبكى على أمجادهم المزعومة... واعتمد إنشاءات جديدة وكأنهم في سباق مع الزمن لسلب المسجد الأقصى وتهويده، تم عرضها بالتفصيل في الحلقة الأولى من هذا المقال، وحيث إن الاعتداءات طالت جوانب عدة ينبغي الإشارة إليها والتنبيه على خطورتها والتي لم تهمل شيئًا نافعًا لتغيير الحقائق وفرضها أمراً واقعاً يصعب معه معرفة ما جرى وما يجري، فالتزوير طال كل ما هو إسلامي وعربي في بيت المقدس والبلدة القديمة في شرقي القدس، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

الآثار الإسلامية: تحريف وتزييف

من أساليب التحريف والتزييف في المدينة العمل على إزالة وطمس آثار القرى العربية واستخدام حجارتها في بناء المغتصبات اليهودية، فبلدية القدس تتجنب البناء بالأسمنت المسلح لكي يخيل للزائر أن هذا السور بني من قبل مئات السنين ولكي يعملوا على إعادة استخدام هذه الآثار في تركيب تاريخ يهودي مزور.

الآثار: سرقة وإهمال

إهمال الآثار في منطقة القدس والتغاضي عما يحدث فيها من نبش ونهب وسرقة في وضح النهار فقد أطلق الكيان اليهودي العنان للتجار اليهود لممارسة أبشع أشكال التجارة والسرقة غير المشروعة للمعالم الأثرية فلم تبق خربة إلا وعاث فيها اللصوص خرابًا وتدميرًا.

المعالم الإسلامية: طمس وتهويد

تتعمد حكومة الاحتلال أسلوب طمس المعالم الإسلامية وتهويدها ويعتمدون أكثر من نمط لطمس وتزوير المعالم الإسلامية في المدينة كنمط الإزالة كما حدث لدى حارة المغاربة ومسجد حي الشرف، وقد يعمدون إلى تحويل المسجد إلى كنيس يهودي كما في مسجد النبي داود حيث أقدمت السلطات اليهودية على إحداث تغيير في معالم المسجد، بعد إزالتها للكتابات القرآنية وما يحوى بأنه كان في الأصل مسجدًا. وقد يعمد إلى تحويل جزء من المسجد إلى كنيس كما حدث في مسجد النبي صموئيل شمال غرب القدس.

بلدية القدس وهدم منازل الفلسطينيين

كشف "مائير مرغاليت" منسق - الحركة الإسرائيلية ضد هدم البيوت- المناهض لسياسة هدم المنازل التي يمارسها الاحتلال أن بلدية القدس المحتلة رصدت ميزانية ٦٠٠ ألف دولار لهدم منازل يملكها فلسطينيون بحجة عدم حصولهم على رخصة بناء. وأوضح أنه خلال ٢٠٠٤ دمرت إسرائيل تسعة آلاف متر مربع من المنازل نحو ١٥٢ منزلًا في حين دمرت ١٢ ألفا خلال ٢٠٠٥ نحو ٩٠ منزلًا لكن هذه المنازل كانت أصغر حجمـًا.

وبلغ عدد المنازل التي دمرها الاحتلال في القدس منذ ١٩٦٧م لبناء المغتصبات والطرق المؤدية إليها «١٢ ألف منزل» ترك ساكنيها من الأسر الفلسطينية بلا مأوى، ومعظمهم من الفقراء ومتواضعي الحال، وما زال مسلسل الهدم والدمار مستمرا ليهود أكثر وعرب أقل.

وفي ختام هذا السرد لما يحاك للمسجد الأقصى ومدينة القدس ولتجنب الوصول إلى كارثة حقيقية تعطي المجال للجانب اليهودي باستغلال هذه الظروف في مدينة القدس خاصة داخل البلدة القديمة يجب اتخاذ الآتي:

تنسيق جهود المؤسسات والجهات الداعمة والمسئولة والمؤسسات الدولية والعربية لتكثيف نشاطاتها ودعمها للمدينة وسكانها، وتطوير برامج مالية لدعم

ومساعدة الأسر التي ترغب في ترميم أو توسيع مساكنها للتقليل من حدة الازدحام، واستثمار الطاقات وتسخيرها لتوفير فرص العيش الكريم لأهله، ولتمكينهم في رباطهم على تلك الأرض المقدسة بكفالة اليتيم، وحلقات العلم، والمشاريع الإنتاجية.

والعمل على إعمار المسجد الأقصى بالصلاة فيه ودعم حلقات العلم والدورات الشرعية لإعادة الحركة العلمية إليه من خلال المسلمين المقيمين بجوار المسجد الأقصى.

والحكومات العربية والإسلامية مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى العمل ضمن استراتيجية واضحة ومحددة لحماية المسجد من مصير التقسيم بالحد الأدنى إن لم تكن قادرة على تحريره، كما ندعوها لدعم وإسناد الدور الذي ينبغي أن تضطلع به الحكومة الأردنية بصفتها الوصية على الأماكن المقدسة بموجب القانون الدولي وبموجب معاهدة وادي عربة، تعد الوصية على خدمة المسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية في القدس، وعليها أن تتحمل مسؤوليتها تجاه القدس بمناهضة أي تغيير يجريه الاحتلال في القدس، ولتعبئة كل أجهزتها ومؤسساتها بما يتجاوز مشاريع متفرقة للإصلاح والإعمار.

ووسائل الإعلام مطالبة كذلك بتركيز وتكثيف الاهتمام الخاص بتغطية أخبار القدس والمسجد الأقصى وإيجاد الآليات اللازمة لذلك، وإبقاء هذه القضية ضمن القضايا الأساسية في مختلف أنواع التغطيات الحوارية والوثائقية والثقافية لحمل عبء قضية الأقصى والاهتمام بها ومعرفة تاريخها وما جاء من أخبار وآثار إسلامية، ليتحصن المسلم من شبهات وأكاذيب اليهود، وتوظيف القلم للدفاع عن المسجد الأقصى ورد الشبهات والأساطير.

وكل مسلم مطالب بالدعاء لله تعالى، فهو السلاح الذي تملكه أمة الإسلام الذي يصيب كبد السماء، فينبغي ألا نبخل بالدعاء ولا بالأموال والدماء، فإن الله سبحانه قادر أن يسخر لهذه الأمة رجالًا مخلصين يقودون الأمة إلى الطريق

الصحيح، كما قاد الأمة بالسابق القائد صلاح الدين -رحمه الله- ودافع عن مقدساتنا وحرر أرض المسلمين من كيد النصارى.

وقبل هذا وذاك لا بد من اليقين أن النصر للإسلام والمسلمين والعاقبة للمتقين، لبث روح التفاؤل في أنفسنا وبين أبناءنا وأجيالنا، وعلينا كذلك أن نوقن بأن الأيام دول، وأن ما أصابنا في فلسطين والمسجد الأقصى من الممكن تداركه، متى تحلينا بالإيمان وصدق النية والتصميم على استعادة أرضنا المقدسة، فاحتلال اليهود للمسجد الأقصى ليس نهاية المطاف فكم سقطت أراضٍ للمسلمين في أيدي المعتدين ثم استطاع المسلمون بفضل الله ومعونته استردادها منهم.



معالم مهددة بالتهويد بعد أن تم الاستيلاء عليها

*** باب المغاربة:**

يقع في السور الغربي للمسجد الأقصى المبارك، وله أهمية خاصة؛ لأنه كما يرجح بعض العلماء والباحثين هو الباب الذي دخل منه النبي ﷺ إلى المسجد الأقصى المبارك ليلة الإسراء! كما أنه الأقرب إلى المصلى الرئيسي في الأقصى -الجامع القبلي-، وكذلك إلى قبة الصخرة في قلب المسجد المبارك. استولى المحتلون عليه، وصادروا مفاتيحه لدى احتلالهم شرقي القدس في ٧-٦- ١٩٦٧م. ومنذ ذلك الحين، تقوم سلطات الاحتلال بإدخال اليهود منه إلى المسجد الأقصى المبارك، بينما تمنع المسلمين من استخدامه، ويتصاعد في الفترة الأخيرة خطر إدخال أعداد كبيرة من اليهود منه لأداء طقوسهم داخل المسجد الأقصى، خاصة بعد أن دمر الاحتلال، خلال عام ٢٠٠٧م، تلة طريق المغاربة الموصلة إلى هذا الباب، من أجل بناء جسر بديل أقوى يصلح لإدخال أعداد كبيرة من جنود الاحتلال ومن اليهود إلى المسجد المبارك. كما يخشى من أن يؤدي هذا التدمير إلى إحداث تغييرات في المكان، وفتح باب البراق (باب النبي) الأقدم، الواقع أسفل باب المغاربة الذي يسمونه باب "بيركلي"، بدعوى أنه "باب الهيكل"، وذلك في افتتاح رسمي يقود لاقتحام رسمي يهودي للأقصى، يدشنون به مسيرة إقامة "هيكلهم" المزعوم، لا قدر الله.

*** طريق باب المغاربة:**

طريق يقع فوق تلة المغاربة الملاصقة للمسجد الأقصى المبارك التي تُعدُّ جزءاً من الأقصى، وهذا الطريق وهذه التلة هما الجزء الوحيد المتبقي من حارة المغاربة بعد أن هدمها المحتلون اليهود بعد أيام من احتلالهم لشرقي القدس في ٧-٦-١٩٦٧م. انهار جزء من الطريق في ١٥-٢-٢٠٠٤م، بفعل الحفريات اليهودية في هذه الجهة، ورفضت سلطات الاحتلال السماح للأوقاف الإسلامية بترميمه، وفي ٦-٢-٢٠٠٧م، بدأت هذه السلطات عملية تدمير تدرجية للطريق نفسه، ولغرفتين ملحقتين بالمسجد الأقصى تقعان أسفله، بحجة توسيع ساحة صلاة اليهود في حائط

البراق المجاور، والحق أن الهدف هو فتح باب "البراق" المغلق الواقع أسفل الطريق، وهو باب يطلقون عليه باب "بيركلي" ويقود إلى مصلى البراق داخل المسجد الأقصى المبارك، ويزعمون أنه "باب الهيكل". كما تهدف أعمال الهدم المتواصلة حتى الآن إلى بناء جسر بديل أقوى يمكن استخدامه لنقل أعداد كبيرة من جنود الاحتلال واليهود إلى داخل الأقصى. وتمثل هذه الأعمال أكبر اعتداء على حرمة المسجد الأقصى المبارك منذ احتلاله. إذ أعلن تقرير فني تركي أن هذا التدمير التدريجي قد يعني أن هدم الأقصى مسألة وقت.

*** المدرسة التنكزية (أو مبنى المحكمة):**

تقع على سور الأقصى الغربي، وتعد جزءاً من المسجد الأقصى المبارك، حيث يوجد جزء منها داخله. استولى عليها المحتلون، وحولوها إلى ثكنة عسكرية، منذ ٢٤-٦-١٩٦٩م، حيث يستخدمونها نقطة تمركز قبل شن هجماتهم المسلحة على الأقصى من باب السلسلة المجاور، والتي كثيراً ما أدت إلى ارتكاب المجازر ضد المصلين داخل المسجد المبارك، ومنها مجزرة الأقصى الثالثة التي أعقبت اقتحام مجرم الحرب "إرئيل شارون" للمسجد الأقصى المبارك، في ٢٨ سبتمبر أيلول عام ٢٠٠٠م وكانت شرارة انطلاق انتفاضة الأقصى المباركة. افتتح "موشيه كتساف"، رئيس دولة الاحتلال، كنيسًا يهوديًّا أسفلها، ضمن النفق الذي حفروه على امتداد السور الغربي للأقصى المبارك، وذلك في ١٣-٣-٢٠٠٦م. والآن يخططون لبناء كنيس آخر داخل المدرسة نفسها، أي فوق جزء من المسجد الأقصى المبارك، ثم فتح أبوابه لتطل على الساحات الداخلية للأقصى أيضًا، وليستولوا على المزيد من أجزاء البيت المقدس!

*** المدرسة العمرية:**

منذ احتل الصهاينة القدس عام ١٩٦٧م، استولوا على كامل المدرسة العمرية، وفتحوا بوابة للنفق الغربي الذي أقاموه بامتداد السور الغربي للمسجد الأقصى المبارك من تحت بوابتها تمامًا، لتصبح المدرسة بذلك مركزًا لتحويل هذا

النفق باتجاه الشرق حيث يوجد نفق آخر يمتد من تحتها إلى موقف السيارات في باب الأسباط الواقع في السور الشمالي للأقصى. كما يعتقد بوجود نفق ثالث تحت المدرسة العمرية يربطها بقبة الصخرة المشرفة -الواقعة في قلب المسجد الأقصى المبارك-، ويخشى من استخدامه من قبل اليهود للسيطرة على القبة التي يزعم اليهود أنها "قدس الأقداس" في "هيكلهم" المزعوم! كما يستخدمها المحتلون لإطلاق النار على المصلين أثناء الاحتجاجات. والأخطر من ذلك هو أن هناك مخططات لتحويلها إلى كنيس يهودي، حيث وردت ضمن مواقع اقترحتها لجنة بمجلس الحاخامات في ٥-١-٢٠٠١م لإقامة كنيس عليها، مما يعني عمليا إقامة معبد لغير المسلمين على جزء من المسجد الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه!

*** حائط البراق (يسميه اليهود المبكى):**

عقب ادعاءات عريضة بأنه جزء متبقٍ من السور الغربي لـ"الهيكل" اليهودي، وبعد أن ظلوا لسنوات طويلة يبكون عنده على ملكهم الضائع، استولى اليهود عليه يوم احتلال شرقي القدس في ٧-٦-١٩٦٧م، ودمروا حارة المغاربة الملاصقة له، وسووها بالأرض، وحوّلوه وموضع الحارة المدمرة إلى مزار لهم ولمناصريهم منذ ذلك الحين. وفي ٢٤-٩-١٩٩٦م، افتتحوا في هذا الساحة بابًا لنفق طويل يمتد بطول السور الغربي للأقصى بهدف تطويقه والسيطرة عليه. وفي ٢٨-٩- ٢٠٠٥م، دشنت سلطات الاحتلال ضمن هذا النفق، موقعًا يُعتبر الأول من نوعه في الفضاء التحتي للمسجد الأقصى، وأسمته متحف "سلسلة/ قافلة الأجيال"، ويضم سبع غرف تحكي التاريخ اليهودي المزيّف مع القدس والأقصى، باستخدام عروض الصوت والضوء. كما تجري حفريات متواصلة في المكان لوصل الأنفاق المختلفة في محيط المسجد الأقصى المبارك، وربطها بحي سلوان الواقع جنوبي المسجد الأقصى المبارك، والذي يزعمون أنه مدينة داود عليه السلام، وذلك في إطار مخطط لاستكمال السيطرة على ما تحت المسجد الأقصى المبارك، تمهيدًا لتقسيم يقترحونه له بين المسلمين واليهود!

*** حائط رباط الكرد:**

جزء من السور الغربي للمسجد الأقصى المبارك، كان يقوم عنده بناء لإيواء المرابطين في سبيل الله في الأقصى. في عام ١٩٧٢م، أدت الحفريات اليهودية في المحيط الغربي للمسجد المبارك إلى انهيار جزئي للرباط، قررت اليونسكو على إثره ضم البلدة القديمة من القدس إلى قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر، وفي عام ١٩٩٧م، صادره المحتلون، وأقاموا عنده نقطة مراقبة. ومنذ ذلك الحين، حوّلوه إلى موضع لصلاتهم، كحائط البراق، وأسموه "هاكوتل هاكاتان"، أي: «حائط المبكى الصغير».

*** خلوتان في صحن الصخرة:**

خلوتان كانتا تستخدمان للعبادة في صحن قبة الصخرة المشرفة في قلب المسجد الأقصى المبارك، قبل أن تحوّلها سلطات الاحتلال إلى نقطة للشرطة. ولا تزالان محتلتين، رغم إغلاقها لبعض الوقت، إثر احتجاجات إسلامية بسبب اعتداءات قوات الشرطة الموجودة فيها بصفة مستمرة على المصلين داخل الأقصى.



معالم مهددة بالاستيلاء عليها لتهويدها

*** أبواب الأقصى المفتوحة:**

تحاصرها قوات الاحتلال، وتقيّد من خلالها حرية المصلين، خاصة منهم الشباب، في دخول المسجد الأقصى المبارك، بالرغم من وجود مفاتيحها بيد إدارة الأوقاف الإسلامية في القدس، المسئولة عن الشئون الداخلية للمسجد الأقصى. مؤخرًا، كثّفت قوات الاحتلال اقتحاماتها للأقصى المبارك من كافة هذه الأبواب، وليس فقط من باب المغاربة الذي يحتفظون بمفاتيحه منذ الاحتلال، كما أصبحوا يدخلون منها اليهود والمتطرفين بأغطية الرأس المميزة لهم، وليس كمجرد سائحين، ويوفرون لهم الحراسة، فيما اعتبر تمهيدًا لتنفيذ مخطط تقسيم المسجد الأقصى المبارك، وتحويله أو جزء منه إلى معبد يهودي!!

*** ساحات المسجد الأقصى المبارك الداخلية، وأهمها: الشمالية الشرقية، الشمالية الغربية، الشرقية، الجنوبية الغربية:**

يسعى المحتلون للسيطرة عليها، وسط مزاعم بأنها ليست من المسجد الأقصى المبارك، لا سيما أن كثيراً من المسلمين يجهلون كونها جزءًا لا يتجزأ من المسجد المبارك، ويقصرونه على بعض المباني ذات القباب فقط، مثل المصلى القبلي ومصلى قبة الصخرة. جرت عدة محاولات -فشل بعضها ونجح بعضها- لاقتحامها عنوة من قبل اليهود حتى عام ٢٠٠٠م، تعاقب الأدوار فيها المتطرفون، وسلطات الاحتلال، ومسئولون في حكومة دولة الاحتلال، وفي برلمان تلك الدولة. وبعد انتفاضة الأقصى في ٢٩-٩-٢٠٠٠م، منعوا لنحو ثلاث سنوات من الدخول بأغطيتهم المميزة، ثم فتح مجرم الحرب إرئيل شارون باب الدخول أمامهم مجددًا، بحراسة قوات الاحتلال، منذ عام ٢٠٠٣م، وحتى اليوم، ويخشى من إقدامهم على الصلاة داخل ساحات الأقصى المبارك علنًا، أو استقطاع أجزاء منها لبناء كنس، خاصة وأن قوات الاحتلال، سعيا للسيطرة على هذه الساحات، كثّفت في الآونة الأخيرة وتيرة اقتحامها لها، حيث تقوم بجولات عدة في هذه الساحات، تجاوزتها

أيضًا إلى المباني، وعرقلت أعمال صيانة فيها، ومنعت إلقاء بعض الدروس الدينية فيها، كما اعتدت على حراس الأقصى التابعين للأوقاف الإسلامية، المكلفين حماية المسجد المبارك، وكان هذا هو نفس السيناريو الذي اتبع في المسجد الإبراهيمي بالخليل قبل تهويده، حيث بدأ المحتلون بالصلاة فيه فرادى ثم جماعات، ثم فرضوا التقسيم وحوّلوا جزءًا منه إلى كنيس يهودي!

*** المصلى المرواني (يقع تحت الساحة الجنوبية الشرقية للأقصى):**

جرت عدة محاولات للسيطرة عليه وتحويله إلى كنيس يهودي، فقد كشف عام ١٩٩٥م عن محاولة جدية لتحويل المصلى المرواني إلى كنيس يهودي ضمن صفقة تفاوضية، إلا أن تلك المحاولة فشلت بعد أن قام المسلمون بترميمه وافتتاحه كمصلى عام ١٩٩٦م، كما افتتح رئيس وزراء دولة الاحتلال "إيهود باراك" مدرجًا من خارج الأقصى يقود إلى البابين الثلاثي والمزدوج المغلقين من أبواب الأقصى، والواقعين جهة المصلى المرواني، في ٣-١٠-١٩٩٩م، في محاولة للسيطرة عليه باعتباره جزءًا من "هيكلهم" المزعوم، ثم منعت سلطات الاحتلال أعمال الترميم فيه تمامًا منذ عام ٢٠٠١م، بالرغم من حاجته الماسة لذلك، كما جرى إغلاق جزء منه بحجة أنه آيل للسقوط في عام ٢٠٠٤م. وكان قد ورد ضمن مواقع اقترحتها لجنة بمجلس الحاخامات لإقامة كنيس عليها في ٥-١-٢٠٠١م. ومؤخرًا، تجددت هذه المحاولات مع استئناف المفاوضات حول القدس الشريف بين سلطات الاحتلال وقادة السلطة الفلسطينية.

***مصلى البراق (يقع داخل المسجد الأقصى المبارك تحت جزء من رواقه الغربي):**

كشف النقاب مؤخرا عن مساعٍ صهيونية للسيطرة على هذا المصلى وفتح باب البراق -باب النبي- المغلق الذي يؤدي إليه من خارج سور المسجد الأقصى المبارك، وذلك بهدف تحويله إلى كنيس يهودي داخل الأقصى! فمع بدء أعمال الحفر والهدم في طريق باب المغاربة القريب من حائط البراق عام ٢٠٠٧م، التي أدت حتى الآن إلى

تدمير شبه كامل لتلة الطريق المقابلة للمصلى، أعلن علماء آثار صهاينة أن هذه الأعمال تهدف إلى الكشف عما أسموه باب "بيركلي" وزعموا أنه باب قديم يقود لـ"الهيكل" المزعوم. كما تقوم قوات الاحتلال منذ سنوات بالتضييق على المصلين الذين يصلون إلى هذا المصلى من داخل الأقصى، لا سيما وأنه قريب من باب المغاربة الذي يسيطر عليه المحتلون منذ عام ١٩٦٧م، كما منعوا ترميمه، رغم حاجته لذلك، في إطار حظر شامل على كافة أعمال الترميم في المسجد الأقصى المبارك.

*** أبواب الأقصى المغلقة:**

يسعى المحتلون لفتحها عنوة، وسط ادعاءات عريضة بأنها بوابات لـ "الهيكل" المزعوم، حيث جرى افتتاح مدرج يقود إلى الأبواب الجنوبية من خارج المسجد الأقصى المبارك منذ عام ١٩٩٩م بهدف السيطرة على المصلى المرواني ومصلى الأقصى القديم الواقعين تحت أرضية المسجد الأقصى المبارك في الجهة الجنوبية. كما جرت عدة محاولات يهودية لاقتحام باب الرحمة الواقع في السور الشرقي للأقصى، بهدف السيطرة على قاعته الداخلية وتحويلها لكنيس يهودي، خاصة بعد إغلاق لجنة التراث الإسلامي عام ٢٠٠٣م، بعد أن ظلت تعمل في هذه القاعة الداخلية عدة أعوام، فيما يتواصل السعي لمنع وجود المسلمين في هذه الجهة من الأقصى حتى الآن.

*** موجز: أجزاء مقترحة لإقامة كنس يهودية داخل الأقصى:**

- منطقة الكأس.
- موقع باب الرحمة.
- المصلى المرواني.
- المدرسة التنكزية أو مبنى المحكمة.
- المدرسة العمرية.
- مسجد البراق.

صحابة دخلوا بيت المقدس

- أبو عبيدة بن الجراح، وكان القائد العام لجيوش الفتح في الشام.

- بلال بن رباح، شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب، وأذن في المسجد الأقصى.

- معاذ بن جبل، استخلفه أبو عبيدة على الناس بعد موته، فمات أيضًا بالطاعون.

- عياض بن غنم، دخل بيت المقدس، وبنى فيها حمامًا، وله رواية عن النبي ﷺ.

- خالد بن الوليد، سيف الله المسلول شهد فتح بيت المقدس.

- عبادة بن الصامت، أول من ولي قضاء فلسطين سكن بيت المقدس ودفن فيها.

- تميم بن أوس الداري، وهو من أهل فلسطين في الجاهلية، أسلم وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقطعه رسول الله ديار الخليل، وكان أميرًا على بيت المقدس.

- عبد الله بن سلام: قدم بيت المقدس، وشهد فتحها، وهو من المشهود لهم بالجنة.

- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر، قدم بيت المقدس وشهد فتحه،وهو من رواة حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...»

- معاوية بن أبي سفيان، قدم بيت المقدس، قال الليث: بويع معاوية بإيلياء، وتلك بيعة أهل الشام له ".

- عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدم بيت المقدس، قال شيخ الإسلام ابن تيميه: وكان ابن عمر ﷺ يأتي إليه فيصلي فيه، ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله: «لا يريد إلا الصلاة فيه».

- أبو ريحانة، سكن بيت المقدس، وكان يعظ في المسجد الأقصى.

- شداد بن أوس، سكن بيت المقدس، ومات بها في أيام معاوية، وقبره في مقبرة «باب الرحمة» بالقرب من سور "المسجد الأقصى".

- سلامة بن قيصر، قيل: له صحبة، وكان إمام المسلمين في الصلاة بعد الفتح واليًا لمعاوية على بيت المقدس، ومات ببيت المقدس وقبره بها.

- أبو جمعة الأنصاري، واسمه: جندب بن سباع، قدم بيت المقدس ليصلي فيه، ويُعَد من الشاميين.

- عوف بن مالك الأشجعي، شهد فتح بيت المقدس، ونزل بحمص، وهو صحابي جليل.

- عمرو بن العاص، قدم بيت المقدس، وشهد الفتح، وتوفي في خلافة معاوية.

- أبو أُبي الأنصاري، ربيب عبادة بن الصامت، وهو ممن صلى إلى القبلتين، سكن بيت المقدس، ويُعَد في الشاميين، وهو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس رضي الله عنهم.

- فيروز الديلمي أو الحميري، من فُرس اليمن، سكن بيت المقدس، ويقال: إنه مات بها وقبره بها.

- أبو محمد النجاري، سكن بيت المقدس، قيل: إنه شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وقيل: إنه توفي في خلافة عمر بن الخطاب.



الطرق الشرعية لاستعادة القدس

إن نكبة فلسطين قد أدخلت علي كل بيت من بيوت المسلمين حزنًا عميقًا وحسرة وأسى وإن كلمات التفجع والرثاء علي القدس تكتب اليوم بالدموع والحسرة لوعةً وأسفاً. ولكن البحار والمحيطات إذا جرت دموعًا واجتمع العرب والمسلمون على البكاء أفراداً وجماعات وشعوباً فإن هذه الدموع لا تنقذ الأقصى والقدس. ولم يسبق لأمة من الأمم أنها استطاعت أن تحول الهزيمة إلى نصر بالبكاء وحده وما يمت إلى البكاء بصلة قريبة أو بعيدة ومنها الكلام خطبًا وقصائد ومقالات ومؤلفات دون أن يدعم الكلام بالعمل. وتاريخ الحروب لكل الأمم في كل العصور والأزمان خير دليل، وهل استطاع الفاتحون الأولون وعلى رأسهم الفاروق القائد أن يفتحوا القدس بالبكاء أو بالكلام؟! وهل كان المسلمون الفاتحون الذين كانوا يحاصرون القدس سنة ست عشرة للهجرة يبكون وينتحبون ويقولون ما لا يفعلون. إن الفاتحين الأولين من المسلمين وقواتهم التي كانت تحاصر القدس وتضيق عليها الخناق، كانوا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله -جل جلاله- كانوا يطمحون إلى نيل إحدى الحسنيين، الشهادة أو النصر.

كانوا يعدون أنفسهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأهم من السلاح؛ الأفراد أنفسهم فإعداد الفرد المسلم لا يقل أهمية عن إعداد العدة والسلاح. بل أهم منه؛ لأنه لا فائدة من سلاح لا يجد من يحمله.

فينبغي أن نعد أنفسنا الإعداد الروحي عن طريق الإيمان بتعاليم الإسلام إيمانًا راسخًا ليس بالاعتقاد فقط ولكن بالتطبيق.

لذلك كان انتصار المسلمين انتصار عقيدة، كان عمر بن الخطاب ﷺ يوصي المجاهدين وقادتهم كما في قوله لسعد بن أبي وقاص وجنده في حرب العراق: «فإني آمرك ومن معك من أجناد المسلمين بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد

احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليكم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة. واعلموا أنه عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله. ولا تقولوا: إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا فرب قوم سُلط عليهم شرٌّ منهم كما سُلط علي بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝ ﴾. واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم.. أسأل الله ذلك لنا ولكم[1].

ولأن القدس لا يمكن إنقاذها بالأسى والأسف والشجب والاستنكار ولا الدموع حتى لو ابيضت عيون المسلمين من الدمع، ومع التخبط الشديد الذي تعيشه الأمة في قضية الأقصى وفلسطين منذ زمن طويل من حلول وأنصاف حلول لا تسمن ولا تغني من جوع.

ولو نظرنا في واقع الأمة لوجدنا أنها تمر بأحوال غريبة وأهوال عصيبة فالخطوب تحيط بها والأمم من كل مكان تتداعى عليها، وإن مما يلفت النظر في هذا الشأن غفلة الأمة عن الطريق للخروج من هذا التيه ومن هذه الخطوب المدلهمة التي تتوالى عليها واحدة تلو الأخرى فمن صرخة إلى صرخة ومن قتل ودمار وتشريد إلى ما هو أشد منه، والعجب أن الطريق واضح بيّن لكل ذي لب بصير، بينه لنا ربنا في كتابه المجيد، ووضحته سنة نبينا ﷺ أيما إيضاح.

أولًا: الإعداد الروحي:

إن داء الأمة الآن بعدها عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، هو الذي جلب الذل والهوان والخذلان الذي تعيشه وتحياه، ولكل داء دواء المهم أن نعرف الداء لنعرف الدواء.

---

(١) العقد الفريد (١/ ١٣٠)

ويتلخص الدواء فيما يلي:

عودة الأمة الإسلامية إلى الله -عز وجل- وبعدها عن المعاصي فالأمة التي تعود إلى طريق الرشاد وتَصْدُق في التوبة والإنابة إلى الله يرفع من شأنها ويعيدها إلى عزتها وينجيها من المهالك التي تحيط بها، لقول الله -تعالى-: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا... ﴾ [سورة النور:٥٥]

وقال أيضًا: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس:٩٨]

فما أحوج الأمة اليوم أن تتمسك بدينها؛ ليرفع الله عنها ما هي فيه من الذلة والمهانة والتبعية لأعدائها.

والحقيقة أن أعداء التوحيد في كل زمان ومكان لا يتغيرون، ولا يلتقون مع الحق إلا عندما يذعنون له ويتخلصون من الباطل قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠]

فقد اقتضت حكمة الله -سبحانه وتعالى-، أن يبتلي خيار هذه الأمة بشرارها، ومؤمنيها بفجارها، وعلماءها بجهالها، وهذه سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

ولذلك فإن حاجة المسلمين ملحّةٌ في هذا العصر، إلى أن يعودوا إلى تحقيق العدالة والموالاة فيما بينهم، والمعاداة مع أعدائهم، حيث تداعت عليهم قوى الكفر والظلم والطغيان من كل حدب وصوب، وتنادى الجميع للقضاء على هذا الدين بوسائلهم المختلفة، ولن يقف في وجه هذه الحرب الصليبية اليهودية الوثنية،

المتواطئة مع المرتدين والمنافقين، وسفهاء المسلمين، سوى اتحاد المسلمين وتلاحمهم صفًا واحدًا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝ ﴾ [الصف: ٤].

وكما قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[١].

وعلى الأمة أن تتخلص من التبعية الثقافية والفكرية للغرب الكافر، فمما يؤسف عليه ما يُرى من حال كثير من مثقفينا ومفكرينا فلا تراهم يرفعون بالإسلام رأسًا ولا يهزون لنصرته قلمًا. ولا يحفلون إلا بزبالة أفكار الغرب ولا يثقون إلا بما يصدر من مشكاته.

- فيجهلون نظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان.
- ويجهلون حقائق الإسلام وشرائعه الحكيمة ومقاصده النبيلة.
- ويجهلون قيم الإسلام ومُثُله وأخلاقه وخصائص حضارته وتطوراتها ومراحلها.
- ويجهلون أسباب تقدم المسلمين في التاريخ وأسباب تأخرهم.
- ويجهلون القوى التي حاربتهم والمؤامرات التي نسجت عبر التاريخ للقضاء عليهم.

فهؤلاء الذي نسميهم مثقفين ومفكرين عندما واجهوا الغرب وحضارته وفنه انبهروا بكل ما فيه دونما تمييز بين الحق والباطل والضار والنافع؛ فنكسوا رؤوسهم أمام الغرب. وإذا ذكر الله ورسوله اشمأزت قلوبهم واستولى عليهم الشعور بالهزيمة والذلة.

وأكثر هؤلاء لا يتبرؤون من الإسلام بل يصرحون بانتمائهم للأمة الإسلامية ولكنهم يفهمون الإسلام من إطار المفهوم الغربي للدين والمفهوم الغربي للدين يتلخص في أن الدين عبارة عن رابطة فردية خاصة بين الإنسان وربه.

---

[١] متفق عليه، انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين (١/ ٢٤٦) رقم الحديث (٢٢٦)

أما الحياة بشمولها فإنها في نظرهم لابد أن تخضع لحركة العقل المتغير عبر الزمان والمكان.

ثم إن نظرة كثير من أولئك تجاه المسلمين وقضاياهم نظرة الغرب؛ فالغرب يري أن الإسلام دين قسوة وهمجية وأن أهله قساة عتاة أجلاف غلاظ الأكباد.. وينطلي هذا الهراء على كثير من أولئك المثقفين، فيسايرون أعداءهم ويسيرون في ريحهم.

ولهؤلاء نقول: انظروا لعفو صلاح الدين الأيوبي عندما فتح القدس، بعدما أباد الصليبيون أهلها من المسلمين العزل من السلاح المحتمين بالمسجد فقتل في ساعة ٧٠ ألفا. وها هم أشياعهم من اليهود يهدمون البيوت فوق الأطفال.

وانظر إلى ما فعله هتلر وموسوليني ولينين وستالين ومجرموا الصرب؟! أليست أوربا هي التي أخرجت هؤلاء الطواغيت الشياطين الذين قتلوا الملايين من البشر الذين لاقت البشرية منهم الويلات إثر الويلات؟! ألا يعد أولئك هم طلائع حضارة أوربا؟ فمن الهمج العتاة القساة الأجلاف إذًا؟

فحقيق علي هؤلاء ألا يؤوبوا إلى رشدهم وأن يقدموا لأمتهم ما يرفع عنها الذلة والتبعية المهينة التي جعلتها في ذيل القائمة.

إن أعداء الإسلام يحاولون ليل نهار السيطرة على الشباب المسلم عن طريق بث الفضائيات التي تدعو إلى الرذيلة والمجون وإشاعة الفواحش وللأسف تسايرهم كثير من القنوات في بلادنا الإسلامية، فجدير بإعلام المسلمين أن تكون له شخصيته المتميزة وأن يكون داعية إلى كل خير وفلاح وإصلاح.

وواجب على كل إعلامي مسلم أن يلتزم بمسؤوليته وأن يدرك حجم الأمانة الملقاة على عاتقه فهو يرسل الكلمة فتسير بها الركبان؛ فله غنمها وعليه غرمها.

نقرأ ونتأملُ كيف كان مصير بني إسرائيل لما تركوا واجب الأمر والنهي فقال تعالى فيهم:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ

ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠].

وإذا كان الأمر كذلك كان لزاماً على الأمة أن يهتموا بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يقوم كل فرد بحسبه بما أوجب الله عليه من نصرة دين الله.. هذا بلسانه وهذا بقلمه وهذا بماله وهذا بجاهه... ولكل وجهة هو موليها.

وتأمل قول رسول الله ﷺ: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»(١) وذاك لصدقه وإخلاصه وإرادته وجه الله عز وجل، إذن علينا أن نخلص لله سبحانه.

وقال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طِمرين لا يؤبه له لو أقسم علي الله لأبرّه. منهم البراء بن مالك»(٢)، وقد يتساءل سائل فيقول:ما بالنا ونحن ندعو ليل نهار؟ والإجابة معروفة لنا، فالنصر يحتاج إلى أكف ضارعة من أنفس مخلصة مثل البراء بن مالك والعلاء الحضرمي وعبدالله بن المبارك ومحمد بن واسع ومعاذ بن جبل وأبي عبيدة الأمين...، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

واعلموا أيها المسلمون الكرام أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وما أجمل قول القائل: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم على أرضكم».

فقد قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ وأي نصر لله ولدينه يأتي على أيدي أناس انغمسوا في ملذات الدنيا ونسوا الآخرة. نسوا الله فأنساهم أنفسهم؟!

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم عن جابر وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٧).

(٢) حسن صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك.

واقرءوا جيدًا حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**» فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**».

وعلى علماء الأمة إصلاح اعوجاجها واعوجاج قادتها وفيهم الجبار الغاشم والمتسلط وفيهم الهابط الذي يكره الصعود والمسترخي الذي يكره الاشتداد والمنحل الذي يكره الجدّ والظالم الذي يكره العدل وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة وفيهم وفيهم ممن ينكرون المعروف ويعرفون المنكر ولن تعود القدس إلا أن يقود العلماء الربانيين مسيرة الأمة ويوجهون الحكام إلى الخير، ويتمثل الحكام بالعدل والحكمة والإنصاف والخير والمصداقية.

لابد أن يرفع العلماء لواء الخير في الأمة ويجهروا بكلمة الحق أمام من يتنازل عن ديار المسلمين، وانظروا إلى الإمام الرباني عز الدين بن عبد السلام ينكر على ملك دمشق التنازل عن ديار المسلمين وعقد الصلح مع الفرنجة الصليبيين المعتدين.

وترك عز الدين الدعاء للحاكم في الخطبة وجدد دعاءه في الجامع الذي كان يدعو به إذا فرغ من الخطبتين: «اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد تُعز فيه وليك وتذل فيه عدوك ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك».

والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء الله واعتقل الشيخ وبقي مدة معتقلًا وأخرج الشيخ من معتقله فأقام مدة في دمشق فأرسل الملك بعض خواصه إلى الشيخ يقول له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير.

وهنا قال سلطان العلماء كلمة فيها استعلاء أهل العلم قال: «والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلًا أن أقبل يده. يا قوم! أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ الحمد لله

الذي عافاني مما ابتلاكم به»[1].

إن أمة يقودها علماؤها الربانيون وحكامها العادلون الحاكمون بكتاب الله وسنة رسوله ويخضع لهم القاصي والداني والصغير والكبير.. لن تُخطئ الطريق إلى القدس والأقصى..

وعلينا أن نتوكل على الله في نصرة دينه ودفع فساد اليهود المفسدين تأسيا بما قاله رسولنا ﷺ حين قالوا له: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٣]. وعلينا أن نضع أمامنا قول النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

فإذا حققت الأمة ما سبق فعليها حينئذ الجهاد لإعلاء كلمة الله ولاسترداد بيت المقدس.

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف: ١٠- ١٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٢٤٣-٢٤٤).

وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩].

وقال ﷺ: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»(١).

وقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويُحلى حلة الإيمان ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته»(٢).

وعلينا في جهادنا أن نتصف بالصبر والمصابرة والثبات في المعركة فلا نجبن ولا نفر لقول الله -تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥]

أي اصبروا على ما يلحقكم من الأذى في قتال العدو ومدافعته، وصابروا الأعداء الذي يقاومونكم ليغلبوكم على أمركم ويخذلون الحق الذي في أيديكم ولا تكونوا أقل صبراً منهم، فالمصابرة تعني مقاومة العدو أو الخصم في ميدان الصبر «ورابطوا» أي: أقيموا الثغور رابطين خيولكم فيها استعدادًا للقتال ومترصدين للعدو لئلا يتسلل إلى داخل بلادكم.

وعلينا أن نذكر الله ذكرًا كثيرًا. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن المقدام بن معدي كرب وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨١٢) وأحكام الجنائز (٣٥-٣٦).

[الأنفال:٤٥].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار وكذا من البغاة في القتال فاثبتوا لهم ولا تفروا من أمامهم فإن الثبات قوة معنوية طالما كانت هي السبب الأخير للنصر والغلبة بين الأفراد والجيوش: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي: وأكثروا من ذكر الله في أثناء القتال وقبله اذكروه في قلوبكم بذكر قدرته ووعده بنصر رسله والمؤمنين وبمعيته الخاصة للمؤمنين الصابرين وبذكر نهيه -تعالى- لكم عن اليأس مهما اشتد البأس بأن النصر بيده -تعالى- ينصر من يشاء وهو القوي العزيز.

ومن حقق ما سبق فيجب عليه أن يكون واثقا من نصر الله له فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر:٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

وقد أمر الله -تعالى- المؤمنين بطاعته فيما يأمرهم به، وطاعة رسوله ﷺ فيما يرشدهم إليه، وحذر من مخالفة رسوله ﷺ فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا

لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦]؛ لأن الطاعة توحّد الصف، وتمحو الخلاف، وتُكسب القوة في مواجهة العدو.

وكما أمرنا الله -تعالى- بطاعته وطاعة رسوله ﷺ أمرنا بطاعة أولي الأمر من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

وأولو الأمر هم: العلماء والأمراء؛ فتجب طاعتهم فيما وافق الحق[1]، فالطاعة تكون لله ولرسوله ﷺ.

وقد أمرنا الله -تعالى- بتوحيد صف المسلمين، وجمع كلمتهم لإعلاء كلمة الله -تعالى- من أجلّ مقاصد الإسلام، فقد أمر الله بالجماعة ونهى عن الفُرقة بقوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. كما قال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

وقد جعل الله اتفاق الكلمة وعدم التنازع من أسباب النصر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

ومن كلام ابن القيم في استنباطه أسباب النصر من هاتين الآيتين: «الرابع: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوّي به

(١) انظر: الوجيز للواحدي ٢٧١.

المتنازعون عدوهم عليهم، فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها[1].

مع أخذنا بالحذر فهو مطلوب لبلوغ النصر. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النساء:١٠٢].

والخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ وفيها بيان لكيفية الصلاة والمسلمون في مواجهة العدو للقتال. والمعني أنه لما رخص الله لهم في وضع السلاح حال المطر وحال المرض أمرهم الله -تعالى- مرة أخري بالتيقظ والتحفظ والمبالغة في الحذر لئلا يجترئ العدو عليهم احتيالًا في الميل عليهم والآية دلت علي وجوب الحذر من العدو في الحرب فيدل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المحتملة، بل إن الحذر من العدو قبل الحرب مطلوب مادامت العداوة قائمة فلا مانع أبدًا من متابعة أخبار العدو متابعة دقيقة وذلك بكل وسيلة ممكنة ومتاحة مثل إرسال العيون والجواسيس لأرض العدو لنقل أخبارهم إلى المسلمين ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال. قال النبي ﷺ من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب! قال الزبير: أنا. فقال النبي ﷺ: «إن لكل نبي حواري وحواري الزبير». وكذا ورد من متابعة النبي ﷺ لأخبار قريش عن عددهم وعدتهم في أكثر من موقعة، وذلك من باب الحيطة والحذر وأخذ العدة حتى لا تفاجأ الأمة بشيء عند ملاقاة عدوها.

ثانيا: إعداد العدة:

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ

(١) الفروسية لابن القيم ٥٠٦.

تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والغرض من إعداد القوة هو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء المسلمين في الأرض؛ فعلى المسلمين أن يحصلوا أسباب القوة ماديًا ومعنويًا سياسيًا وإعلاميًا واقتصاديًا وعسكريًا بالأسلحة المتطورة والجنود الأكفاء؛ ليكونوا مرهوبي الجانب، ولتكون كلمة الله هي العليا.

وأخيــــراً... مما سبق تبين لنا أن للنصر أسباباً وموانع أ فعندما تأخذ الأمة بكل الأسباب وتترك كل الموانع فإننا سنسترد المسجد الأقصى وفلسطين بل لن يكون هناك شبرٌ واحدٌ من بلاد المسلمين إلا وهو تحت ظلِّ وسيطرة الأمة المسلمة التي نسأل الله -تعالى- أن يبعثها من رقدتها ويرفع عنها غفلتها ويحقق لها القوة والنصر - سبحانه - هو ولي ذلك والقادر عليه.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[الروم: ٤- ٦].



إرهاصات العدوان الصهيوني الغاشم ضد غزّة

شهدت الساحة الفلسطينية أحداثًا وتحركات وفعاليات في أواخر عام ٢٠٠٨ كانت بمثابة إرهاصات للعدوان الصهيوني الغاشم ومنها ما يلي:

يوميات القدس

١٦/ ٩/ ٢٠٠٨م

* غزة: مقتل شرطي وإصابة ضابط من حماس في اشتباك مسلح مع مطلوبين من عائلة دغمش.

* إسرائيل تغلق معابر غزة ردًا على إطلاق صاروخ.

* أمريكا تزود إسرائيل بألف قنبلة ذكية لحرب محتملة ضد حماس أو حزب الله أو إيران.

١٧/ ٩/ ٢٠٠٨م

* ١٢ قتيلاً باشتباكات في غزة بين حماس وعائلة دغمش.

١٨/ ٩/ ٢٠٠٨م

* جيش الإسلام يتهم حماس بشن حرب لتصفيته في غزة.

١٩/ ٩/ ٢٠٠٨م

* مصر: إحباط محاولة تهريب إلى غزة عبر الأنفاق.

* ليفني أمام تحدي تشكيل حكومة ائتلافية بعد فوزها بزعامة كاديما.

٢٠/ ٩/ ٢٠٠٨م

* رغم القيود الإسرائيلية ٢٠٠ ألف مصل في الأقصى في الجمعة الثالثة من رمضان.

* ليفني بدأت اتصالات أولية مع قادة شاس، والعمل، وميرتس، والمتقاعدين؛ لتشكيل حكومة بديلة.

٢١/ ٩/ ٢٠٠٨م

* مصر تفتح معبر رفح أمام مئات الفلسطينيين. وزيرة العدل الفرنسية تزور المسجد الأقصى.

* نابلس: مقتل فتى فلسطيني برصاص جنود إسرائيليين.

٢٢/ ٩/ ٢٠٠٨م

* الضفة: مقتل فلسطينية خلال غارة إسرائيلية.

* استقالة أولمرت تمهد الطريق أمام ليفني لخوض معركة تشكيل ائتلافها الحكومي.

* هنية يؤكد أن الأوضاع في القطاع لن تعود إلى سابق عهدها.

٢٣/ ٩/ ٢٠٠٨م

* نابلس: جرح ثلاثة فلسطينين بعد هجوم على حاجز إسرائيلي.

* السجن مدى الحياة لفلسطيني بتهمة التخطيط لاغتيال زئيفي.

٢٤/ ٩/ ٢٠٠٨م

* سفينة ثالثة لكسر الحصار تبحر من قبرص إلى القطاع.

* مجموعة مسلحة مجهولة في غزة تهدد بمهاجمة معبر رفح وخطف مصريين.

٢٥/ ٩/ ٢٠٠٨م

* حركتا حماس والجهاد الإسلامي تباركان عملية القدس.

* إسرائيل تشدد من إجراءاتها بالقدس؛ تحسبًا لوقوع مزيد من العمليات.

٢٦/ ٩/ ٢٠٠٨م

* حماس تحذر جهات فلسطينية من محاولة الإخلال بالأمن في قطاع غزة.

٢٧/ ٩/ ٢٠٠٨م

* اعتقال عدد من أتباع حماس على أيدي قوات الأمن الفلسطينية في الصفة الغربية.

٢٨/ ٩/ ٢٠٠٨م

* ليفني تواصل مشاوراتها لتشكيل حكومة إسرائيلية جديدة.

١/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* حواجز رأس السنة اليهودية تعوق حركة الفلسطينيين في العيد.
* إسرائيل تلجأ إلى قنابل عنقودية محلية الصنع بدلاً من الأمريكية.
* مستوطنو الضفة الغربية يزدادون عنفًا، والفلسطينيون لا يجدون ما يحميهم.

٢/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* استطلاع يكشف تقدم قضايا حياتية على الملفات الأمنية، وثقة للإسرائيليين في سياسييهم صفر في المئة.

٣/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* الشرطة تستجوب أولمرت مجددًا في قضايا فساد.
* ليفني تواصل مشاوات الحكومة بلقاء باراك، وتجتمع مع موفاز؛ لاحتواء الخلاف في كاديما.
* بمشاركة إسرائيل والفلسطينيين وفرنسا ومصر والأردن.. مؤتمر للرباعية في شرم الشيخ: لمتابعة عملية أنابوليس.

٤/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* تجدد اعتداءات المستوطنين في موسم قطاف الزيتون.
* الحواجز الإسرائيلية: انسداد دائم في شرايين الحياة الاقتصادية.

٥/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* وفاة فلسطيني وإصابة ٣ في حريق داخل نفق حدودي.
* إسرائيل تمنع وفدًا سويسريًا من الوصول إلى غزة.
* كوشنير يجوب الأراضي الفلسطينية باحثًا عن دور أوروبي يملأ الفراغ الأمريكي.
* إسرائيل تتهم كوريا الشمالية بتزويد ٦ دول شرق أوسطية بأسلحة

دمار شامل.

٦/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* أولمرت يتجه إلى موسكو؛ لإقناعها بعدم تزويد إيران وسوريا بنظام صاروخي متطور.

* تقرير إسرائيلي: الاستيطان تزايد في عهد أولمرت.

٧/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* غزة: التشريعي يصوت ضد تمديد ولاية الرئيسي، ونواب يهاجمون «عباس» ويتهمونه بالخيانة العظمى.

٨/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* وفد حماس في القاهرة للقاء عمر سليمان، والزهار يقول: راغبون في إتمام المصالحة، لكن ليس بأي ثمن.

* نتياهو يريد تقسيم الضفة إلى مناطق اقتصادية غير مترابطة.

٩/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* باراك يهدد بانتخابات مبكرة متهمًا كديما بالتراجع عن التفاهمات.

* ليفني متفائلة بضم «العمل» إلى الائتلاف رغم الأزمة «الآنية».

١٠/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* الشرارة اندلعت بعد الاعتداء على عربي يقود سيارته في يوم الغفران.

* اشتباكات عنيفة في عكا بين يهود متزمتين وعرب.

* حماس وفتح تتجهان نحو إعلان مبادئ للحوار.

١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* هدوء حذر يخيم على عكا بعد الصدامات، وانتشار أمني كثيف: تحسبًا لهبة جماهيرية.

* رفح: مقتل ثلاثة فلسطينيين بينهم اثنان داخل نفق.

* الحصار يضاعف حفر الأنفاق الحدودية، وغالبية العمال من الطلاب.

١٢/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* سكان عرب في عكا: ٨٥٠ يهوديًا متطرفًا حضروا من طبرية وصفد، وشاركوا في الاعتداءات.

* عكا: توتر شديد بانتظار نهاية عطلة السبت، وهجمات لليهود، وحرق منزلين.

* حماس تتهم إسرائيل بالتخطيط لتهجير العرب من عكا.

١٣/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* مهاجرة من القوفاز تريد أن تتخلص من العرب، وأولمرت يدعو إلى عدم التسامح مع المشاغبين.

* عكا: تحركات للتهدئة بعد تجدد الاشتباكات لليلة الرابعة، ونزوح عائلات عربية من الأحياء اليهودية؛ بسبب التهديدات.

* اعتقال ٥٤ عربيًا ويهوديًا، وتمديد اعتقال ٢٠ منهم.

١٤/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* إسرائيل تسمح للسلطة الفلسطينية بنشر قوات إضافية في الخليل.

* لقاء جديد بين عباس وأولمرت الجمعة في القدس.

* الجيش الإسرائيلي يفكك عبوات ناسفة في شرق غزة.

* الموت يهدد حياة ألفي أسير فلسطيني؛ بسبب الإهمال الطبي والمماطلة في العلاج.

* مخاوف من عودة الاشتباكات في عكا؛ بسبب انتشار متطرفين يهود من مدن مجاورة.

١٥/ ١٠/ ٢٠٠٨م

* الجبهة الشعبية تهدد باغتيار وزير إسرائيلي؛ ردًا على اعتداءات عكا.

* إسرائيل تعتقل عربيًا قاد سيارته في عيد الغفران بتهمة عدم احترام اليهودية.

* غزة: جرح ثلاثة طلاب في اشتباكات بين الكتلة الإسلامية وإدارة جامعة الأزهر.

* السجن سبع سنوات بدل الإعدام لثلاثة شبان أدينوا بالعمالة لإسرائيل.

* العثور على نفق في مدينة الخليل [١].



(١) إرهاصات من مجلة القدس.

من أجــل القــدس

البيان الختامي لمؤتمر القدس السنوي في قطر

في رحاب دولة قطر، صاحبة الدور الرائد في تعزيز العلاقات العربية والإسلامية، وفي لم شمل الأمة وقواها وقياداتها، وحل خلافاتها، وبرعاية كريمة من صاحبة السمو الشيخ" حمد بن خليفة آل ثاني" -حفظه الله- وفي جو من الشعور بأهمية جمع الأمة بكل أطيافها على قضيتها الأساس " فلسطين" ودرّتها القدس، (عاصمة فلسطين)، وخصوصاً بعد تصاعد الاعتداءات على مقدساتها، وانتهاك حرية أهلها، وتكثيف العمل على تهويدها، انعقد مؤتمر القدس السنوي السادس ما بين ١٢إلى ١٤ من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٨م، الموافق ١٣- ١٥من شوال ١٤٢٩هـ، في العاصمة القطرية ـ الدوحة، بحضور نحو ٤٠٠شخصية من مجلس أمناء مؤسسة القدس الدورية، والشبكة العالمية للمؤسسات العاملة للقدس.

واستمع المؤتمر في يومه الأولى إلى كلمة رئيس مجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية العلامة الدكتور" يوسف القرضاوي" وعدد من قيادات الأمة ورموزها، وذكر المؤتمر بإجلال وإكبار الشيخ المرحوم" عبد الله الأحمر"، ودوره الكبير في المؤسسة، وما بذله في سبيل القدس وفلسطين. كما هنأ المؤتمر الدكتور " محمد هداية نور وحيد" على انتخابه نائباً لرئيس مجلس الأمناء. وناقش المؤتمر في جلساته المتتالية جملة تقارير قدّمها رئيس مجلس الإدارة وأعضاؤه، والأمين العام في مؤسسة القدس، وأعضاء الشبكة العالمية للمؤسسات العاملة للقدس، ورؤساء الفروع ومندوبوها، حول المشاريع المنجزة في القدس للعامين ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م، وناقش المؤتمر تقدم الوضع الإداري في المؤسسة وفروعها والروابط التي أطلقتها، ولاسيما رابطة شباب لأجل القدس، إضافة إلى سبل تطوير آفاق الشبكة العالمية للمؤسسات العاملة للقدس، كما بحث المؤتمر باهتمام واقع الحفريات في القدس، ولاسيما تحت المسجد الأقصى، وواقع المقدسات المسيحية، وخطورة التهويد المستمر، وسبل دعم صمود المجتمع المقدسي.

وقد أكدت كلمات الجلسة الختامية التي تناوب على الكلام فيها حشد من الشخصيات الاعتبارية على مستوى الأمة ــ أن الدفاع عن القدس،حاضنة الإرث الثقافي الإنساني، هو واجب الأمة جمعاء، وواجب أحرار العالم كافة، فضلاً عن كونه فريضة دينية وقومية وإنسانية،من أجلها ترخص كل التضحيات، وتتجاوز كل الخلافات.

وقد نبّه المؤتمر إلى وجوب احترام كرامة الإنسان الفلسطيني وحقوقه المشروعة،التي تكفلها جميع الشرائع والقوانين، كما أكد ضرورة استنفار الهمم لمواجهة التهديدات التي تتعرض لها المقدسات الإسلامية والمسيحية، وخصوصاً المسجد الأقصى المبارك، ومواجهة مخططات السيطرة على أجزاء منه، والتدخل المباشر فيه، وإعاقة حرية الوصول إليها، وإقامة مدينة يهودية بموازاة البلدة القديمة للقدس يكون مركزها المسجد الأقصى. ولذلك فقد حذر المؤتمر من أننا أصبحنا في مرحلةٍ حاسمة من تاريخ الصراع على القدس، وأن ما يحصل الآن، أو ما سيحصل في الأعوام القليلة المقبلة من شأنه أن يحسم مصير المجسد الأقصى، لذا فإن الجماهير والحكومات العربية والإسلامية مدعوة إلى التحرك دفاعاً عن قبلتها الأولى. كما أن المطلوب من الحكومات العربية والإسلامية أن تعطي هذه المسألة ما تستحق من أولوية، وألا تتعامل معها وكأنها شأن داخلي فلسطيني، وأن تقوم المنظمات الدولية المعنية بحماية التراث الروحي والحضاري والثقافي، والهيئات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، بما يفرضه عليها الواجب إزاء هذه القضية الأساس.

ولقد تدارس المؤتمر تقارير إنجاز مؤسسة القدس الدولية، ورأى أن المؤسسة قد تمكنت ــ بحمد الله (عز وجل) ــ على مدى ٧سنوات من القيام بجهود طيبة، حتى أصحبت اليوم إحدى المرجعيات الأساسية لمدينة القدس في العالم العربي والإسلامي، وأنها حققت منذ مؤتمرها الخامس ــ في الجزائر قبل ١٨شهراً وحتى اليوم ــ جزءاً كبيراً من الأهداف التي وضعتها نُصب عينيها في مجالات: الدعم والتمويل (مشروعات القدس)، والإعلام والمعلومات، والعلاقات والتعاون،

والحشد وتجميع الجهود، على الرغم من إدراكها أن حجم قضية القدس كبير لدرجة أنه يحتاج إلى تضافر جهود كل المؤسسات والشعوب والحكومات. وقد دعا المؤتمر إدارة المؤسسة إلى العمل على تفعيل فروع مؤسسة القدس وتطويرها، وفتح فروع جديدة، حتى تتمكن المؤسسة من تحقيق أهدافها الطموحة. وأكد المؤتمر ضرورة تفعيل دور أعضاء مجلس الأمناء .

وبعد مناقشات موسعة، أصدر المؤتمر جملة القرارات والتوصيات وهي :

أولاً: يشكر المؤتمر لدولة قطر، أميراً وحكومة وشعباً، رعايتها السامية، واستضافتها المميزة لمؤتمر القدس السادس، وينوه إلى الجهد الكبير الذي بذلته الحكومة القطرية، في مجالات الإدارة والتنظيم والضيافة.

ثانياً: يقدر المؤتمر عالياً التجاوب مع مشروع" وقف الأمة لبيت المقدس"، الذي أطلقته المؤسسة في مؤتمرها الرابع في اليمن، والذي أثمر حتى الآن مشاريع كبرى قيد الإنجاز في كل من اليمن والبحرين والجزائر ولبنان، بتمويل عدد من الحكومات والمؤسسات العربية، كما يشكر مبادرة سمو الأمير الشيخ "حمد بن خليفة آل ثاني"، على وضعه الحجر الأساس لمشروع برج القدس الخيري في قطر. ويدعو المؤتمر إدارة مؤسسة القدس إلى إعداد منظومة عمل متكاملة في كيفية إنشاء " وقف بيت المقدس" وإدارته ومتابعته.

ثالثاً: يؤكد المؤتمر أن أمتنا ما تزال تنبض بالخير، والعطاء، وأن أمسية القدس الخيرية، التي أقيمت في أثناء المؤتمر، والتي افتتحت بتبرع كريم من سمو أمير قطر، والتي زاد مجموع تبرعاتها ١٧ مليون دولار، كانت نموذجاً لهذا الخير، الذي يحتاج منا إلى مجهود أكبر لتشجيعه وتوظيفه بالشكل الصحيح لخدمة القدس وقضية فلسطين.

رابعاً: أخذ المؤتمر علماً بالإنجازات المهمة التي حققتها مؤسسة القدس في الفترة التي تلت المؤتمر الخامس، وحتى الآن، (نيسان/ أبريل ٢٠٠٧م ــ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٨م)، وقد شمل ذلك إنجاز خمسة مشاريع تعليمية، وأربعة

مشاريع صحية، وثلاثة مشاريع للإسكان والأراضي، فضلاً عن عدد من المشاريع العامة من أنشطة صيفية وكفالة أسر، وطباعة مصاحف وغيرها، وهي مشاريع بلغت قيمتها من ثمانية ملايين دولار. وقد حيا المؤتمر الإخوة المسؤولين والعاملين في المؤسسة على هذه الإنجازات، داعياً إلى المزيد من العمل الجاد دعماً للقدس وأهلها.

خامساً: اطلع المجلس على أنشطة مؤسسة القدس الدولية، والشبكة العالمية للمؤسسات العاملة للقدس في الخارج، بما في ذلك إصداراته وحملاتها الإعلامية والثقافية، وأنشطة المكاتب الخارجية، وافتتاح فرعي سوريا ومصر، وإقامة المؤتمرات والملتقيات، وعلى رأسها ملتقى القدس الدولي، ونوه المجلس بالدور المميز الذي يقوم به الأمين العام ومجلس الإدارة والموظفون في سبيل إنجاح عمل المؤسسة وتحقيق أهدافها.

سادساً: لقد شكّل الإعلان عن القدس عاصمة للثقافة العربية لسنة ٢٠٠٩م، تحدياً حقيقياً أمام الأمة العربية، بكل أطيافها ومكوناتها، الرسمية والشعبية، إذ أضحت الأمة أمام اختبار عملي تترجم فيه تقديرها للقدس، وتثبت من خلاله أنها أمة تستحق القدس، وأن القدس عاصمة عالمية لحوار الثقافات، ولقيم الخير والتسامح والعطاء، لذا فإن المؤتمر يدعو إلى تنظيم أوسع الفعاليات الثقافية الرسمية والشعبية، وإلى أكبر مشاركة في هذه الفعاليات، التي ستقام في مختلف العواصم العربية من أجل القدس.

سابعاً: يدعو المؤتمر الأمة العربية والإسلامية وحكامها إلى تحدي الخوف، وكسر الحصار الظالم على فلسطين وعلى قطاع غزة بصورة خاصة، ومساعدة الشعب الفلسطيني على تخطي حالة الانقسام الخطير التي يعانيها، لما لذلك من أثر بالغ على القضية الفلسطينية عموماً، وعلى القدس خصوصاً. ويدعو المؤتمر في هذا المجال إلى مبادرات طيبة، ومؤتمرات للمصالحة، لرأب الصدع، وإنهاء الانقسام.

ثامناً: يستنكر المؤتمر الحفريات الجارية تحت المسجد الأقصى، ولاسيما في المنطقة الجنوبية والغربية منه، إضافة إلى الاعتداء على مقبرة الرحمة، شرقي المسجد،

ومحاولة فرض الطابع اليهودي عليها، والتدخل المباشر في عمل دائرة الأوقاف الإسلامية، وفي حركة المصلين. ويدعو المؤتمر الجماهير العربية والإسلامية إلى تكثيف حركتها لمناصرة القدس، كما يدعو الحكومات العربية والإسلامية إلى العمل وفق إستراتيجية واضحة، يكون فيها المس بالثوابت الفلسطينية، وعلى رأسها قضية القدس وهويتها ومقدساتها، وخصوصاً المسجد الأقصى خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه.

تاسعاً: يدعو المؤتمر المجالس النيابية العربية والإسلامية إلى تشكيل لجان للقدس وفلسطين، وتفعيل دور هذه اللجان، للقيام بما يتناسب مع حجم المخاطر التي تحيق بالقدس وفلسطين، كما يدعو المؤتمر السلطة الفلسطينية إلى مواجهة ما يجري في القدس والمسجد الأقصى، وإلى وقف اللقاءات والاجتماعات مع الجانب الإسرائيلي، بعدما أثبتت التجربة عدم جدواها.

عاشراً: يؤكد المؤتمر ما ورد في إعلان اسطنبول التاريخي، الصادر في ١٧ من تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧م، ولاسيما إدانة الممارسات الاستيطانية العنصرية التي تستهدف محو معالم القدس وتهويدها، كما يؤكد المؤتمر حق العودة للاجئين والنازحين والمهجرين، باعتباره حقاً لا يمكن المساومة عليه أو التنازل عنه، وعلى وقف كل أشكال التطبيع مع الصهاينة، وإلى إطلاق الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وأن تتحمل جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والأمم المتحدة مسئولياتها في هذا الإطار.

حادي عشر: يدعو المؤتمر كافة جهات الاختصاص والقطاعات المهنية والأكاديمية للقيام بدورها في دعم صمود أهلنا في القدس، وثباتهم على أرضهم، والمحافظة على هوية القدس وتراثها الحضاري، وينوه بالأدوار الكبيرة المنشودة من العلماء، والحقوقيين، والإعلاميين، والتربويين، والأدباء والكتّاب، والمؤرخين، ومؤسسات المجتمع المدني، حتى تكون قضية القدس حاضرة على جميع المستويات الشعبية والمنابر الدولية، وفي مناهج الدراسة والتعليم.

ثاني عشر: يشيد المؤتمر بالأفكار والمشاريع المقترحة التي قدمها المشاركون،

والتي ستسعى مؤسسة القدس والشبكة العالمية للمؤسسات العاملة للقدس لتضمينها في خطتها، وتنفيذ كل ما يمكن تنفيذه منها على الأرض، بما في ذلك مشاريع: إسكان أهل القدس، والمشاريع الصحية والتعليمية، ومكافحة التهجير، والآفات الاجتماعية، ومعالجة البطالة وغيرها.

ثالث عشر: يدعو المؤتمر إلى مزيد من تفعيل تنسيق الجهود بين الهيئات والمؤسسات العاملة لأجل القدس في الداخل والخارج، ليتم حشد الطاقات، وتوجيه العمل، ومنع التعارض، ليصل إلى أقصى درجات الكفاءة والفعالية والإنجاز.

رابع عشر: إن القدس رمز لإجماع الأمة، وإن نجاح المواجهة مع الاحتلال الصهيوني يحتاج إلى وحدة الأمة، خصوصاً أن مواجهة هذا الاحتلال الخطير يعدّ نقطة إجماع بين العرب والمسلمين، وبالتالي فإن الخلافات السياسية والدينية والمذهبية يجب أن تتراجع إلى مرتبة ثانوية من أجل مواجهة الاحتلال وغطرسته.

خامس عشر: يوجه المؤتمر تحية للشعب الفلسطيني الصامد ومقاومته الباسلة في التصدي للاحتلال الصهيوني، كما يوجّه التحية للأسرى في سجون الاحتلال، كما يحيي صمود أهلنا في فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨، ودورهم في الحفاظ على المقدسات ووقوفهم في وجه الممارسات الصهيونية العنصرية.

ومعاً بإذن الله من أجل القدس.

نحميها معاً، ونستعيدها معاً.

ولا ننسى [قمة شرم الشيخ] التي عقدت في الثلث الأخير من أكتوبر ٢٠٠٨ وما اشتملت عليه[1].

---

(1) مجلة القدس.

قصائد شعرية للمؤلف

الحجارة وسام الشهادة وسام الفرح

أشعلوا فينا القصائدْ
كلُّ جُرْحٍ فيكموا – أيُّها الأبطالُ – شاهدْ
قاتلوا عنّا
فما فينا فدائي مجاهدْ
إننا محض جَلاَمِدْ
نحتسي الذلَّ.. ولا نفتأُ نرتادُ الموائد
قاتلوا عنَّا... ومُوتُوا
إنما نُحنُ اليتامى.. والثّكَالى.. والقَواعِدْ
همُّنا الشكوى البليدهْ
والبطولات الأثيراتُ الفريدهْ
نَرمق التاريخ.. والذِّكرى الشَّهيدهْ
أو نُنَاجِي النّصر ما بين الوسائدْ
ليس غير الوَجْد يشقينا
وآهاتُ المواعدْ
كلُّ شبرٍ من ربَانا – في حِمَى الأعداءِ – شاهدْ
جاهدوا عنّا.. نشاهدْ
علمونا كيف يغلي الحجرُ الناريُّ من سُمْر السواعدْ.
كيف يجتاحُ البنادقْ
كيف يمضي – دُون غمدٍ – ويسابق.
كيف يصطاد المتاريسَ.. يعاند.
كيف يفري صَلَفَ البغي، ويرقى
في ذُرَى حَيفا، وعكّا
وانتفاضات براكين الجليلْ

وربى القدس، وغزَّهْ
رسم النصر عليها
وعلى جُرحي عِزَّه
كَبَّرتْ أرجاء مكة،
وانجلتْ أصْداءُ بابلْ
تلثِمُ الجرح الشهيدْ
وتصلِّي للمناضلْ.

* * *

قاتلوا عنّا.. نقاتلْ..
خلفكم – نحنُ نُقاتلْ –
بالشعرات نقاتلْ
بالخطابات.. نقاتلْ
بالخلافات.. نقاتل
بدم القتلى.. نقاتل
باشتهال الشَّجْب، والتنديدْ
في حصون من صدى
صَدِئت رغْمَ المدى
شاخ فيها الذُلُّ، نساها الفِدَا.

* * *

قاتلوا – دون خنادق –
أو متاريسَ عنيدة.
فالمتاريسُ صدورٌ، والحصى تُردِي البنادقْ
والعِنَادُ الصَّلْدُ في نبض الصُّمودْ
يتشظى حِمَا.. فاتكاتٍ بالقيودْ.
فجِّروا الطغيان في حصن اليهود.

واصلوا نبض الشهيد.
طَاردوا هذا السّرابْ.
تلك أشباحُ قرودْ.
غضبةٌ منكم نضالٌ.. وشهادهْ
وانتفاضاتُ فداءٍ لا تموتُ.
جَدّدوها كلّ يوم.
طهّروا الأرض العزيزهْ
حطِّموا الحقْد المُسَجّى في ثَراها
وازرعوا فيها الشظايا
واغزلوا في جبين الشّمس أشْلاء الرَّزَايا.
علّموهم أنّ في الأشجار
في الأحجار..
في الأعماق.. في الأغصان
دماءً من بقايا..
لم تزلْ تنبضُ بالثّأر
بالثورة.. ذرّاتُ الخلايا.
لقّنوهم – بالدّم الزّاكي – المَنَايا
وازرعوا درب الشَّهيدْ
حَجَرًا مثل الورودْ
حَجَرًا.. يبقى وسامَ الفتْح
والنّصرِ العنيدْ
قبِّلوا جُرْحَ الشهيد
قبّلوا جُرْحَ الشَهيدْ [1].

تساؤلات على جبين (قانا)!!

---

(1) عبد الله الحميد (شهر ٧/٧/١٤٠٧هـ)

صرَختْ طفله
ضجّت الدنيا لصوت الصرخة الملأى
بأحزان الفجيعة
عبَرتْ طفلهْ
تتهادى .. دون أن تدري المصير
بين أشلاءٍ من القتلى
وأكوامِ الخرابْ
ذلك البيت التُراب
كان .. ظلاً
كان دارًا عامرهْ
كانت الطفلة إذ تخطر فيها
بين أفراحٍ ... تُسمّى (غامره)
كان حضنًا للطفولة
كان همسُ (الطفل) أنغامَ الخلود
كان للهمسة معنى
ألفُ معنى
صرخة الطفلة دوّت بين أشتات الأنين
حلْم قانا
حزنُ قانا يسألُ الإنسان فينا
عن خرافات السلام
عن أكاذيب الحياة؟!
ترسم اللقطةُ ألف معنى للهوان
والصدى (المفجوع) دانْ
والبياناتُ القراراتُ تُدين!؟

وذُرى (قانا) تُهان
قال: دان
دان ما قال ولم يدْر عن القول المدان!
ومضى..
يتمشى في سراديب الهوان
وذري قانا تهان
هطلت زخاتُ عنقودِ الغضبْ
تتشظى باللهبْ
وجه (قانا) يتساءل؟!
والبكاء/ العجز يسأل؟!
نسأل الأصداء
والأطفال
والأشلاء؟!
عانى السؤالُ من السؤالْ
وتكسّرتْ حُجَج النّصالْ
خُشبٌ مسنّدةٌ تُرى!!
وتظلُّ تمتهن الصورْ
والقهْقرى!
ماذا جرى؟!
ذكرى تحيّرت المسائلُ في رؤاها
وتراكمت صورُ الصُور
أين انتفاضاتُ الحجر؟!
أين اشتعالاتُ المفادين الأباه؟!
أين الذين مضوا؟

وهَبُوا الحياةَ إلى الحياة؟!
قانا. تسربل بالدماء، ونحنُ نقترفُ الرفاه؟
ونعيش – مرفوعي الجباه -!
ماذا جرى
- قومي الأباه - ؟!
ما ظلَّ معنى للحياة!!
ما ظلَّ معنى للحياة؟!
وإذا الموؤدة – قانا – سُئلتْ:
أين السلام؟!
والغزاة القافزونْ
فوق أشلاء الضحايا؟!
(دخلوا البيتَ عراةً
طمروا الأطفال،
وعادوا[1])
مثل أزهار البراءه
عبروا جسر الغضب
ومضوا
ينفضون الغُرَرَ الملآى بآثام الجريمة
وذرى (قانا) هوتْ
في انكساراتِ الفجيعهْ!!
وإذا الموؤدة – قانا – سُئلت:
أين أزهار البراءة؟!
أين نخْواتُ الرجال القادمينْ

---

(1) مقطع من قصيدة للشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس).

من خلايا (عمر) و (ابن الوليد)؟
أين آمال الشهيد؟
وجه (قانا) ما تغيّر
وجه قانا بالخطيئات مضرّجْ!
بالخيانات تدثّر
شوَّه الرعُبُ
يدُ البغي — رؤاهْ
حين كانت
ترفضُ الذُل.. وأحلام الطغاهْ!!
وجه قانا!!
مِزَقٌ شتّى.. وأغوارُ دماء!!
والعناقيدُ تشظّتْ
هطلتْ زخّات نيرانِ الغضب!!
تغرس الرُعب
وويلات الدمارْ
وتغنّى لليهود الغادرين:
لحنَ رعب الآمنين!!
صورٌ غرقى بأحبار اللئام
تتردّى..
تعزف (الإرهاب) لحنًا
تتغنّى!
وتُغني للسلام!!![1]

لا أستطيع!!

---

(1) عبد الله الحميد (في ١٤١٨/١٢/٢٠هـ)

لا أستطيع رسْمَ وردة البراءهْ
مغتالةً
بنيْزكِ الإفكِ الأقيمْ
لا أستطيع!!
لا أستطيع أن أرى «شارون» في القدس
يرتاده مستهترًا
ويرتدي زيّ النقاء
وهْو القاتل.. الوغْد اللئيم
يستنْفرُ الأصوات ضدَّ نبضها
يجتثُ أشجار الوفاء، والفداء!!
يغتال زهرة الحلمْ
ويمقت الطهر الوضيءْ
لا أستطيع أن أرى البراءة الممزّقةْ
طفلاً.. يفرَّى جسمُه البريءْ
يخرّقُ الرصاص هيكلَهْ
خريطةً مهتَّكهْ
إنسانها كرامةٌ منتهكهْ
عنوانها: الحقد السّحيق
«محمّدٌ»[1]
هذا الذي لم يحمل الحجر!!
لم يستطعْ!!
لم يقترفْ وزْرَ الدفاع عن أبٍ
مجرّدٍ من السّلاح!!
أعزلٍ

(1) محمّد الدّرة.

وعابرٍ فجَّ الطريقّ
بين طغاةٍ «عابرين»
بين عراةٍ من دم الأخلاقْ،
لم يستطعْ..
لم يستطع – حُزناهُ – صدَّ طلْقةِ اختراقْ!!
لم يستطع – مستسلمًا لعجزه –
وكيف يستطيع؟!

* * *

وكيف تقوى منهجةٌ تحمُّل الهوان؟
وأعينٌ
تعوَّدَ القهر الذي
تفاقمتْ
تطاولت إزاءَ «حرمة الإنسان»!!
أنّى تطيف؟! أنَّى تطيقْ؟!
شارون يا شارون:
أنَّى تطيقُ حمل وزر «طفلةٍ».
شوَّهت طُهْر خلْقها..
مزَّقْتَ في تقويمها «الإنسان»!
غادرْتَها مسلوبةَ الكرامةْ!!
كيف ارتديت مشهدًا يمنحك اللّعنة يا شارون!!
يغريك بالنّدامه!!
يسلبك الإنسانَ – خُنْتَه – احترامهْ!
تلعنك الأجيال يا شارونْ
تلعنك الأجيالُ حتّى ساعةَ القيامهْ!!
شارونُ يا شارونْ:

يا نقمة التّهويد،
يا فتنة التقويضْ
أحجارُنا تنعيك،
والأرضُ، والزيتونْ،
والدّمعةُ الثّكلى،
والطفلُ.. والعرجونْ،
والحق..
حين يغضبُ الفادونْ!!
مهما افترى الطغيانْ
لا بدَّ أن يُرديْك!!

* * *

شارونُ يا شارونْ:
مهما طغى (صهيون)
أو عاثَ في البلاد،
وغادر الأنقاضْ..
مهما افترى السفاحْ
وشوّه انتفاضة الأوْرادْ
واقتحمت خيول بغيهِ
قدسيّةَ (المعراج)
- يا قدسنا - نفديك
يا قدسنا
نفديك!!![1]

(1) عبد الله الحميد.

البديل

يريــــدون غــــيري – الغـــداة بـــديلا
يلـــمُّ الـــشتات، وينهـــي الفـــصولا
يريــــدون غــــصنا.. طـــري التّثنـــيّ
فقـــد مـــل صـــحبي الكـــرام الكهـــولا
يريــــدون بـــــدرًا عـــــلي المجـــالي
يـــضيء عـــلى ذروتيـــه الـــسبيلا
وصـــار رفيـــق الـــدروب عـــصيا
شـــديد المـــراس.. يريـــد الوصـــولا
وكنـــتُ خفيـــف الظّـــلال، ولكـــن
تثلـــتُ، وهـــم يكرهـــون التفـــيلا
أتينـــا إلـــيهم فـــرادى بـــصوتٍ
وحيـــدٍ، فجـــاءوا إليَّ قبـــيلا
وخـــضتُ ميـــاه الـــسلام إلـــيهم
وخاضـــوا بـــدمعي ودمـــي ســـيولا
يريـــدون دورًا جديـــدًا فـــدوري
تجـــاوز في حلمـــه المـــستحيلا!!
أنـــادي.. فيرتـــد صـــوتي صـــدىً
يجلجـــل: لا شيء يُـــرضى الـــدَّخيلا
ســـئمتُ الحلـــول.. رهـــان التّحـــدي
وكـــان فـــؤادي يحـــبُّ الحلـــولا

وران القنــــوط عــــلى مهجتــــي
وضــــيَّع دربي الـــــدليل الـــــذَّليلا
وعـــاف مـــدادي ســـطور التـــشكّي
ومـــلَّ يراعـــي الخطـــاب الطّـــويلا
وعــــفَّ لــــساني عــــن الترهـــات
وتمـــتم.. يرثـــي البكـــاء.. العـــويلا
«تركـــتُ الحـــصان وحيـــدًا» أمـــامي
يحمحـــمُ.. يـــدعو الحـــصان الأصـــيلا
ويــــركض حتـــى تـــسوخ خطـــاه
عميقًـــا.. ويفقـــد حتّـــى الـــصّهيلا
يريـــــدون قـــــتلي حيًـــا عيانًـــا
لكـــي يـــشهدوني الجـــريح القتـــيلا
دعــــوتُ الـــضمير، ولات مجيبًـــا
وحـــار اللبيـــب ينـــاجي العقـــولا
تـــشنج فكـــري.. فـــلا يقظـــة
تـــشتت هـــذا الرُّكـــام الـــذهولا
وصـــاح النـــذير بـــصوت الوعيـــد
يغنـــي الرحيـــل، ويـــدني البـــديلا[1]

* * *

(1) عنوان ديوان للشاعر الفلسطيني محمود درويش الرياض – في ١٤٢٣/٤/١٩هـ.

الحب الأول (فلسطين)

تباريح الهوى ولواعج الأشواق

براهـا إلـه الكـون مـن جنـات وأسرى لهـا بـالنور مـن مكـات
وصـاغ ثراهـا مـن نفـائس تـبره وباركهـا بالذكـر في الآيـات
وقدسـها طـرًّا وبـارك أهلهـا وجمّلها مـا فـاض مـن خـيرات
بـلاد إذا حـلَّ الربيـع بأرضـها كـساها مـع الهتـان كـل نبـات
إذا ذُكـرتْ ينساب في الصدر خـاطر يُهَيِّجُ مـا قـد جـفَّ مـن عـبرات
ربـوع ألفناهـا ومـا زال حبهـا أنيسا لنـا في الحـال والخلـوات
رضـعنا هواهـا فاسـتقر طبيعـة وخـالط فينـا الـدَّمَ والنبـضات
هـي الـروح نحيا مـن هـواه إذا سرى وإن بـان غودرنـا مـع الأمـوات
عـشقنا نـسيمًا يـنعش القلـبَ مـسُّه وغيـدًا كأنفـاس الربـا عطـرات
فـلا تعجبـوا مـن عاشـق هـام قلبـه بآثـار ذات الحـسن والحـسنات
سرى حبهـا بـالنفس حتـى كأنـه لهـا الـداء والأدواء في الحـالات
أحاورهـا طـورًا وطـورًا ألومهـا وآنـا أباديهـا بـسيل عظـات
فـما بـدلت يومـا ولا غـادر الهـوى حنايـا تبـث الوجـد والآهـات
ولا اللـوم يثنيهـا ولا الـصبر ممكـن ولا الـشوق مطـواع لنـصح أسـاة
ولا البعـدُ أنـساها ولا الهـمُّ ينقـضي وكـلُّ لياليهـا دجـى ظـلمات
فأسـلمتها لله يفـصل أمرهـا ويختـار مـا يقـضي بـما هـو آتي
بنفـسي أفـدي حفنـة مـن ترابهـا وشَرْبـةَ مـاء مـن معـين فـرات

بروحـــي أفـــدي نظـــرة في ربوعهـــا لتحيـــي غريبًـــا زائـــغ النظـــرات
يُـــسَرِّحُ في الآفـــاق طَرْفـــا محـــيَّرا أضرَّ بـــــه نـــأيٌ وطـــولُ شـــتات
فيـــا أيهـــا الـــساري إلى الـــدار وقفـــة تعيـــد حطامـــا هالكـــا لحيـــاة[1]

***

(1) من نظم الدكتور (أبي محمد) أحمد محمد المزعنن آل محسن (الرياض ٢٠٠٢م).

ملحقات

وثيقة عثمانية تثبت حرص أهل فلسطين

على أرضهم وتواخؤ بعض المسئولين وهذا نصها

إخبارية صادقة نرفعها إلى مقام مولانا الخليفة

نحن الذين غمرتنا الدولة العلية العثمانية أبا عن جد بالإنعام والإحسان الجزيل، وبدافع من الشعور والإحساس الوجداني ، وبما جبلنا عليه من الفطرة والحمية الدينية والوطنية، نعتبر أنفسنا مسئولين ومطلوبين بالإخبار عن كل تصرف أو تحرك يخالف رضا مولانا السلطان في أي جهة من جهات الممالك العثمانية المحروسة. فنحن في الأصل من أهالي البلقاء وحيفا وبيروت، عندما كنا موظفين مستخدمين في لوائى عكا والبلقاء سمعنا وعلمنا من مصادر موثقة ومؤكدة ارتكاب بعض المسئولين في قضاء حيفا التابعة للواء عكا بعض الأعمال التى تتنافى والرضا العالي لمولانا ظل الله في الأرض. وقد وجدنا في أنفسنا الجرأة لعرضها فيما يلى :

من المعلوم لدى الجميع بأن إدخال اليهود الأجانب من رومانيين وروس وإسكانهم في الممالك المحروسة بشكل عام وفي بلاد فلسطين بشكل خاص وتمليكهم للأراضى ممنوع منعا باتا بموجب الإرادة السنية لحضرة مولانا السلطان. ولكن وبدافع من المنافع والمصالح الشخصية من البعض والأفكار الفاسدة والمناوئة للبعض الآخر حدث في العام الماضى ألف وثلاثمائة وستة (١٨٩٠) بتوسط من موسى خانكر وماير زبلون اليهوديين الروسيين المقيمين في بلدتي يافا وحيفا وهما من رجال البارون هيرش، اتفق متصرف عكا صادق باشا عندما كان قائمقاما ومتصرفا هناك مع قائمقام حيفا السابق مصطفى القنواتي ، والحالي أحمد شكري ومفتى عكا على أفندي ورئيس بلدية حيفا مصطفى أفندي وعضو مجلس الإدارة نجيب أفندي على إدخال وقبول مائة وأربعين عائلة يهودية طردوا من الممالك الروسية في قضاء حيفا ، وعلى بيع الأراضى التى يملكها والي أضنة السابق وشقيق المتصرف المشار شاكر باشا وسليم نصر الله خوري من أهالي جبل لبنان حيث كانوا قد اشتروها بألف وثمانمائة قطعة ورقية من فئة المائة في الخضيرة ودردارة والنفيعات لليهود المذكورين بثمانية عشر ألف ليرة ، مع إعطاء المأمورين المذكورين ألفى ليرة مقابل تعاونهم لتحقيق ذلك. وبعد ذلك وفي إحدى الليالي أنزل اليهود المذكورون

من السفينة إلى الساحل تحت إشراف مأمور البوليس في حيفا عزيز ومأمور الضابطة اليوزباشي على آغا ، وتم توزيعهم في نواحي القضاء . ثم قام رئيس بلدية حيفا مصطفى أفندي دون أن تكون له أية صلاحية وفي أمر يحتاج إلى إرادة سنية سلطانية بتنظيم رخص مزورة بتاريخ قديم وإحداث مائة وأربعين منزلا على الأراضى المذكورة وتحويلها على قرية وإسكان اليهود فيها وتنظيم سجل ضريبى قبل أن يكون هناك أي شيء وإعطاء هؤلاء اليهود صفة رعايا الدولة العثمانية من القدم ويقيمون في تلك القرية .

ولم يبق الأمر عند هذا الحد بل كان الادعاء بأن هؤلاء كانوا من أتباع الدولة العلية وولدوا في قضائى صفد وطبريا ويقيمون في القرية المعروفة بمزرعة الخضيرة ، وأنهم لم يكونوا مسجلين في سجلات النفوس، فأجريت بحقهم معاملة المكتومين، وتحصيل غرامة قدرها مجيدي أبيض واحد (أي ست مجيديات) من كل من له القدرة على الدفع، وإعفاء من لا يملك القدرة على الدفع، واكتملت المعاملة بأسرها في يوم واحد فأصبحت لهم صفة قدماء الأهالي فيها. وقبض وكيل المشار إليه شاكر باشا مفتى عكا على أفندي وسليم نصر الله خوري من جبل لبنان ثمانية عشر ألف ليرة قيمة بيع تلك الأراضى، دون أي اعتبار لمصالح الأمة والوطن، ولمجرد تأمين أسباب الراحة وتحقيق الأطماع الفاسدة لهؤلاء اليهود الذين طردوا وأبعدوا من الممالك الأجنبية. إن ما حدث لا يمكن كتمه أو إنكاره كما أن ذلك ثابت من خلال المعاملات الجارية في سجلات الدوائر الرسمية في عكا وحيفا . وأغلب ظننا بأنه سبق وأن قدم بعض الذوات الثقاة معلومات حول الموضوع ، ويمكن الاستعلام بالوضع من متصرفيات نابلس والقدس المجاورتين لعكا وحيفا للتأكد من صحة ما أبلغنا به، ويمكن بهذه الطريقة التحقق من صحة ما نقول من قبول وإنزال اليهود كلما مرت سفينة في ميناء حيفا.

وفيما عدا هذا فإن قرية زمارين التى يملكها ويحكمها اليوم البارون روتشيلد ويبلغ عدد بيوتها حوالي سبعمائة تعج باليهود، توفي مالكها في وقت سابق بلا وارث

وعندما صدر الإعلام الشرعي بوجوب تسجيل القرية المذكورة في دفتر الشواغر، بيعت بطريقة من الطرق لليهود، وبغية توسيعها وزيادة أهميتها تم تمليك ثلاث قرى بالتتابع وهي: عسفيا وأم التوت وأم الجمال، وإلحاقها بزمارين. وتسهيلا لإجراء ما يلزم لتحقيق هذا النوع من الطلبات اللاحقة اشترى اليهود من صادق باشا المشار إليه أراض خربة لا تتعدى قيمتها ألفين أو ثلاثة آلاف قرش بألفي ليرة ليشتروا بعد ذلك الأراضي المهمة على الساحل بين حيفا ويافا وتعرف بخشم الزرقة وتحد الأراضي السنية وتزيد مساحتها عن ثلاثين ألف دونم، إذا فرضنا أن قيمة الدونم الواحد ليرة واحدة تكون قيمتها ثلاثين ألف ليرة، اعتبروها خمسة آلاف دونم وباعوها بخمسة عشر ألف قرش أي الدونم الواحد بثلاثة قروش، بيعت ليهود زمارين التي سبق ذكرها، وهو أمر يستغربه كل إنسان.

إلى جانب ذلك فإن القسم الأعظم من المكان المعروف بجبل الكرمل ذات الأهمية لدى الدولة أي أكثر من خمسة عشر ألف دونم بيعت بالحيل والطرق الملتوية من قبل رئيس البلدية مصطفى الخليل وعضو الإدارة نجيب الياسين إلى رهبان دير الكرمل باسم فرنسا، ونظرا للغيرة والمنافسة الحاصلة من رعايا دولة ألمانيا تجاه الرهبان، تمكن هؤلاء أيضا من الحصول على عشرة آلاف دونم من الأرض بسعر متدن جدا، ولم يمض وقت طويل حتى ظهر منافس آخر ثم تم تمليك سيدة تعرف بالست الإنجليزية وبتوسط من القنصل الإنجليزي في حيفا المستر سميث خمسة آلاف دونم من الأرض لقاء سكوتها على بيع تلك الأراضي للآخرين، وقاموا جميعا بإنشاء مبان وكنائس عظيمة عليها، على إثر ذلك وبمبادرة من متصرف عكا زيور باشا انتخب قائمقام الناصرة السابق وكيلا للحكومة السنية، فأقام في عهد رئيس محكمة البداية في حيفا محي الدين سلهب الطرابلسي دعوى ضد الأجانب المذكورين بطلب استعادة تلك الأراضي، ووصل كسب القضية مرحلة شبه نهائية، ولكن وردت برقية سامية في الأمر بتعطيل كافة المعاملات المتعلقة بهذه الدعوى ونقل المرحوم زيور باشا إلى القلعة السلطانية (١) وبذلك أصبحت شواطئ البحر وجبل

الكرمل وتلك الأراضي والمناطق المهمة التى تفتدى كل حفنة من ترابها بالروح بيد الغاصبين الأجانب بدعوى التقادم. ويقوم الآن الإيراني عباس المنفى حاليا في عكا الذي يحقق كل شيء يريده بفضل ثروته ونفوذه بالتفاهم مع رئيس بلدية حيفا مصطفى وعضو المحكمة الحالي نجيب بسلب أراضى العاجزين والفقراء من الأهالي بأثمان بخسة ليقوموا بعد ذلك بتهيئتها وبيعها بأثمان فاحشة لليهود والأجانب الآخرين لتحقيق مصالحهم الشخصية.

بقى أن نقول بأن هؤلاء اليهود بفضل المال الذي بذلوه صاروا مرعيى الخواطر، فصاروا يسومون الأهالي المسلمين في القرى المجاورة لليهود أبشع أنواع الظلم، كما تسلطوا على أعراض النساء.

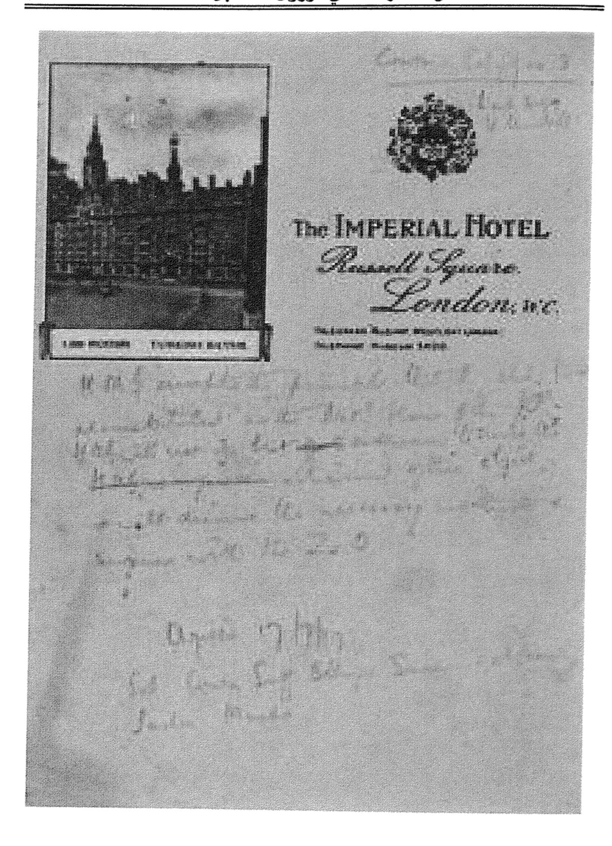
وفي عهد المدير السابق لناحية قيصاري على بك الشركسى وصلت إخبارية بأن اليهود في زمارين يقومون بتزوير العملات، فتوجه المتصرف إلى قراهم للتحقيق في هذه المسألة وغيرها من المسائل وبدافع الاستبداد والتحكم ضرب المدير المذكور وأهانه ولجأ إلى بعض الوسائل النفسية لعزله من منصبه . وقد استغل يهود زمارين تراخى بعض المسئولين المحليين معهم فحبسوا الرجال وقاموا بتعذيبهم ، كما يقومون الآن بتخزين مختلف أنواع الأسلحة والذخائر ، كما بنوا مدرسة ضخمة لتدريس مختلف العلوم ، وقد لجأنا إلى الإخبار عن كل هذا آملين أن تتخذ الوسائل الكفيلة لوضع حد لمثل هذه الأعمال والأمر لحضرة من له الأمر .

٣ أغسطس سنة ١٣٠٩ (١٥ آب ١٨٩٣)

مخبر – من أهالي بيروت، المدير السابق لناحية الشعراوية بداخل البلقاء ومدير نجد الحالي، صبحى.

مخبر – من أهالي حيفا، المدير السابق للريجى بلواء البلقاء، سعيد بحق محمد

مخبر– من أهالي عكا، معاون المدعي العام السابق بعكا، محمد توفيق السيد



The IMPERIAL HOTEL
Russell Square.
London, W.C.

[illegible]

صورة من وثيقة وعد بلفور بأن يكون لليهود وطن في فلسطين



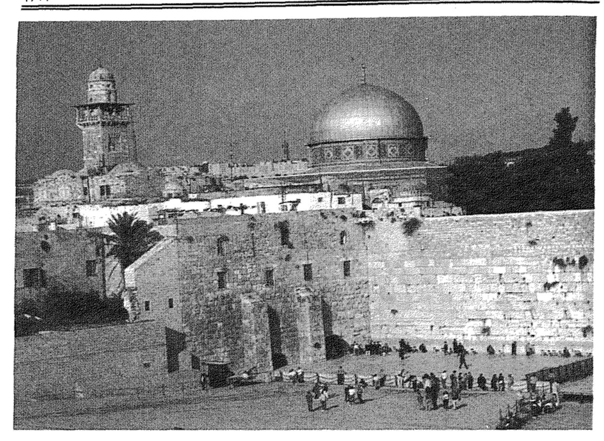
وثيقة عثمانية تكشف محاولة اليهود السيطرة على فلسطين مقابل إعطاء السلطان عبد الحميد ثلاثة ملايين ونصف مليون ليرة ذهبية بالإضافة لعدة امتيازات أخرى



صورة القدس قديما



أسوار القدس وعليها أعلام تركيا



حائط البراق وهو الذي ربط فيه رسول الله ﷺ البراق في الإسراء



الجنود اليهود يدنسون مسجد قبة الصخرة



اليهود الملاعين يدنسون محيط المسجد الأقصى بكنيس أمام المسجد العمري

يقام الكنيس على حساب مسجد عبد الله بن عمر (العمري الصغير) المغلق منذ احتلاله في قلب حي الشرف الذي هدمه الاحتلال عام ١٩٦٧ فيما تعتبر أوساط "إسرائيلية" المبنى "الهيكل المصغّر".

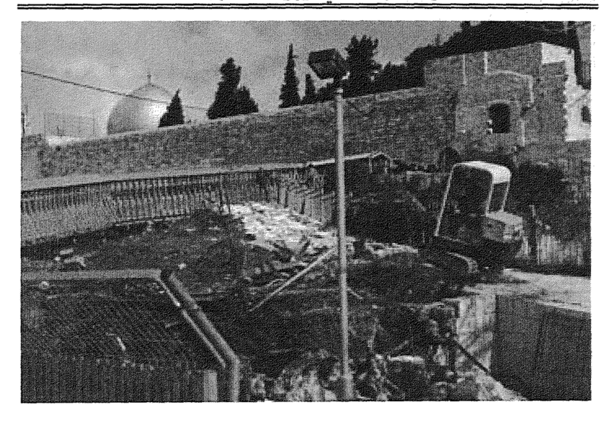
وذكرت المؤسسة المقدسية أن بناء الكنيس الذي يُعدُّ من أعلى الأبنية في البلدة القديمة يهدف إلى التشويش على المنظر العام للمسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة ومحاولة تشكيل صورة متخيلة تفيد بيهودية المكان في ظل سطوة مشهد قبة الصخرة المذهبة وكنيسة القيامة.

ولفتت المؤسسة إلى أن سلطات الاحتلال تسارع ببناء كنيس يهودي كبير وعالٍ يتكون من طبقات عدة، وذي قبة عالية جداً تطلق عليه اسم "كنيس هحوربا" (الخراب)، والذي يقام على حساب البيوت العربية التي كانت قائمة حتى عام ١٩٦٧ وتم هدم أغلبها، وبناء بيوت حديثة وإسكان المستوطنين بها وتسمية الحي باسم "الحي اليهودي"

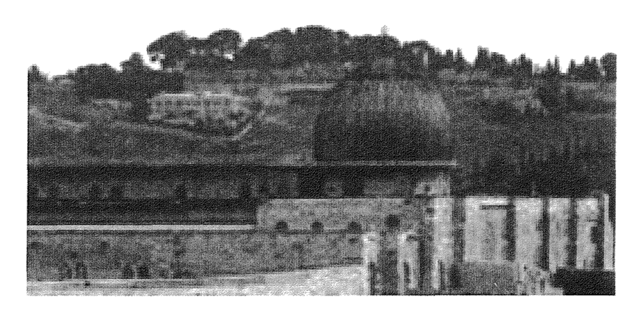


الكنيس الذي أقاموه تحت المسجد الأقصى

وأقام اليهود في النفق كنيس يهودي صغير افتتحه رسمياً رئيس الدولة ورئيس الوزراء الإسرائيلي عام ١٩٨٦م



منطقة باب المغاربة تتعرض للحفريات وتغيير معالمها



مقبرة مأمن الله

أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية قرارا بالسماح الفورى لمؤسسة "فيزنطال" الأمريكية المدعومة إسرائيليا ببناء ما يسمى بـ"متحف التسامح" على مقبرة مأمن الله الإسلامية التاريخية بالقدس المحتلة.

تاريخ المقبرة الموثق كشف عن "دفن عشرات من صحابة الرسول فيها، وأن بعضهم شارك سيدنا عمر بن الخطاب فى فتح بيت المقدس، وتوالى الدفن على مدار التاريخ الإسلامى العربى وبقى حتى عام ١٩٤٨، مشيرا إلى أن مساحتها تصل لأكثر من ٢٠٠ دونم وحسب المؤسسة الإسرائيلية فإن عدد مقابرها حتى عام ١٩٤٨ بلغ سبعين ألف قبر.

المصادر والمراجع

١- تفسير الطبري- لابن جرير الطبري.
٢- تفسير القرآن العظيم- لابن كثير.
٣- فتح القدير – للشوكاني.
٤- في أضواء البيان – لمحمد رشيد رضا.
٥- التحرير والتنوير- لمحمد الطاهر بن عاشور
٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري- للحافظ ابن حجر العسقلاني.
٧- صحيح مسلم
٨- السنن للترمذي
٩- السنن لأبي داود
١٠- السنن لابن ماجه
١١- مصباح الزجاجة – للإمام البوصيري.
١٢- صحيح ابن ماجه – للألباني.
١٣- مجمع الزوائد – للهيثمي.
١٤- المصنف – للإمام أبي يعلى الموصلي
١٥- مسند الطيالسي – للإمام أبي داود الطيالسي
١٦- المستدرك - للحاكم
١٧- صحيح الجامع الصغير- للألباني
١٨- تاريخ الطبري
١٩- البداية والنهاية - للحافظ ابن كثير الدمشقي
٢٠- الكامل - لابن الأثير
٢١- فتوح البلدان - للبلاذري
٢٢- فتوح الشام - للواقدي

٢٣- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - لمجير الدين الحنبلي
٢٤- الطبقات لابن سعد
٢٥- سير إعلام النبلاء - للذهبي
٢٦- ضحى الإسلام- لأحمد أمين
٢٧- أطلس تاريخ الإسلام- لحسين مؤنس
٢٨- الروضتين في أخبار الدولتين
٢٩- عيون الروضتين» لأبي شامة الشافعي
٣٠- الموجز في تاريخ فلسطين
٣١- معجم بلدان فلسطين
٣٢- تاريخ دمشق – لابن عساكر
٣٣- تاريخ القدس للدكتور شفيق جاسر.
٣٤- أهمية القدس في الإسلام تأليف عبد الحميد السائح
٣٥- موسوعة اليهود واليهودية للدكتور عبد الوهاب المسيري
٣٦- القدس...مدينة الله... أم مدينة داود للدكتور حسن ظاظا
٣٧- واقدساه للدكتور سيد العفاني
٣٨- قبل الكارثة نذير ونفير
٣٩- أسباب كارثة فلسطين للحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين
٤٠- قصة الحضارة - لول. ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محمود.
٤١- إسرائيل والتلمود تأليف إبراهيم خليل أحمد
٤٢- النبوءة والسياسة لغريس هالسل
٤٣- المسجد الأقصى المبارك وهيكل بني إسرائيل، د. محمود مصالحة
٤٤- قبل أن يهدم المسجد الأقصى لعبد العزيز مصطفى كامل
٤٥- الموسوعة الفلسطينية : إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية
٤٦- المسجد الأقصى المبارك وهيكل بني إسرائيل

٤٧- القدس في خطر إعداد جمعية الأقصى لرعاية المقدسات الإسلامية
٤٨- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، للدكتور يوسف الحسن
٤٩- صحيفة القدس
٥٠- جريدة الوطن الكويتية
٥١- موقع مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية
٥٢- مجلة القدس
٥٣- بحث "المكتبات في مدينة القدس" المنشور في مجلة عالم الكتب
٥٤- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
٥٥- زاد المعاد لابن القيم
٥٦- الأوقاف على القدس – للدكتور مصطفى عبد الغني.
٥٧- معجم بلدان فلسطين – لمحمد شراب.
٥٨- ديوان لقاء لم يتم - للمؤلف.
٥٩- ديوان أمل جريح - للمؤلف.
٦٠- ديوان إيقاعات الطين والحزن والسراب - للمؤلف.
٦١- انتفاضة القصائد – للمؤلف.
٦٢- قصيدة عن الحب الأول (فلسطين) للناظم: أبي محمد أحمد محمد المزعنن آل محسن.

فهرس الموضوعات



سيرة ذاتية

- الاسم الكامل: **عبد الله بن سالم بن حميد الحميد.**
- مكان المولد وتاريخه: الرياض ١٦/ ٩/ ١٣٧١هـ.
- المؤهل: كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٩٣هـ.
- العمل: مستشار شرعي في إمارة منطقة الرياض.

*** الاهتمام الأدبية:**

- كتابة المقالة الأدبية، والاجتماعية، والشعر، والقصة، وإعداد البرامج الثقافية للإذاعة، والبرامج الأدبية.

* نشاطه الثقافي:

- عضو في النادي الأدبي بالرياض.
- عضو في لجنة الشعر بالرئاسة العامة لرعاية الشباب.
- عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.
- الكتابة في الصحف والمجلات المحلية وغيرها.
- إعداد البرامج الأدبية والثقافية لإذاعة الرياض **ومما أعد سابقًا:**

١- قصيدة مختارة.
٢- خواطر رمضانية.
٣- شاعر من أرض الجزيرة.
٤- رجالٌ في الذاكرة.
٥- فتح الرياض.
٦- الحجُّ في الذاكرة والوجدان.
٧- في ذاكرة الوطن.
٨- برنامج (أوراق خليجية).
٩- برنامج (الحج في وجدانهم) عام ١٤٢٧هـ

* الإصدارات

أ- في الشعر:

١- أمل جريح.

٢- لقاء لم يتم.

٣- إيقاعات الطين والحزن والسراب.

٤- صوت الحجارة وأصداء الصهيل.

٥- السفر في ذاكرة الوطن.

٦- ما لم تقله الخنساء.

٧- انتفاضة القصائد.

٨- لوجه الحب أعتذر.

ب- النثر والدراسات:

١- التشريع الجنائي الإسلامي المقارن بالقوانين الوضعية.

٢- من ألق المعناة.

٣- الأمية وجذور الإعاقة.

٤- صور من البراءة.

٥- من رحيق الكتب.

٦- التهلكة.

٧- رحيل الموسم الوردي.

٨- شعراء من الجزيرة العربية (الجزء الأول والثاني).

٩- شخصيات في الذاكرة.

١٠- لسان الشاعر.

١١- قصائد في الذاكرة.

١٢- أصدقاء الحياة.

ج- كتب مخطوطه، والجزء الخامس والسادس من [شعراء وشاعرات من الجزيرة العربية].

كلمة شكر وتقدير

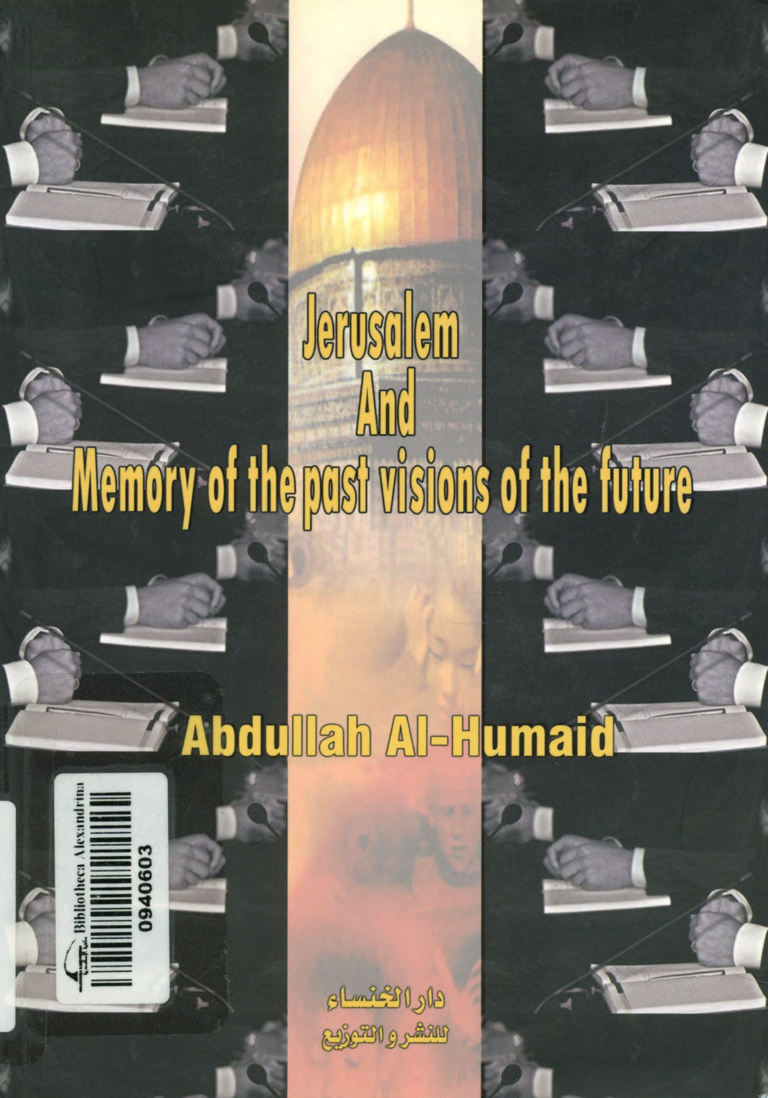
في الختام يسرني أن أشكر الأستاذين / خالد بن أحمد محمود صقر والأستاذ الباحث (أبو عبدالرحمن-عادل بن سعد).. على جهودهما في البحث والمساعدة في إعداد هذا الكتاب وإخراجه في زمن قياسي لا يتجاوز ستة شهور، والحمد لله على تمامه.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

Jerusalem

and the memory of the past visions of the future

Abdullah Humied

Dar elKhansaa
for Publishing and Distribution



Jerusalem
And
Memory of the past visions of the future
Abdullah Al-Humaid
دار الخنساء
للنشر و التوزيع
Bibliotheca Alexandrina
09406603